عالم بلا شمس
III
SUNLESS WORLD

رواية

ممالك الضباب

KINGDOMS OF FOG

أبانوب زرزور

إبهار
للنشر و التوزيع

ممالك الضباب

أبانوب زرزور

رواية

مراجعة اللغوية: مها سيد

إخراج فني: مريم محمد سيد

تصميم الغلاف: وحيد محمد

الطبعة الأولى 2024

رقم الإيداع: 23144/2024

الترقيم الدولي: 978-977-8789-32-4

جميع الحقوق محفوظة ©

أي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يُعرِّض صاحبه للمساءلة القانونية.
أما حقوق الملكية الفكرية والآراء والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

+20 109 919 7450

Info@ebharbook.com
www.Ebharbook.com

Strand block - Abdein square
down town - Cairo - Egypt.

إهـــــــداء

إلى مَن يركضون نحو الخيال هربًا من واقعهم الأليم؛ فكان الخيال عندهم ملاذًا.

مقدمة

عزيزي القارئ:

إنْ كنتَ قد وصلتَ إلى هنا فأنتَ حتمًا من متابعي رباعية عالم بلا شمس، لكنّي أُحدّثكَ اليوم لأحذركَ من الجزء الثالث هذا؛ ستغضب، ستسبني بالألفاظ، لكنك ستحب ذلك، سوف تستمتع فلا تجعل هذا ينسيكَ ما أخبرتُكَ به سابقًا؛ لن تتحمل ذلك.

أراكَ لا زلتَ هنا وتقرأ ما أكتبه، تذكّر أنّني حذرتك .. ستحزن .. ستحزن .. ستستمتع.

خريطة قارة أوشانلاند

مملكة الشمال : لوردلاند **السلاح : التنانين**

الملك : كوش **الزوجة** : لوسيا **الأبناء** من لوسيا : فريسيا

الأبناء من الزوجة الأولى : جيرالدي ، أوش **خطيب فريسيا** : ساتي

المستشار : تشيني ، **الحارس الملكي** : وينجي ، **العرّاف** : أكاسيا ، **قائد الجيوش** : موليس

المدن : العاصمة :هيل ، مدينة : ستراند ، جنوب المملكة : ميجر ، مدينة : ستورم

أهم المعالم : الجبال البيضاء في أقصى الشمال

مملكة الشرق: نانيوس

السلاح: الذئاب

الملك: إيكاي، ليس له نسل

الزوجة: متوفاة

الأخ: أنطور

ابنة العم: كلارا

المستشار: تاهو

قائد الجيوش: كارفا

المدن: العاصمة: دورفلاند

مدينة: وولفلاند

أهم المعالم : الجبال الحمراء

مملكة الغرب: كونغار

السلاح: ثعبان ذو ثلاث رؤوس

الملك: أيار

الزوجة: نيميسيا

الأبناء من نيميسيا: إيبيري، هولي

الابن البكر من الوصيفة: أندريا

ابن العم: أفاريس

الوصيفة: بيجونيا

المدن: العاصمة: إيل مدينة: سيرن

شرق المملكة: كاليستون

أهم المعالم : بحر أوشا

مملكة الجنوب: فوريس **السلاح: الغربان**

الملك: جونكويل **الزوجة**: غير موجودة

الأبناء: لويزيانا **ابن الأخت**: أورلوف

أهم المدن: كوندور **أهم المعالم**: غابة الأرواح السوداء

البداية

كانوا واثبين على البر أمام أمواج البحر الهائجة التي تتلاطم بعنفوانٍ، يشاهدون السفن وهي تتباعد عنهم شيئًا فشيئًا حتى توراث من أمام أنظارهم، مضث الساعات، الأيام، الشهور ولم يحدث ما ينتظرونه، لم يحدث ما يريدونه؛ فقال أحدهم لآخرٍ بصوتٍ غير مألوفٍ في مكانٍ غير معروفٍ خارج كوكب الأرض، وهم يراقبون ما يحدث:

- لقد مضث ستة أشهر ولم يحدث شيءٌ .

نظر له الآخر بارتيابٍ دون أن ينبس ببنت شفةٍ، فاسترسل الأول بذات الصوت غير البشري:

- تُرى.. هل سيمرون من خلال الفجوة أم سيبتلعهم البحر؟

أشاح الآخر بنظره ووجّهه نحو البحر قائلًا في كياسةٍ:

- ليس بفارق، المهم أنّهم لن يعودوا، سيفارقون دون رجعة، سينهشهم الموت في الحالتين.

لقد كانا الكائنين الغريبين رماديي اللون ذوي رأسٍ مقوّسةٍ صلعاء وعينين سوداوين دفينتين منقورتين خاويتين دون ملامح ولا أنف، فقط فتحتان مسطحتان.

إنّهما من نفس الكائنات الغريبة التي حلم بها "آدم"، ثم تفاجأ بهم على أرض الواقع.

ما وراء البحار

1

مملكة التنين

"مملكة لوردلاند"

الأميرة

عام 505 ب.ت

" سينبع من الأرض وسط أشد الرياح السوداء، كأنّه نازلٌ من السماء تحت ضوء القمر بين أمواج البحر العنيدة؛ حينها سيكون الجميع واحدًا."

إنّها النبوءة .. إنّها اللعنة التي ستحل على مملكة لوردلاند؛ لا بدّ من محقها، لا بدّ من تكذيبها ونسيانها من ذاكرة شعب وعامة ونبلاء المملكة وكل بشري تدب بداخله الحياة في مملكة لوردلاند؛ فكونه لوردلانديًا فلا بدّ من ذلك.

هذا ما كان يقرأه الملك "كوش"(1) "الثاني من اسمه" قابعًا في حجرته بمنزله الكائن في العاصمة "هيل"(2)، أكبر مدن مملكة لوردلاند، ماسكًا بكتابه اللعين يقرأه بعينيه الواسعتين الثاقبتين البنيّتين يعتليهما حاجبان كثّان، محاولًا أنْ يفرك شعيرات شاربه الكثيف البنيّ القاتم مثل لحيته حين يضيّق حدقتي عينيه عندما يحاول فك ألغاز هذه النبوءة غير المفهومة، تلك النبوءة التي يتراءى له ضرورة محوها من أدمغة اللوردلانديين ونسيانها على مر الزمان.

هذا ما كان يحاول أنْ يزرعه وهو في عقده الخامس لأبنائه

الثلاثة: الذكران التوأمان: "أوش"(3) "وجيرالدي"(4) فهذا العام هو عامهما الثاني والعشرون، والابنة الصغرى "فريسيا"(5) حيث ستتم عامها العشرين في الغد.

جاء الغد .. فيه يركض الجميع للتحضيرات والاستعدادات اللازمة للحفل الكبير؛ إنّه عيد ميلاد الأميرة "فريسيا" جميلة جميلات مدينة "هيل"، بل فتاة واحدة بجمالها لا يوجد بمملكة "لوردلاند" بأكملها أو حتى باقي ممالك قارة "أوشانلاند".

غُلِقت الزينة، وأُضيئت الشُرُج والقناديل، وجاء المدعوون من النبلاء، والحشد الملكي، ورجال البلاط والجميع في انتظار اكتساب النظرة في أبهى وجهٍ عرفته البشرية.

كان الحفل في بهو قصر الملك، حيث الأعمدة الرخامية المطلية باللون الذهبي متراصة على الجانبين تاركين رُواقًا كبيرًا واسعًا لامعًا أبلجَ، فيرى فيه الشخص نفسه حين ينظر أسفله، حاملًا الحشد الملكي الذي لا يقل عن مائتي شخص.

وهناك على العرش الذهبي يعتليه رأس كبيرٌ لتنينٍ فاتح فاه متأهبًا لنفث النيران، كانت رأسًا مصنوعةً من معدن لورلاند القوي الفولاذي معطيًا لونًا آخر ليضيف على جمال العرش جمالًا؛ فكانت رأس التنين باللون الأسود مثل الرأسين الصغيرين الآخرين المثبتين على جانبي الكرسي الملكي عند ساعدي الملك حين يسندهما على ساعدي الكرسي.

جلس الملك "كوش" بلباسه الملكي الأسود المزركش بألوانٍ فضية وبجواره من الجانبين ولداه "أوش" و"جيرالدي"، وبجوار ابنه الأول

كان مساعده ومستشاره الأمين "تشيني"(6). وعلى الجانب الآخر بجوار ابنه الآخر الحارس الملكي الشخصي "وينجي"(7).

كان "أوش" ذو ملامح حادة بعينين ضيّقتين سوداوين، وبشرة قمحية اللون، وشعر مجعد أسود ينسدل حتى كتفيه. أمّا "جيرالدي" كان ذا شعرٍ ناعم بني منسدلٍ حتى منتصف ظهره، وعينين بنتيّن واسعتين مثل أبيه ولون بشرته مثل توأمه.

ذقت الطبول وزنث الأجراس، هابطة من الدّرج الأميرة بشخصها فلفحث بجمالها كيان كل الحاضرين؛ لقد طلت ببشرتها ناصعة البياض ووجها البهيّ النضر في منتصفه أنفٌ صغيرة يعتليها عينان واسعتان مثل أبيها الملك خضراوان، وبأسفل هذا الوجه النقي يكمن فمٌ يكاد لا يُرى إلّا حين تبتسم أو تتحدّث، وشعرها الأشقر الطويل المنسدل خلفها على رداء كرزي اللون، على أطرافه نقوشٌ مزخرفةٌ بالأرجوانيّ العقيق.

كان بجوارها والدتها "لوسيا"(8) التي لا تزال محتفظةً بجمالها فورثت منها ابنتها هذا، لقد كانتا نسختين مع فارق السن وملامح الوجه والتجاعيد التي شرعث في الظهور في وجه الملكة "لوسيا"، ولكن كان الفارق حقيقيًا بينهما ليس ملامح الشكل بل في الملامح المعبرة عن الشخصية؛ فقد كانت الملكة الأم ثائرةً، ملامحها أكثر حدةً وجرأةً من ابنتها الخجولة الوديعة.

كان الرواق مليئًا بأمراء وقادة المدن الأخرى التابعة للمملكة، فكان في الحضور قائد مدينة "ميجر" الجنوبية، وقائد مدينة "ستورم"، وقائد المدينة الغربية "ستراند".

لقد كان الحفل لسببٍ آخر أكثر اهتمامًا وجديةً من مجرد ذكرى لمولد الأميرة؛ السبب هو خطبة "فريسيا" لنجل أحد قادة المدن الثلاث الأخر.

كان قادة المدن الثلاث قد أتوا بأطيب وأفخم الهدايا للملك وابنته؛ محاولًا كلٌ منهم عرض ثرائه وما هو قادرٌ عليه ليقدمه للأميرة؛ ليرضى عنه الملك فيكون ابنه هو خطيب الأميرة.

جاء الخمر وحان موعد الرقص وتحوّل الرواق الذهبيّ إلى حفلةٍ موسيقيةٍ يتراقص فيها الجميع.

فهمست الملكة الأم لابنتها:

- مقدرٌ لكِ أن تكوني الملكة المستقبلية لمملكة الأسياد.

سمعها أحد ولدي الملك وهو "أوش" فقال معترضًا:

- إنّها الصغرى أيّتها الملكة.

نظرت له بامتقاعٍ وقالت له بتهكمٍ:

- وهل أنتَ البكر؟

جرى الحديث نحو مسامع الابن الآخر "جيرالدي"، فقال محاولًا مبتسمًا تهدئة الأجواء:

- لكننا توأمان.

ردّت عليه وهي تجز على كل كلمةٍ تخرج من فمها:

- وهذه هي المعضلة لا بكر بينكما، لقد ماتت والدتكما أثناء

ولادتكما فلم يكن هناك حلٌ سوى شق بطنها لإخراجكما معًا في نفس الوقت، فليس هناك مَن رأى نور الدنيا أولًا ليكون البكر. ومِن ثَمّ وبجمال ابنتي وبخطبتها بأحد أبناء أحد قادتنا سيكون هناك تحالفٌ قويٌ لن يشوبه خيانة.

نظرت لهم "فريسيا" محاولةً صنع ابتسامةٍ على وجهها فلا تطيق الحديث، فقالت لتنهي الحوار الحاد:

- طالت الآلهة من عمر والدانا، لا أريد شيئًا سوى صمود مملكتنا أمام الممالك الثلاث الأخرى، فكانت وستكون مملكتنا أقوى وأعتى وأغنى الممالك الأربع، ولن يغير كينونة الملك المستقبلي طبيعة مملكة "لوردلاند" أكبر ممالك قارة "أوشانلاند".

ومِن ثَمّ انتهى الحوار إثر الجلبة التي أتت من الخارج؛ لقد كانت جلبةً شديدةً استرعت انتباه كل الحاضرين بداخل الرواق، فخرج الملك وخلفه حاشيته نحو الردهة التي تطل على فناء القصر بالخارج.

لقد كان جنود الملك بقيادة قائد جيوشه "موليس"(9) يحاولون تعدية صفٍ طويلٍ من العبيد الذين تم شراؤهم بغرض خدمة قصر الملك، أو المسجونين الذين تم القبض عليهم إثر ارتكابهم جريمة، أو كونهم أفراد عصابةٍ مشبوهة المكبلين في أيديهم وأقدامهم، أو كونهم مجرد موضع شكٍ لدى فرسان جيش الملك الذي كان من ضمنهم مَن كان سببًا لهذه الجلبة عند دخوله فناء القصر رافضًا إطاعة الأمر؛ فكان سبب كونه موضع شكٍ هو لباسه وشكله الغريبان عن المدينة بل المملكة بأكملها. لقد كان يلبس قميصًا وبنطالًا، تلك

الملابس الضيقة، الأمر مختلفٌ عن شعب هذه المملكة الذين يلبسون الجلباب القصير وتحته بنطالٌ واسعٌ ومختلف أيضًا عن ملابس النبلاء المنمقة، فلم يسبق لأحدٍ أنْ رأى لباسًا مثل ذلك الذي يرتديه ذلك الغريب، فيبدو على مرمى الجميع أنّه ليس من الأنحاء القريبة، فلم يبدُ عليه أي علاماتٍ تدل على فقره أو كونه عبدًا سابقًا لأحد أغنياء المدينة، فتساءل الجميع إنْ كان من مملكةٍ أخرى وأتى إلى هنا متلصصًا بأمور المملكة؛ فمملكة الأسياد كانت وستكون مطمعًا للممالك الثلاث الأخرى، وهذا ما استرعى اهتمام الملك بنفسه من موضعه بالأعلى.

أشهر أحد فرسان الملك سيفه واتجه نحو ذلك الغريب؛ لينهى ما بدأه وللأبد فمَن يستطيع عصيان أمر قائد جيوش مملكة لوردلاند، فاستوقفه قائد الجيوش ثم ثقب ذلك الغريب نظرة حادة بعد أنْ اقترب نحوه وقال له:

- إنّك أحمق لكونكَ فاعلًا هذا، لن تعيش طويلًا أيُّها العبد.

ردّ الغريب غاضبًا مزمجرًا:

- إنّني لست بعبدٍ.

قال القائد "موليس" مؤكدًا:

- إذن، ستوسم برمزية العبد ثم تموت كعبدٍ وضيعٍ.

لم يصدر من الغريب سوى أجرأ فِعلٍ حدث في تاريخ المملكة حتمًا، فلم يسبق لأحدٍ وفَعل مثل ما فعله ذلك الغريب وليس بأحمقٍ يفكّر أنْ يفعل ذلك، لقد بصق الغريب على "موليس" القائد فابتل

وجهه، فأغلق عينيه محاولًا التحكم في غضبه ثم مسح وجهه بيده وبعد ذلك كانت العاقبة، لقد أشهر القائد هذه المرة سيفه دون ترددٍ ووجّهه نحو وجه الغريب ليغزر السيف طريقه طاعنًا بين عينيه، ولكن قبل أنْ يمس طرف السيف ما بين عيني الغريب كان الأخير رفع ذراعيه المربوطين بحركةٍ تلقائيةٍ دفاعية نحو وجهه؛ ليصد الطعنة فيشق السيف طريقه بداخل ساعد الغريب الأيمن فتناثرت الدماء.

انتبه الجميع لما حدث، وشهقت الأنفس، وفُتِحت الأفواه ولكن ليس بسبب منظر الدماء المتدفقة من ذراع الغريب بل بسبب ما كان بعد ذلك.

لم يخرج السيف من ذراع الغريب كاملًا بل كُسِرَ نصل السيف، وخرجت مقدمته المكسورة مندفعةً تاركةً بقية النصل كأنّ هناك ما قذفها فسقطت أرضًا، فصرخ مستشار الملك "تشيني" مرتعبًا غاضبًا واعدًا:

- إنّه ساحر.

تعالت الأصوات وزادت الهمهمات، وبدأ البعض يرجع بخُطى قلقة من شر ذاك الساحر، عاد القائد النظر إلى الغريب بنظراتٍ واعدة قائلًا:

- هل وصل لكَ الحُمق إلى أنْ تمارس سحركَ في هذه المملكة؟

بادله الغريب النظرات وقال مدافعًا عن نفسه بصوتٍ غاضبٍ حادٍّ غير آبهٍ لدمائه المقطرة من ساعده:

- إنّني لست بساحرٍ أو عبدٍ.

فصرخت الملكة بكلامٍ واعدٍ من مكانها بالأعلى:

- إنّ مصير مَن يمارس السحر الحرق، ومَن يرفع صوته على الملك قطع رأسه بحد السيف، وأنتَ سوف تذوق الاثنين معًا.

وقبل أنْ يجيبها الغريب فيملي عليه قائمة أحكامٍ من قِبل الملك فيموت واقفًا مكانه بكل أنواع القتل، جاء الصوت الرقيق الذي يُفتت القلوب المتحجرة ويُذيب العقول المثلجة قائلًا:

- ما اسمكَ؟

لقد كانت الأميرة هي مَن سألت هذا السؤال؛ فتوجهت جميع الأنظار إليها بتعجبٍ واستنكارٍ، فكيف لأميرة في حضرة الملك أبيها أنْ تتدخل في هذه الشئون؟! ولكن يبدو أنّ ذلك الغريب تمكّن من جذب انتباهها مُعجبةً بجرأته وقوته التي استطاعت كسر نصل السيف المصنوع من أقوى أنواع الفولاذ في هذه المملكة الغنية بالمعادن القوية بعد أنْ غُرِز في لحم ذراعه.

انتبهت الفتاة أخيرًا للعيون الشاخصة نحوها، فقالت مستنبطةً لتخف من عليها كل النظرات المتسائلة:

- إنّه ليس بساحر.

لقد قرأتُ الكثير عن كتب السحر، وأعلم حقًّا كيف يكون الساحر. ما فعله هذا الغريب ليس بسحرٍ، ثم إنْ كان ساحرًا فكان أولى أنْ يجعل السيف في غمده قبل أنْ يفكّر القائد في إشهاره تجاهه بدلًا من أنْ يشق ذراعه فتتناثر دماؤه.

استرعى قول الأميرة انتباه الغريب فرفع نظره للأعلى، ولكن سرعان ما لطمه القائد كي لا يرفع بصره نحو الحاشية الملكية؛ فأمره الملك أنْ يتوقف حتى يعرف هُوية هذا الغريب، فعاد الغريب النظر إليها مجيبًا على سؤالها الأول:

- هذا السؤال الذي سألته لنفسي مراتٍ عديدة.

انعقدت الحواجب، وتساءلت العقول؛ فعمّ الصمت حتى كسره الملك متسائلًا:

- هل لكَ أنْ توضح أيُّها الغريب؟

أجابه الغريب في نظراتٍ متسائلة:

- لا أعرف مَن أنا؟ ولا أعلم كيف جئتُ إلى هنا؟

ثم صمتَ قليلًا متألمًا إثر جُرحه الغائر قبل أنْ يردف:

- في الحقيقة، أنا لا أتذكّر اسمي.

آدم

عام 2227 م

لقد كانت الخطة منذ الدهر وأحدٌ لا يعلم بها، لقد كانت خطةً كبيرةً مدبرةً منذ البداية، إنّها أكبر من أي بشريٍّ، أكبر من أي عقلٍ يستوعب ذلك، إنّها خطةٌ تفوق قدراتنا، تفوق التكاتف والاتحاد الذي لطالما آمنتُ به وجعلتُه سبيلًا لخلاصنا من أي مأزقٍ يهدد بقاءنا، بل الحقيقة تكمن في أنّ انقراضنا كان هدفًا يُسعى إليه من قِبل المجهول. المجهول الذي كان متخفيًا في الظلال يفعل كل ما يُرسم إليه من البداية حتى وإنْ حدث شيءٌ ليس في الحسبان فهناك ألف طريقةٍ بديلة تصلح ممّا خُرِبَ من وجهة نظر ذلك المجهول، وفي الحقيقة كان ملاذًا صنعناه نحن البشر بإرادتنا؛ ليكون المنقذ لنا من براثن الخطة من البداية من نوايا الشر التي تطاردنا ونحن نركض أمامها دون أنْ نكون على درايةٍ بالأمر، ولكن عزيمتنا وتعلقنا في حبال البقاء الدائبة كانا منفذًا لنا حتى وإنْ كان هذا المنفذ كثقب إبرة.

لقد كان المجهول سببًا في أنْ يصل البشر لأعلى قمةٍ تنطح بسقف التكنولوجيا، والتطور، والذكاء الاصطناعي حتى شقت القمة عاليًا جدًا؛ فاخترقت ذلك السقف وأصبح الأمر في منتهى الحرفية، ولكن ذلك كان بمساعدة المجهول في الخفاء والظلمة؛ فكل ذلك كان بهدف الوصول إلى المسعى .. وهو انقلاب المصنوع على صانعه، مع زيادة عدد المصنوع وقدراته الفائقة فتغلب على الصانع بواسطة ومساعدة أيدٍ خفية؛ ليبدأ التقليل في زيادة عدد البشر على مستوى

العالم بعد أنْ فشلت كل الخطط السابقة، مثل: خلق فيروس يطيح بالبشرية، أو تحطيم الاقتصاد العالمي حتى تجوع البشرية، أو خلق فكرةٍ ما في أدمغة البشر بسبب ضعفنا أمام رغباتنا، فتكون تلك الفكرة هي أخيرًا ملبيةً لتلك الرغبات فتكون هي الحل التائه بعد سنواتٍ عديدة في البحث عنها، تلك هي المعضلة الكبرى "حرب الأفكار"؛ فيتشتت البشر في ظلال أفكارٍ تجعلنا ننزلق دون أنْ نشعر إلى الهاوية، أو أي خططٍ أخرى باءت بالفشل لا زلنا لا نعلم بها وربما سنعلم بها أو لن نعلم.

المهم، كان الهدف من كل شيءٍ هو انقراض البشر تدريجيًا؛ ليكون الأمر في العلن ظاهريًا هو أنّ خطأنا نحن البشر هو السبب في سقوطنا إلى الهاوية، وفي الحقيقة نحن مجرد بيادق يتم تحريكنا كما تريد تلك الأيادي الخفية في ظل تلبية رغباتنا الجامحة.

كانت تلك الأيادي الخفية هي نفسها تلك الكائنات الغريبة التي اتضح الأمر بعد ذلك أنّها كائناتٌ فضائيّة كانت تسكن كوكب الأرض منذ آلاف السنين، وذلك بسبب ميزة هذا الكوكب دون غيره بالنسبة لهم. ذلك المجهول هو الكائنات التي ظهرت من العدم بعد بنائنا عالمنا في غضون ثلاث سنواتٍ قبل ظفرنا به أخيرًا.

ذلك المجهول هو الأيدي الخفية المحرّكة لكل شيءٍ من البداية، وهو الكائن الذي كان يظهر في حُلمي سابقًا، وسبب حُلمي به هو تلك القوة الخارقة التي تكمن بداخلي؛ فأخيرًا بعد صراعاتٍ كثيرة مع نفسي علمت ماهية تلك القوة، فهذه القوة هي بمثابة موجاتٍ صوتية قوية تستطيع تدمير أي شيءٍ في اتجاه مسار هذه الموجات،

ولقد كسبتها بسبب أنّ تلك القوة هي التي كانت تحمي ذلك الكتاب الذي كنتُ أريد أنْ أظفر به منذ خمسة أعوامٍ؛ لكي نهزم الآليين دون حربٍ تودي بحياة البشر إلى التهلكة، كانت تعود لواحدٍ من أولئك الكائنات الفضائية، ولكن حدث بعد ذلك ما لم يكن في الحسبان، وسعيي وراء ذلك الكتاب الإلكتروني الذي كان في شكل قرصٍ دقيقٍ للغاية هو السبب في حالي الآن بتلك القوة. أمّا عن ظفر الآليين بتلك القوة لتحمي الكتاب كان بسبب ذلك الكائن الفضائي، الذي ظهر في مكانٍ وفي زمانٍ ليس من المفترض أنْ يظهر فيه بعد، فلم يقوَ على مواجهة عالمه الجديد فحزن على فراق أحبائه فتحوّل ذلك الحزن إلى الغضب؛ لأنّه تاه وسط أهوال الكوكب. فمن المفترض أنْ يكون خفيًا عن الأنظار حتى يتم المراد وهو انقراض البشر عن بَكَرة أبيهم؛ فهُم كانوا على علمٍ بوجود القليل من البشر يأخذون تحت الأرض ملجأً لهم؛ ولذلك لم يحِن الوقت بعد، فعند هلاك ذلك الكائن همد الجسد مكانه فانيًا وظلّت قوته موجودة به حتى يأتي مصدر جذبٍ قويٍّ لها فيتم نقل تلك القوة. فكان مصدر الجذب هي الطاقة التي حوّطت به ذلك القرص الإلكتروني (الكتاب) بواسطة الآليين لمنع أي يدٍ تمسه؛ فيسقط كل آليٍّ أو بشريٍّ مصعوقًا بتلك الطاقة، لم يكن في الحسبان أنْ يكون هناك هجينٌ .. بشريٌّ آليٌّ .. بشريٌّ بداخله فولاذٌ قويٌّ، كانت تلك الطاقة هي التي جذبت الموجات التي تخص ذلك الكائن بسبب ارتفاع وضعها في أعلى مبنى في العالم العلوي، ذلك المبنى الذي صعدته لسرقة الكتاب منذ خمسة أعوامٍ، وبالتوالي انتقلت تلك الموجات إليّ بسبب ذلك الفولاذ الذي بداخلي الذي كان بدوره مصدر جذبٍ آخر لتلك الموجات؛ فسكنت بداخلي، أطلقها

حين أحزن ثم يتحوّل ذلك الحزن إلى غضبٍ مثلما كان يحدث مع الكائن الذي كان هو نفسه بحُلمي، لقد حلمتُ به لأنّني أحمل شيئًا يخصه.

طفح الكيل لدى الفضائيين، وتحوّل الهدف الأسمى إلى الانتقام .. الانتقام من جميع البشر دفعةً واحدةً بسبب أنّ هناك واحدًا منهم حاملًا لقوةٍ مثل قوتهم؛ فهذا يهدد بقاءهم في هذا الكوكب الذي اختاروه لهم في السابق؛ لذلك لجأوا إلى حيلةٍ أخرى دون أنْ يكونوا أمام الأنظار كعادتهم، وهي اختيار نفسٍ بشريّة ضعيفة استحوذ عليه الرغبة الجامحة في القوة التي أرادتها .. وهي مريم زوجتي؛ فرغبتها في امتلاك السحر الأسود لتساعدني به في النصر ضد الآليين للظفر بعالمنا كان المنفذ الذي دخل منه الفضائيون للاستحواذ على عقلها بواسطة استخدام حيلٍ أخرى وقوةٍ خارقةٍ أخرى وهي السحر؛ فتم تضليل عقلها لتكون المتسبب في هلاك البشر عن طريق رغبتها في عدم صعودهم إلى الأعلى بهدفٍ كاذب وُهمِث به ألّا وهو الحفاظ على الجنس البشري، وعدم المخاطرة للصعود ضد التنانين.

ولكن... الحقيقة هي أنّ مريم كانت الوسيلة التي سيحقق بها الفضائيون رغبتهم؛ وهو الإطاحة بكل البشر تحت الأرض بهدم الأرض من فوقهم، ولا بدّ من وجودي أيضًا بالأسفل فأنا هو السبب الرئيس للأحداث، ولكن صعودي مرةً أخرى للأعلى للبحث عن وسيلةٍ للسفر عبر الزمن كان سببًا في تأجيل تنفيذ ما يريدونه، وعدم تنفيذه فيما قبل لأنّ الأمر استغرق عامًا ونصف للاستحواذ الكامل على عقل مريم، لقد كانت قويةً عاتيةً ضدهم دون أنْ تعلم الأخيرة، ثم جاءت

سارة بتنينها قلبت كل شيءٍ ضدهم.

كل شيءٍ كان مرتبًا من الخالق، فكرتي في السفر عبر الزمن كانت سببًا قويًا لنظل باقيين حتى تلك اللحظة. لولا ذلك ما كانت ستأتي التنانين إلى عالمنا، وما كانت ستستحوذ سارة على تنينٍ منهم، وما كان انقلب كل شيءٍ، ولنفّذ الفضائيون خطتهم وهي الهلاك الجماعي بواسطة مريم لكنا هلكنا بالفعل لا محالة.

استغرق الأمر منهم ثلاث سنواتٍ أخرى لدراستهم لحيلةٍ أخرى بعد أن فشلت كل الحيل، ولذلك جاء الوقت الذي يظهرون فيه للعلن، ويطلقون واحدةً أخرى من قوتهم وهي التحكم في الطقس وجلب رياحٍ عاتية، أو ضبابٍ رماديٍّ، أو خلق عاصفةٍ لتعصف بالجميع ولا يكون أمامنا منفذٌ سوى البحر؛ فتعصف بنا عاصفةٌ أخرى لكنها أشد قسوةً وعنفوانًا وتكون الإبادة الجماعية وهذا ما فعلوه بالضبط.

المجلس الأبيض

عام 505 ب.ت

كان المجلس الأبيض للمملكة يتكون من ثلاث جلساتٍ على ثلاث ليالٍ، كلّما حدث أمرٌ في المملكة يدفع الملك لانعقاده، ففي وقت الحروب كان يُعقد كل أسبوعٍ، وفي حالة السّلم يُعقد كل ثلاثة شهور، إلّا إذا حدث أمرٌ طارئ فيُعقد في أي وقتٍ مثل هذه الحالة.

الجلسة الأولى

لقد اجتمع المجلس على طاولةٍ بقيادة الملك "كوش" "الثاني من اسمه"، ومعه على بقية الكراسي بالجوار ابناه "أوش" و"جيرالدي"، ومستشار الملك "تشيني" المخلص الذي بلغ من العمر ما فوق الخمسين عامًا، أشيب الشعر ذو لحيةٍ خفيفة رمادية اللون، وقائد الجيوش "موليس" القائد ضخم البنية، أصلع الرأس، ذو ملامح صارمةٍ واعدةٍ في منتصف العقد الرابع من عمره. في حين أنّ "وينجي" الحارس الشخصي للملك واقفٌ أمام الباب للحراسة، حتى جاء الضيف الأخير الذي لم يأتِ سوى في اجتماع المجلس الأبيض العرّاف "أكاسيا"(10) نظرًا لحكمته، فمن العادة للمملكة وقانونها أنْ يحضر المجلس العرّافون لتنبئهم ببعض الأحداث، ويضيفوا بحكمتهم للمجلس مِن نصائح قد تفيد المملكة، مثل أنْ يتجنبوا اليوم هذا من قيام عملٍ ما لأنّه مشؤم، واختيار اليوم ذاك لأنّه قد يكون فيه الطالع مبتسمًا للمملكة، لكنهم ليسوا مثل السحرة الذين يفعلون الأشياء الخارقة لمصلحتهم الشخصية، فتم أخذ السحرة الصالحين الذين لا يجرون وراء مجدهم في سحرهم وأسموهم

العرّافة بدلًا من لفظ السحرة؛ لأنّ الأخير بمثابة الأعداء للمملكة، فكان كل عشرين عامًا يتم اختيار واحدٍ من العرّافين المدربين تحت إمرة العرّاف الذي يحضر المجلس الأبيض، هذا المجلس الذي سُمي بهذا الاسم نسبةً إلى بقعة الأرض التي تشمخ فيها مملكة "لوردلاند" وهي الشمال حيث الجليد الذي يعطي لأرض المملكة اللون الأبيض، بالإضافة إلى رجلين آخرين سيكون لهما في هذا المجلس كيانًا مهمًا.

فهُم على اتخاذ قراراتٍ جديدة بحكم ما حدث حديثًا، فكان الرجلان هما قائدا مدينة "ميجر" التي تقع في جنوب المملكة وابنه "ساتي"(11) خطيب الأميرة "فريسيا".

فكان مضمون الجلسة هو التحالف الأقوى بحكم هذا الزواج الذي لن تشوبه خيانةٌ بين مدينة "هيل" العاصمة ومدينة "ميجر"، وأنّ الأخيرة لا تتهاون في أي وقتٍ تحت أي ظرفٍ من مساعدة العاصمة، وكذلك نفس الأمر مع المدينتين الأُخريين "ستراند" و"ستورم"، ولكن تأتي في المقدمة المدينة الجنوبية، فهي متطرفةٌ قليلًا عن بقية المدن حيث جنوب المملكة، ووارد أنْ تنفصل لقربها إلى عدد جزرٍ أخرى، كما أنّها تتمتع بأراضٍ واسعةٍ وكبيرة تصلح للحروب.

والقرار الثاني كان المعتاد وهو تبني أطفالٍ أولئك العبيد في القصر الملكي؛ حتى يكبروا وهم مزروعٌ بداخلهم سياسات المملكة واحترام قانونها والامتثال لها.

كما أنْ قرر المجلس بالقرار الثالث والأخير من الملك بنفسه أنْ يتم حبس ذاك الغريب؛ حتى يبتوا الأمر فيه مجددًا فهُم لديهم الشك أنْ يكون ذلك الغريب هو جاسوسٌ من مملكة من الممالك الثلاث

الأخرى.

فكان التساؤل مِن ابن القائد "ساتي" موجهًا للملك:

- أي مملكةٍ قد تكون؟

أجاب الملك في عمقٍ وبنظرةٍ ثاقبةٍ بعد تفكيرٍ:

- قد تكون مملكة الغرب.

فسال أحد ولدي الملك "جيرالدي":

- ولِمَ قد تتجرأ مملكة "كونغار" بفعل هذا؟

فقال أخوه "أوش" بعينين يملؤهما المكر والدهاء:

- لأنّها أشرس مملكةٍ في الثلاث، كما أنّهم على خلافٍ معنا منذ أعوامٍ عديدة، بالإضافة إلى أنّهم يأوون السحرة بمملكتهم.

ثم أثبت العرّاف "أكاسيا" وجوده بقوله:

- أخبرني مستشارك "تشيني" يا مولاي، أنّ هناك طفلًا يبلغ من العمر حوالي أربعة أعوامٍ تم إيجاده في ربوع المملكة يشبه رداءه ذاك الذي يرتديه ذلك الغريب.

كان هناك سامعٌ لنقاشات المجلس لكنه متخفٍ عن الأنظار وراء الجدار بخارج قاعة المجلس؛ إنّها الأميرة "فريسيا"، وما لبثت أنْ تعود لأدراجها حتى رأتها والدتها الملكة "لوسيا"، لكن لم تلقَ الأولى من أمها سوى ابتسامةٍ تعلو وجهها كأنّها تشجعها على فعلتها قائلةً لها:

- عليكِ أنْ تعلمي بكل شيءٍ حتى يحين موعدكِ أيّتها الملكة المستقبلية، ولكن دعكِ من أمر ذلك الغريب فلا تجعلِه يشغل بالكِ.

ذلك الغريب القابع في سجنه بواحدةٍ من الزنازين الموجودة بالسجن الكبير الخاص بالمملكة بعد أنْ ضُمِد جُرحه، وهناك مَن لا يحرِّك عينيه بعيدًا عنه من هؤلاء المساجين الموجودين بنفس الزنزانة، ظلّ على هذا الحال منذ البداية وقد لاحظ الغريب ذلك حتى بادله بنفس النظرات المريبة، وظلّ كل منهما ينظر للآخر في نظراتٍ متوعدةٍ دون أي سببٍ حتى قاطعه سجينٌ آخر كان بجوار ذلك الغريب بسؤاله له:

- مِن أي مملكةٍ تكون؟

نظر نحوه الغريب شارد الذهن يحاول أنْ يتذكّر شيئًا، لكن دون جدوى فأجابه في الأخير:

- لا أعرف، ربما لستُ من هنا بالفعل بسبب لباسي المختلف، ربما لستُ من أي مملكة.

استنكر السجين الآخر متعجبًا من كلام الغريب وسأله:

- كيف ذلك وأنتَ تتحدث لغة قارة "أوشانلاند"؟!

أجاب الغريب في ريبةٍ أكثر من أمره:

- لا أعرف حتى كيف أتحدّث لغتكم! وأشعر أنّني أعرف المبارزة بالسيف، وركوب الخيل، وتصويب الرماح رغم أنّني لا أتذكّر أنّني فعلتُ ذلك من قبل.

ثم صمتَ لحظاتٍ وأردف:

- فلتحدّثني عن هذه المملكة؛ لربما أجد فيما تخبرني به ما أبحث عنه، ولماذا أرى في كل شيءٍ أبصره في هذه المملكة رأس التنين؟

حيث كان شكل رأس التنين في مقابض السيوف، وخاتمة الرماح، وقفول الأبواب، وعلى نهاية الأبراج عاليًا وعلى كل شيءٍ كأنّه رمزٌ مهمّ لهذه المملكة، حتى أعلامهم البيضاء وفي وسطها رسمة التنين باللون الأسود.

فشرع السجين يحدّثه عن تاريخ هذه المملكة، وكيف أنّ هذه المملكة في الأساس اسمها مملكة التنين وشميث على هذا الاسم؛ لأنّهم يقدسون التنانين، وجاء تقديسهم لها لأنّ في القديم كان هذه المملكة عبارةً عن قطعةٍ بيضاء بسبب كم الثلج الذي غطى أرضها، كانت قطعة أرضٍ واحدة غير مقسمةٍ إلى مدنٍ مثل الوقت الحال. وفي جزءٍ من هذه الأرض وبالتحديد في أقصى الشمال قبل الجبال البيضاء عند الكهوف، تلك الكهوف التي استخدمها ساكنوها للتواري من شدة البرد وصقعة الجليد، ولكن كان يقبع في أحد هذه الكهوف كائنٌ ضخمٌ ذو جناحين كبيرين، ورأسٍ مدببة، وفمٍ مشقوقٍ طويلٍ به أسنانٌ حادة ورِجلان ذوا مخالب شرسة، وأخيرًا ذيلٌ طويلٌ قادرٌ على هدم جدران هذا الكهف الضعيفة، لقد شارف هذه الكائن الغريب المخيف على الموت ولولا هذا لتم اِلتهامهم جميعًا أو حرقهم؛ لأنّهم اكتشفوا بعد ذلك أنّه ينفث النيران من جوفه. ورغم شعورهم حينها بالخوف الذي سيطر على قلوبهم إلّا أنّهم استشعروا بالدفء قليلًا عند وهج هذه النيران من فِيه؛ فعدلوا عن فكرة نحره حتى يموت

وحده وخصيصًا بعد أنْ اكتشفوا مؤخرًا أنّها ترقد تحت أربع بيضاتٍ، فعلموا أنّها كانت أنثى تخاف على صغيراتها من تحتها.

حتى جاء أحد العرّافين الذين لهم مكانة عالية في المملكة في الوقت الحالي فقط عُرفوا من قديم الزمان بعلمهم وحكمتهم،، وقراءتهم الكثيفة لجميع الكتب والعلوم وحتى الأساطير؛ فعند رؤيته ذلك الكائن قال مشدوهًا: "أنثى التنين"! فقد علم بهذا الاسم من قراءته لكتبٍ قديمة تحكي عن أساطير ومخلوقات أتت من كهوفٍ تقبع في شمال قاع ذلك البحر اللعين حيث مملكتنا؛ إنّه بحر "أوشا" العظيم الذي تطل عليه الممالك الأربعة. وكانت هذه الحيوانات شبه منقرضةٍ؛ فيبدو أنّ هذه الأنثى كانت الأخيرة من نوعها.

مرث الأيام مستشعرين بالدفء من هذه النيران حتى ماتث أنثى التنين، وبعد أيامٍ فقست البيضات لتخرج من ثناياها أربعة تنانين صغار، اتضح مع مرور الوقت أنّهم ذكران وأنثيان؛ فقرر ساكنو الكهوف أنْ يربّوا هذه التنانين لعلها تكون مصدر دفئهم من هذا الزمهرير، ولا سيّما أنّهم لا يمثلون خطرًا عليهم كونهم صغارًا، ولربما ينجحون في اكتساب طريقٍ لصداقتهم مع تربيتهم فيصبحون قوةً لهم، حتى كبرث التنانين وأصبحث ضخمةً وأخذث في الطيران والتحليق بعيدًا عنهم؛ لتبحث عن أكلها بنفسها أو لتذيب الجليد للبشر فيشعروا بالدفء، أو إذا أرادوا الخروج من كهوفهم، وعلم بقية ساكني هذه الأرض من شرقها لغربها وتزاوجث التنانين وزاد عددها وأصبحث تطير في بقاع هذه الأرض كلها، وتأسست المدن وأصبحث مملكةً يخافها الجميع لامتلاكها قوة مثل هذه القوة، وأصبحث هذه

التنانين السلاح الناري والفتّاك والشرس لأي عدوٍ يفكّر غزو هذه المملكة، ولا سيّما لوجود الأسطورة التي تُحكَى عن العلاقة التي بُنيت بين التنين وصاحبه، إنّها علاقة الدم التي إذا تلامس واختلط دماؤهما فيرى التنين ما تعرّض إليه صاحبه في غيابه، ويدرك صاحبه ما حدث للتنين حين كان بمفرده يشعران ببعضهما وينظران بداخل بعضهما البعض، لقد كان السلاح الأقوى حتى جاء التاريخ المشئوم وتم انقلاب كل شيء.

أخذ الطمع يغزو قلوب وعقول الملوك من الممالك الأربع؛ فكل مملكةٍ فكرت في الاستحواذ على كل شيءٍ لأنْ اتضح فيما بعد أنّ كل مملكةٍ أصبحت تملك سلاحًا فتّاكًا مثل التنانين، لكنها لم تكن تنانين فلكل مملكةٍ سلاحها الخاص بها، فكل مملكةٍ أرادت الريادة والاستحواذ على جميع الأسلحة لتكون سيدة قارة "أوشانلاند". وإبان ذلك، حدث شيءٌ غريبٌ في الهواء أو السماء لا يعرف أحدٌ مصدره كان بمثابة ضوء أزرق، وبعد ذلك مباشرةً تم انقراض التنانين مرةً أخرى، لكن هذه المرة كان دفعةً واحدةً، فكان هذا الشيء الذي قسَم ظهر مملكة "لوردلاند" منذ خمسة قرون حتى تم إعادة التاريخ، وتحديث تقويمٍ جديد للمملكة حتى هذا التاريخ الحالي عام 505 ب.ت أي بعد التنين.

كانت خمسة قرونٍ عادث فيها المملكة قويّةً لكن ليس مثل قوتها السابقة، لكنها نجحت في أنْ تكون رائدة قارة "أوشلاند" مرةً أخرى.

انتهى السجين من سرد تاريخ المملكة، بعد أنْ علم الغريب بجميع أفراد الأسرة الملكية حتى باغته الأخير بسؤالٍ جاء في ذهنه للتّو

ويبدو أنّه يخبئ شيئًا في جُعبته لا يعلم أحدٌ به سواه:

- وما يفسر وجود هذه النسور والصقور في سماء المملكة بكثرة؟

لأنْ لاحظ هذا الغريب منذ دخوله هذه المملكة عددً كبيرًا من النسور والصقور تحلّق فوق رأسه في السماء، فأجابه السجين:

- تم اصطياد النسور والصقور من البراري، والغابات، والجبال المحيطة بالمملكة، وتم تدريبهم بعد اختفاء التنانين لتحل محلها حتى أصبحث هذه الطيور الجارحة جنود المملكة الطائرة وكشافاتها.

استمع الغريب للسجين وعرف كل ما أخبره به السجين الآخر، وأثناء ذلك كان السجين الثالث المريب الذي لا يكل من التحديق في ذلك الغريب سامعًا ومنصتًا تمامًا لكل ما قاله السجين ولا زال محدّقًا في الغريب، ولا يعلم الأخير لماذا يفعل المحدّق هذا ومَن هو؟ فيبدو من المملكة لأنّه يرتدي نفس لباسهم هذا كل ما يعرفه الغريب عن هذا المُحدِّق.

***

الجلسة الثانية

اجتمع المجلس الأبيض للمرة الثانية للبت في أمورٍ أخرى أكثر أهميةً ولا سيّما بالنسبة للملك؛ فهناك أمرٌ يشغل فكره ويؤرق منامه .. إنّها النبوءة الملعونة.

- "حتى يصبح الجميع واحدًا."

قالها الملك في توتر وارتيابٍ، فقال له العرّاف "أكاسيا":

- لا تغفل عن أنّ النبوءة لا زالت غير مكتملةٍ، ومن المحتمل أنْ تحمل في طيّاتها معانٍ أخرى أو مصطلحاتٍ أخرى تنفي هذه الجملة، أو قد يكون هناك إشارةٌ ما لفهم النبوءة بشكلٍ صحيحٍ إنْ كان ما فهمناه بالشكل الخاطئ.

قال الملك في غضبٍ:

- لن أنتظر حتى يباغتني الجميع على غفلةٍ من أمري ويوحد ممالك القارة.

قال المستشار "تشيني" في حكمةٍ:

- يا مولاي، قد لا يكون في النبوءة هذا المقصد.

سأل الملك ولا زال الغضب يعتلي جبهته:

- وما قد يكون غير ذلك؟ ألديكَ مفهومٌ آخر يا مساعدي؟

عاد العرّاف ليقول:

- لا تغفل أنّ النبوءة بها علامات، وهذه العلامات لم تحدث بعد.

قاطعه الملك في غضبٍ وقال:

- ولن تحدث!

قال الأمير "جيرالدي" محاولًا تهدئة حدة النقاش:

- ماذا لو كان ذلك الغريب جاسوسًا بالفعل، ولكن ليس تابعًا لأيٍّ من الممالك؟

ثم صمت قليلًا وأردف بعد تفكيرٍ:

- ماذا لو كان من مناصري النبوءة؟ فالنبوءة بدأت تنتشر بالفعل في ربوع المملكة.

صمت الجميع في توجسٍ ممّا قال الأمير، حتى كسر ذلك الصمت الأمير الآخر "أوش" قائلًا في فخرٍ:

- ماذا لو قطعنا رأس ذلك الغريب وعلّقناه على مرمى أنظار الجميع؛ ليكون تصريحًا شديد اللهجة إلى كل مَن تُسوِّل له نفسه ويحاول أنْ يخدع البلاد ويناصر هذه النبوءة؟ كما أنّه ساحر، ومصير السحرة الموت.

انقشعت غيمة التوجس التي غطت عقول الجميع حتى ظهر بدلًا منها سحابة الاندهاش لما قاله، حتى أجابه قائد الجيوش "موليس":

- وماذا لو كان ليس له علاقة بالنبوءة؟ اسمعوا، كم أريد أنْ أفقده حياته، ولكن ليس قبل أنْ يكون هناك دليلٌ قاطعٌ على أنّه من مناصري النبوءة. كما أنّني أتفق كونه ساحرًا فلا بدّ من حرقه بعد أنْ نريح عقولنا بما يشغلها.

نهض الملك من جلسته، وعلى إثرها وقف الجميع منتظرين ما سيُقدم الملك على فعله، كان الصمت سيد المكان حتى حسم الملك القرار وقال في حسمٍ:

- أُعلن أنا الملك "كوش" الثاني من اسمه أنْ يُعدم كل مَن تجده المملكة من مناصري النبوءة بعد وجود الدليل القاطع على خيانته،

كما أعلن تحريم التحدُّث في أمر النبوءة بين شعب المملكة حتى لو بقصد المتعة الجدلية، سيقدّم مَن يفعل ذلك للمحاكمة العلنية، أمّا عن ذلك الغريب فسنحدد مصيره في الجلسة الثالثة غدًا.

وبعد أنْ ألقى الملك بإعلانه اهتز بداخله، وصارتْ رعشةٌ في يديه فاختل توازنه قليلًا؛ ممّا أثار ذلك انتباه الحاضرين فيبدو أنّ الملك ليس بخيرٍ وعليه أنْ يرتاح، وهذا ما جعل المستشار يأمر الحاضرين بالانصراف وهمّ الجميع في فعل ذلك سواه فاقترب من الملك ليسنده، فنظر له الملك وقال:

- لطالما اعتبرتكَ صديقي يا "تشيني"، وأنتَ الأقرب إلى قلبي وأخبركَ بما يلج بقلبي، ورفضي هذه النبوءة أنّني عالمٌ بداخلي أنّ مملكة "لوردلاند" ليست قوية مثلما كانت في العهد القديم؛ بسبب غياب سلاحنا القوي، وهذا ما يجعلني أتشكك من قول النبوءة "حتى يصبح الجميع واحدًا". فأنا أعلم وكل قادة المملكة تعلم أنْ لن تكون هذه المملكة هي الرائدة في هذا العصر، ولن تقوى أنْ تكون قادرةً على توحيد الجميع كما تزعم النبوءة، لن أكون الملك الذي سيوحد الجميع ولا نسلي ولا أي ملكٍ قادم ليحكم هذه المملكة، التنانين هي الوحيدة القادرة على فِعل ذلك. وفي عصرٍ لا زالتْ تمتلك فيه الممالك الأخرى أسلحتهم ستكون واحدةً منهم لا محالة، ولهذا أريد نسيان هذه النبوءة من الذاكرة وإلى الأبد، ولتبقى مملكة "لوردلاند" هي الرائدة في أنظار الجميع كما نزعم، ولتبقى كل مملكةٍ منفصلة سيدة نفسها.

استمع المستشار لِما كان يختلج في قلب الملك، ولكن استمر التعب

وضيق التنفس على الأخير، وذلك ما دفع المستشار إلى قوله للملك أنّه يجب أنْ ينال قسطًا من الراحة؛ فنادى الملكة وأخبرها بما حدث، وأوصاها أنْ تهتم بالملك في هذه الليلة إلى أنْ ينفض المجلس وتنتهي جلسته الثالثة.

***

كانت الأميرة في هذه الليلة متيقظةً، ولم يدلف النوم إلى مخدعها ولم ينل جفناها راحةً لما يختلج به قلبها وتفكيرها في ذلك الغريب الذي نجح في إثارة كيانها، ممّا قد رأته منذ يومين فكان هو شغلها الشاغل؛ تريد أنْ تعرف مَن هو ذلك الشخص الغريب؟ وما هي قصته؟ وقادرٌ على ماذا أيضًا سوى الذي أبصرته؟ كما أنّ ما سمعته في الجلسة الأولى ممّا يخص ذلك الغريب، ثم قول أمها الملكة لها كان يعصر قلبها عصرًا؛ فهي على يقينٍ من إذعانها أنّه ليس بساحرٍ فهي عليمةٌ بأمر كيف يقوم الساحر بسحره وألاعيبه.

ففي قرارة نفسها تريد أنْ تفعل شيئًا ما، لكنها لا تعرف ولن تستطيع، فكم تريد أنْ تفعل الصواب لكنها لا تحبذ أنْ تكون سببًا في فعل شيءٍ قد يكون وراءه تهديدٌ للمملكة، حتى وإنْ كان ذلك الشيء هو الصواب عينه وأنّها على يقينٍ بذلك.

***

الجلسة الثالثة

انتهت الليلة السابقة بسوادها القاتم، وعقدت الجلسة الثالثة والجميع آخذٌ كرسيًا من كراسي طاولة المجلس بقاعة المجلس

بنفس العدد في كل مرةٍ مع اختلافٍ كان شديد الغرابة، فكان الجميع يتساءل في صمتٍ حول هذا الاختلاف بنظراتٍ تملؤها الحيرة حتى سأل المستشار "تشيني":

- أين الملك؟

لتجيبه الملكة "لوسيا" وهي التي كانت بمثابة الاختلاف حيث حضرت بدلًا عن الملك:

- الملك تعرّض لوعكةٍ صحيةٍ منذ الأمس، وأرى أنّكم جميعًا لاحظتم أرقه بعد أن فُضت الجلسة.

ثم وقفت واثبةً من كرسيها، وقبضت بيدها اليمنى لتريحها على الطاولة في ثباتٍ وأردفت:

- ولذلك سأقود الجلسة نيابةً عنه ولكم هذا التصريح.

حينها ألاحت لهم من يدها الأخرى الخاتم الذي لطالما كان بحوزة أحدٍ غير الملك؛ فهذا يعني أنّه تصريحٌ صادق مصدق من الملك ليتولى حامل الخاتم الأمور في غيابه، ثم استرسلت:

- ولذا سيكون أول قراراتي هي خروج فرسان "التندرا" بقيادة الأميرين "جيرالدي" و"أوش"؛ لنشر الأمر الذي يخص النبوءة والقبض على أي أحمق يتحدّث بها، ستجوب الكتيبة بقيادة الأميرين ربوع المملكة بأكملها.

كان المقصد من حديثها هي إبعاد الأميرين من القصر بل ومن العاصمة "هيل" قدر المستطاع؛ لتنتهز هذا الوقت في البدء في تنفيذ مهمتها وهي الظفر بالعرش الملكي من بعد الملك، وذلك بإعلان

الأخير لذلك مع غياب الأميرين أطول فترةٍ ممكنة؛ ولذلك قصدت في مسعاها هذا كتيبة فرسان "التندرا"(12) فهؤلاء الفرسان هُم أعلى رتبةً في جيش المملكة، ولهم عملياتهم الخاصة بهم؛ فهُم لا يخرجون سوى للأعمال القاسية التي صعبت على غيرهم من الفرسان الأقل رتبةً أو الجنود وهذا ما جعل المجلس ينتفض إثر ما أعلنت عنه الملكة؛ فاندهش الجميع فوْر سماعهم كتيبة "التندرا" تلك الكتيبة التي أرعبت نفوس الأعداء قبل العُصاة والعبيد؛ ولأنّ الملكة تعلم في قرارة نفسها أنّهما لن يعودا وذلك بسبب أنّ لها تابعين من تلك الكتيبة حرضتهم على قتلهما أثناء تنفيذهم لأحد المهام؛ ليبدو الأمر وكأنّهما تعرضا لاغتيالٍ من أيدٍ خفية أثناء ترحالهما مع البقية، ليتم ذلك بعيدًا عن عيون بقية الكتيبة أولئك المخلصون للملك.

صارت الهمهمات بين أعضاء المجلس ليتحدّث العرّاف "أكاسيا" معارضًا:

- هذه الكتيبة لا تخرج سوى للأمور التي تصل لأعلى درجةٍ من القساوة، أمّا تلك الأمور لا تستحق هذه القوة، إنّها بسيطة ويستطيع فعلها الدرجة الثانية أو حتى الثالثة من الفرسان.

تأهبت الملكة للرد وحدث ما قطع ذلك؛ لقد فُتِحَ باب القاعة على غفلةٍ من أمرهم ممّا جعلهم ينظرون في لهفةٍ وقلقٍ خلفهم فقد رأوا ما لم يكن في الحسبان؛ لقد أبصروا ما قد جعل أفواههم تُفتح على مصراعيها، وتشهق النفوس حتى آخرها، وتجحظ العيون إلى أنْ كادت تخرج من مقلاتهم، وكان أكثرهم الملكة نفسها؛ فهي في صاعقةٍ حلّت بكيانها بأكمله لأنّها تبصر زوجها الملك مُقبلًا يترنح

يمينًا ويسارًا بالكاد رجلاه تحملانه، مشيرًا نحوها والدم سائلٌ من عند سترة صدره! لقد كان السكين مغروزًا في منتصف صدره! قابضًا على نَفَسَه لا يستطيع الخروج من رئتيه فاتحًا فاه محاولًا التحدُّث، وأخيرًا قال بصوتٍ متحشرج:

- النبوءة حقيقية .. وظهرت أولى علاماتها.

ثم سقط الملك مع آخر نفسٍ له .. مات الملك.

***

هرول الجميع للخارج بعد ما أصابهم من الحزن على حياة الملك التي أُزهِقَت، كان الجميع مذعورًا .. مَن تسلل إلى القصر وقتل الملك؟! أو مَن الخائن الذي قتل الملك؟! مَن الذي يقبع في الخارج وكان متربصًا للملك على حين غِرة وقت انعقاد الجلسة؟

الجميع يتساءل، الجميع يبحث في كل أركان القصر، تأهب الحرس والجنود، ثم تذكروا السجن .. ذلك السجن الذي يقبع خلف أسوار القصر، وحين كان في طريقهم لخارج القصر وفي مقدمتهم الملكة ومعها الأميران، والعرّاف، والمستشار، وقائد الجيوش رأوا الصدمة التي صعقت بكيانهم جميعًا .. شاهدوا ما لم يتوقعوه أبدًا، حدّق الجميع فيما كان يحدث أمامهم.

لقد رأوا الأميرة "فريسيا" ومعها ذاك الغريب الذي كان مسجونًا، لقد كانت تقوم بتهريبه من السجن، كانت الأميرة قابضةً في يدها سيفٌ صغيرٌ كان يخص أباها الملك الذي لطالما كان يدسه تحت عباءته الملكية.

صُعِقَتْ الملكة ممّا كانت تفعله ابنتها واهتز كل كيانها، وصرخت قائلةً آمرةً:

- لقد قتل الغريب الملك .. اقتلووه.

آدم

عام 2227م

هذا ما عرفته من الكائنات الفضائية التي ظهرت لنا من العدم مع ذلك الضباب الرماديّ الذي أغشى رؤيتنا؛ لقد أجابوا على كل ما كان يتساءله عقلي، وحُلّت كل الألغاز، وعرفت كل ما كان غامضًا لي، حتى أنّني علمت آخر الحقيقة وهي أنّ هذه الكائنات الفضائية كانت تعيش في كل مكانٍ متخفيين عن الأنظار بطريقةٍ ما، وكان معقلهم الأساسي تحت الأرض .. تحتنا .. فكان ملجأنا "أرض الظلام" هو سقفهم.

ولكن تبقى سؤالٌ واحدٌ جاء بعد كل الإجابات .. لماذا؟ لماذا يريدون انقراض البشر من وجه الكوكب؟ ولكن لم يعد هناك وقت للسؤال قبل الإجابة، بل حان وقت تنفيذ ما يسعون إليه من البداية .. المسح الكامل، ولكن بطريقةٍ تبدو وكأنّ الطبيعة هي التي فعلت ذلك بنا، ولم نستطع التصدي أمام العالم العلوي وأهواله، لقد تحكموا في الطبيعة وجلبوا الضباب الرماديّ المخيف مع عاصفةٍ قويّةٍ شديدة الإعصار لتعصف بنا جميعًا، ولا مهرب لنا سوى ما يكمن خلفنا .. البحر الشاسع المخيف بأمواجه الثائرة إثر ما يحدث في الطبيعة، لقد تمكنوا أيضًا من هياج البحر فعَلَت أمواجه منتظرةً أنْ نهرب لها كأنّها الملجأ الأخير لنا لإنقاذنا من هذه العاصفة القاتلة، ولكنها في الحقيقة هي بالفعل ملجأنا الأخير لتلتهمنا بين ثناياها وينهشنا الموت حينها، وهنا تبدو الحبكة محنكة.

تملّكنا الذعر وسقطت قلوبنا تحت أقدامنا، العاصفة أمامنا ..

والبحر الهائج خلفنا ولا مهرب آخر لدينا؛ لأنّ التالي الذي فعلوه كان أسوء فصلٍ يحدث لنا، بل أشرس وأعنف لحظاتٍ مضت بعد كل ما عانيناه وذُقناه من ويلات الحروب، لقد أطلقوا موجاتهم الصوتية بعنفٍ لا مثيل له ولكن ليس علينا بل على كل ما كان أمامهم؛ الأرض .. العالم العلوي .. والسفلي .. لقد أطلقوا عاليًا وأسفل .. لقد هُدمت المباني .. وذُعرت التنانين بزئيرها العالي بشدةٍ الذي سَمِعَ من خلفنا عند ذاك الكهف رغم بُعد المسافة، لكنه كان زئيرًا مسحوبًا بخوفٍ وعدم أمانٍ بل وغضبٍ عارم، لقد شُقّت الأرض أسفلنا من أمامنا وارتفع باطن الأرض حتى حمل بين ثناياها كل مساكنًا التي هجرناها بالأسفل، وتفككت جميع أجزاء الآليين الذين يربضون في هذه الأنحاء حيث سِجنهم الذي زُجّوا به ما عدا بعضهم الذي نعق به حقًا بعدما تقدموا بمد أياديهم في المساعدة.

لقد كان الهدف من هذه الموجات الصوتية خاصتهم التي تشبه قوتي هو دمار أرض الظلام عن بَكْرة أبيها؛ كي لا تعد صالحةً لأنْ تكون ملجأنا مثلما نفعل كل مرة، لقد كان الهدف هو دمار العالم العلوي بالسفلي كي لا يكون أي ملجأ لنا، لقد أرادوا أنْ نكون في جوف البحر، أو يلتهمنا ما يسكن تحت البحر من أهوالٍ وكائناتٍ شرسة، لقد أرادوا أنْ يبدو الأمر كأنّهم ليس لديهم يدٌ في شيء. إنّها عاصفةٌ، ثم خوفٌ، ثم هروبٌ، ثم بحرٌ، ثم غرقٌ وموتٌ، لقد كان الهدف هو مطاردتنا من قبل هذه العاصفة؛ كي نتقهقر لنعود أدراجنا خلفنا نحو البحر وأمواجه العاتية التي ستعصف بنا.

ركضنا بل وهرولنا في ذعرٍ وخوفٍ نحو آخِر أملٍ كاذب أمامنا .. وهي السفن، تلك السفن السبع التي أتى بها لنا قراصنة البحر منذ

خمسة أعوامٍ، نعم إنّها سفنٌ كبيرةٌ وضخمة وتحمل على متنها الآلاف لكنها بالتأكيد لن تسعنا جميعًا، هرول الجمع نحو السفن محاولًا كل فردٍ ضمان مكانٍ له وعلى متن أحد السفن ليشق طريقه نحو البحر.

لا أحد يرى مَن بجواره، العاصفة عنيفة والإعصار مدمر والضباب غاشٍ، كل فردٍ لا يفكّر سوى في اللحاق بالسفن قبل أنْ تمتلئ، ليس هناك وقتٌ ليأخذ كل فردٍ مَن برفقته، بل لا يرى أحدٌ مَن يرافقه، إنّها النهاية التي فاقت كل القوات التي هزمناها وكل الخطر الذي تعرضنا له .. النهاية المحتومة لا محالة.

كل ما أعلم به حقًّا أنّ ابني "يوسف" كان ممسكًا بيدي منذ البداية، ولم أفلت يده حتى اللحظة ولن أفلتها ولا أعلم شيئًا عن "مريم" التي كانت بحوزتها طفلتي الرضيعة "وعد".

ظللتُ قابضًا على يد ابني ثم حملته على كتفي وركضتُ به في أقصى سرعةٍ؛ فسبقتُ جميع البشر لإنّني أسرع منهم حتى كنتُ بمحاذاة المرتدين الذين في مثل سرعتي، فكرتُ سريعًا أنّ كل أحبائي يركضون بالخلف يحاولون المجاراة لكنهم لن يستطيعوا، وإنْ نجحوا في ذلك فلن يجدوا لهم مأوىً في السفن التي ستمتلئ في القريب العاجل.

حين يتعلق الأمر بالنهاية التي تبعد خطوة وبالموت المحتم والعمر الذي سيفنى بعد لحظاتٍ، فلن يفكّر الإنسان سوى في ابنه ثم نفسه ثم لا أحد؛ لأنّ ليس هناك وقتٌ لأي أحدٍ آخر، ليس هناك شيءٌ سوى المحاولة في التعلق في أملٍ ضعيفٍ دقيقٍ لا يُرى بالعين المجردة في البقاء حيًّا.

وصلتُ إلى أقرب السفن لي، وشرعتُ في التسلق وابني على كتفي فكان بمثابة العائق الذي جعلني أتباطأ بعض الشيء وأعافر في تسلقي للسفينة، لكنني لن أتركه أبدًا سأحاول مجاهدًا حتى إنْ جعلته على متن السفينة، ثم بعدها أقفز مرةً أخرى للعودة في براثن العاصفة أو السقوط في البحر في ثنايا الأمواج الهائجة.

وما لبثتُ حتى شعرتُ أنّ ابني شرِق من على كتفي فلم أعد أشعر بثقله، فرفعتُ نظري للأعلى حين شارفتُ سطح السفينة فصُعِقتُ مِمّن رأيتُه؛ هل هذا الوقت الذي سيحقق فيه أمنيته التي لطالما سعى لتحقيقها؟ هل هذا الوقت الذي سينفذ فيه ما جاهد لأجله طيلة خمسة أعوامٍ؟ هل هذا الوقت الذي سيسوي فيه "شهاب" كل ما فعلناه به وبآلييه في الحربين اللذين كانا بيننا؟

لقد كان "شهاب" مِمّن قاموا بتقديم طلبٍ لمد يد المساعدة في البناء ومعه بعض الموالين له، وبسبب ما لاحظناه على سلوكه القويم خلال فترةٍ طويلة من ثلاث سنوات البناء، وبسبب اعتقادنا أنّهم لم يعدوا كالسابق ولم يعدوا يقدرون على فعل شيءٍ فلن يقوم بأي خيانةٍ، وإنْ فعلوا سيُقام عليهم الحد على الفور فالأمور اختلفت، ولكن لم يكن في حُسباننا ما حدث اليوم، لم يكن في حُسباننا كل ما علمناه للتّو، لم يكن في حُسباننا أنْ يأتي وقتٌ ستكون الفرصة الوخيمة لـ "شهاب" ليخون ولن أقدر الآن أنْ أفعل شيئًا؛ لقد أنتشل ابني من على كتفي وحدّق فيّ وطالت النظرات بيننا حتى قرر تنفيذ فعلته.

لقد مدّ يد المساعدة من جديدٍ وحثني على الصعود، فساعدني

على ذلك حتى أصبحتُ على متنها أنا وابني مُحدِّقًا في عينيّ "شهاب" غير مصدقٍ أنْ يفعل ذلك.

رُفِعَتْ الأشرعة عاليًا حتى السماء، وشُدَتْ المجاديف الآلية التي تربض تحت قاع السفينة، ودراث المولدات المقومة للسفن وشرعت في طريقها تشق الأمواج الثائرة، ولولا ثقل حجم السفن وضخامتها لكانت انقلبت إثر ما تفعله الأمواج بها، لقد كنا نتراقص مع السفينة علوًا وهبوطًا مثل تلك السفن الأخرى من حولي التي تتراقص أمام عيني وسط أهوال البحر، فتعلوا بها الأمواج ثم تسقط هابطةً فيدخل الماء بغزارةٍ إلى داخل السفن فنبتل والماء ينزل من على جبهتنا لتبهث رؤيتنا ممًا أمام أعيننا، ثم تعود الرؤية واضحةً من جديدٍ حتى تعلو السفينة ثم تهبط ثم يدخل الماء ويعاد كل شيءٍ كما هو مراتٍ عديدة.

ظللنا على سطح البحر ستة شهورٍ نأكل فيها من أسماك البحر، فكانت السفينة مزودةً بلوازم الحياة والبقاء غير الكافي.

لم تخلُ الحياة من متاعب مع مواجهتنا أهوال البحر وكائناته المفترسة التي تكمن تحت مائه، وإنْ قلّتْ الأسماك فنتشاجر فيما بيننا على مَن يأكل الطعام الموجود، تفشى الجوع، والطمع، والمقاتلة من أجل البقاء حتى لو سنقتل بعضنا البعض، لقد تدهور الحال ونحن على متن السفينة، كان البعض يلقي بالآخر في مياه البحر كي يقل عددنا فيكفي طعامنا.

كم تساءلتُ عمّا تواجهه زوجتي، وابنتي، أختي "سارة"، وصديقتي "دينا"، أين خالي؟ هل نجح صديقي نوح؟ حتى "أيوب" رغم أنّني لا

أبالي له إلّا أنّني تساءلت عنه.

تاهت السفن الأخرى منذ الأسابيع الأولى لنا ونحن على سطح البحر، ولم تعد في مرمى أبصارنا؛ فالبحر شاسع ورهيب فلم تهدأ الأمواج، ولن تهدأ أبدًا بل ستزيد إثر ما رأيناه للتّو فما رأيناه كان في قمة الرعب لنا، فما أبصرناه هو الموت الثاني المُحقّق بعد هروبنا من الموت الأول، إنّها عاصفةٌ مائية تعصف بكل شيءٍ أمامها لتشكّل دوامةً كبيرةً من ماء البحر الهائج ليطول ارتفاعها حتى السماء، كما تشكّل عمقًا مخيفًا حتى أسفل البحر ليدور في عنفوانٍ يريد أنْ يلتهم أي شيءٍ سيمر من خلال هذه الدوامة؛ فيغوص في عمقها بالأسفل أو تفتك به قبل أنْ يحدث أي شيء.

ليس أمامنا حلٌّ آخر، سنعبر من خلال هذه العاصفة، من المرجح أنّ السفن الأخرى التي لم نعد نراها دلفت وعبرت أمامنا وابتلعتها الدوامة إلى الأسفل في أعماق دورانها المخيفة، أمسكت بابني يوسف جيدًا وتقدمت سفينتنا إلى العاصفة، تخبطت من شدة العاصفة دلفنا إلى الدوامة داخل الفجوة، ثم جذبنا إعصارها الدوار فابتلعتنا الدوامة إلى الأسفل .. إلى العمق .. إلى ما تحت البحر .. ثم لا شيء.

***

عام 505 ب.ت

وسط الظلام يغشي الضباب الأسود كل شيء، ليس هناك صوتٌ واحدٌ لبشريّ، إنّها أصواتٌ مخيفة مرتعدة يتأرجح صداها في الأرجاء بين كل حينٍ وآخر.

استيقظ ولم يتذكّر شيئًا، لا يتذكّر آدم مَن هو؟ وما هُويته؟ ومن أين جاء؟ وأين هو الآن؟ قد مُحيث ذاكرته وأصبح عبارةً عن صفحةٍ ناصعة البياض ستُكتب فيها أحداثه من جديدٍ، ليكون أول سطرٍ في أول صفحةٍ في هذا البياض هو الخوف الذي يتملكه، والتساؤل الذي سيعصف بعقله عن صوت الزئير المخيف المرعب الذي وصل إلى أذنيه بحدةٍ كبيرةٍ حتى سدّ أذنيه من شدة هذا الصوت، خبّأ وجهه بين ركبتيه متقوقعًا، ثم هدأ الصوت وعمّ السكون فترك أذنيه ببطءٍ ورفع رأسه رويدًا رويدًا لينظر ما حوله، لكنه كان الظلام الدامس، ثم حدث ما فُزِعَ له ما وقع قلبه عن قدميه لقد عاد الزئير مرةً أخرى لكنه أشد قوةً، فكان هذه المرة مصاحبًا بنارٍ شديدة اللهب تخرج من فم كائنٍ غريب ضخم للغاية، متوحش أسود اللون وعينان حمراوان وبه جناحان كبيران وذيل طويل، لكنه مقيدٌ بسلاسل، أنارت هذه النيران ظلام المكان حتى تبيّن كل شيءٍ أمامه، إنّه بداخل كهفٍ كبيرٍ ضخمٍ تأتيه المياه من كل جانب، فعلم آدم أنّه يؤدي إلى البحر الذي يسمع صوت عجيج أمواجه بالقرب بالإضافة إلى أنّه اكتشف فيما بعد أنّ ملابسه مبتلة؛ ففطن أنّه كان عائمًا على السطح البحر وجرفته الأمواج إلى داخل هذا الكهف حتى وجد هذا الكائن الذي يراه لأول مرةٍ في حياته.

لم يعلم آدم أنّه تنينٌ مثل تلك التنانين التي كانت موجودةً في عالمه التي أتت من الأصل من كوكبٍ آخر، لا يتذكّر كل هذا وبالتالي لا يعرف أنّه أمام تنينٍ ضخمٍ أكبر في الحجم من تنين أخته الذي وصفوه بأنّه الأضخم، لقد كان هذا التنين يفوقه مرتين في الضخامة.

ظلّ التنين ينفث النيران من فمه الآتية من جوفه في غضبٍ حتى أثار حنق آدم وزاد خوفه ورعبه ولم يعد يتحمل وأنّه أمام موتٍ محقق، ومع كل هذه المشاعر المختلطة صرخ آدم في غضبٍ فنتج عن ذلك اهتزازٌ طفيفٌ بالكهف فأخاف هذا التنين وهدأ مرةً واحدة دون أنْ يزأر أو ينفث النيران مرةً أخرى.

لم يكن يعرف آدم أو يتذكّر أنّه يمتلك بداخله قوةً تستطيع أنْ تدمر مدينةً بحالها؛ بالأحرى أنّه لم يعد يتذكّر كل المعلومات التي علمها من الكائنات الفضائية التي كانت تعيش تحت الأرض لسنواتٍ، تريد أنْ تعصف بالجنس البشري من على وجه كوكب الأرض، ولكن هذا صار في الماضي؛ فهو الآن على سطح أرضٍ غير معروفة، إنّه في عالمٍ آخر لم يعرف عنه شيئًا حتى وإنْ لم يفقد ذاكرته.

لقد سنحت له الفرصة للهروب من هذا الكهف المخيف، لقد استغلها ليلوذ بالهروب من براثن هذا الكائن الناري المخيف، وقبل أنْ يخرج من الكهف ألقى نظرةً على التنين؛ فانتبه أنّ أحد قيوده تدمرت وفُكّت إثر الزلزلة لكنه لم يبالِ، لم يهتم سوى بالهروب، فخرج من الكهف ليجد نفسه وبالكاد يرى من الظلمة أنّه على سطح جزيرةٍ وسط البحر يحاوطها الضباب الأسود من كل جنب، فرمى بصره

نحو الشمال حيث يقف مكانه فأبصر معالم مملكةٍ .. إنّها مملكة "لوردلاند".

ولكن كان هناك ضوء الشمس؛ فاندهش حين وجد أنّ الشمس تنير في تلك المملكة، أمّا الجزيرة التي هو بها لا يوجد سوى الضباب الأسود، لقد كانت مملكةً بلا شمس.

لقد كان على الحافة الشمالية لجزيرةٍ كبيرةٍ واسعة تبلغ مساحتها ضعف مملكة الشرق، تتوسط ممالك أربع تتفاوت حجمها من حيث المساحة، لكنها تميل أكثر نحو الشمال. وبسبب أنّ الأمواج رمته في شمال الجزيرة وجد هذه المملكة الأقرب له على مرمى بصره؛ إنّها تبعد عنه مائة كيلو، فشدّ الرحيل إلى هناك بعد أنْ وجد حطام سفينةٍ ما، لا يعلم ما حدث بها، فلم يتذكّر أنّ هذا الحطام هو حطام السفينة التي كان على متنها منذ قليل، ثم وجد على سطح المياه بعد أنْ اقترب نحو الشاطئ جثث موتى، فلم يعلم أنّ هذه الجثث هي من أناسٍ من عالمه، كان منهم البشر ومنهم الآليون المرتدون؛ فأحاد بنظره نحو الجزيرة مرةً أخرى يتأمّل فيها فوجدها سابحةً في ظلام الضباب الأسود رغم وجود الشمس، لكنه يفني وجود أشعتها داخل الجزيرة فتعجب ممّا يبصره، وتساءل كيفية وجود ضبابٍ أسود مخيفٍ بهذه الكثافة بشكلٍ ثابت يحيط الجزيرة من جميع الجهات. لو كان يتذكّر شيئًا لكان شبّه هذا الضباب بالضباب الذي كانت تجلبه زوجته "مريم" في عالمه.

أخذ هذا الحطام وفرشه على سطح المياه وفرش نفسه عليه، وشقّ طريقه وسط المياه إلى الشمال حتى اقترب الليل، وكلّما غاص

إلى الشمال شعر بالبرد أكثر، فلم يعد يتحمّل الصقيع الذي يزيد مع كل تقدمٍ يتقدمه نحو المملكة، حتى جاء العون في سواد الليل الحال؛ كانت سفينةً صغيرةً تابعةً لهذا العالم. طلب المساعدة لكن لم يكن يعلم أنّ هذا أحمق شيءٍ يفعله في حياته! لقد كان على متن هذه السفينة الصغيرة كتيبةٌ من جيش الملك "كوش" ملك مملكة التنين؛ فظنّوه هاربًا أو جاسوسًا بسبب ملابسه الغريبة، فجذبوه للأعلى على متن السفينة وقال أحد الجنود للآخر:

- يبدو أنّ مملكة "كونغار" أرسلته ليتجسس على مملكتنا.

تم القبض عليه ثم تسليمه لقائد الجيش "موليس" ليكون ذلك الغريب الذي نعتوه بالعبد ثم بالساحر؛ لأنّه كسر سيف القائد أمام الملك في فناء قصره إثر ضربةٍ وُجِهَت له فصدّها بذراعه، لتدافع عنه الأميرة "فريسيا" بأنّها عالمةٌ بأفعال السحرة، وأنّه ليس بساحرٍ؛ فتم القبض عليه حتى يتم البت في أمره فوجد هناك مَن يحدّق به ولا ينزل بعينيه مِن عليه، فلم يعرف "آدم" ولم يتذكّر هذا الوجه المحدّق به .. إنّه "شهاب"! لقد نجا بطريقةٍ ما ولبس لباسًا شبيهًا لملابس شعب هذه المملكة؛ كي لا يُتهم بالجاسوس مثل آدم، ولكنه قتل أحد عامة الشعب فتم القبض عليه، والمصيبة التي كانت أكبر من كل هذا أنّ "شهاب" عالِمٌ ويتذكّر كل شيءٍ، ولم يفقد الذاكرة مثل "آدم"، ويعلم أيضًا أنّ المسجون الذي يتحدّث إليه مسجونٌ آخر ليسرد له تاريخ هذه المملكة هو عدوه القديم "آدم"، وأيضًا عالِم أنّ الأخير لا يتذكّر شيئًا. فلماذا لم يخبره بهويته لطالما أنقذه قبل ستة شهورٍ عند تسلقه السفينة؟ أم ينوي شهاب على فعل شيءٍ لا أحد يعلم به سواه؟

كان المسجون الآخر يحدّثه عن انقراض التنانين من المملكة منذ خمسة قرونٍ إبان ظهور ضوءٍ غريب لونه أزرق وسط بحر "أوشا"، فلو كان ما زال آدم محتفظًا بذاكرته لكان ربط الحدثين ببعضهما، وعلم أنّ هذا الضوء الأزرق هو نفسه الذي كان بداخل الكهف في عالمه وعلى إثره ظهرت التنانين، ولكن هذا كان من خمسة قرونٍ وذاك كان من خمسة أعوامٍ!

ثم حدث ما حدث في القصر، وعلمت الأميرة "فريسيا" أنّ المسجون الذي فُتِنَت بما فعله في فناء القصر لن يمر أمره مرور الكرام حين كانت تسترق أصوات المجلس في جلسته الأولى، حتى رأتها أمها الملكة "لوسيا" وأكدت على شكها الذي يختلج في قلبها عندما أمرتها بنسيان هذا الغريب؛ فقررت أخيرًا بعد صراعٍ مع نفسها لمدة ثلاث ليالٍ أن تساعده.

ففي الليلة الثالثة المصاحبة للجلسة الثالثة، قررت تنفيذ ما تريده؛ فسرقت سيف الملك الصغير الذي لم يغادر عباءته، ولكن بسبب تعب الملك فجأةً في الجلسة الثانية لم ينتبه إلى سرقة السيف، ثم همّت بالنزول والذهاب إلى السجن لتهريب ذلك الغريب بعدما أمرت الحرّاس بالتنحي إنّها الأميرة، واستطاعت فعل ذلك وبسبب أنّ بحوزتها سيف الملك الخاص.

لقد قامت بتحريره من قيوده وقالت له:

- يبدو أنّ هناك طفلًا عمره أربعة أعومٍ له علاقةٌ بكَ، لقد علمت ذلك حين اختلست السمع لما يقولونه في مجلسهم الأحمق.

حدّق فيها آدم ويا ليته يعلم بإجابةٍ كي يقولها لها، فاكتفي أنْ يقول لها:

- لا أعرف أنّه كان له علاقة بي أم لا؟!

قالت له الأميرة:

- لقد علموا بذلك لأنّهم وجدوه يرتدي نفس ملابسكَ ففطنوا لذلك، ولكن المشكلة كان هذا منذ ثلاثة أيامٍ، لا بدّ أنّهم قاموا بتغيير ملابسه وألبسوه ملابس شعبنا؛ ليصير بعد ذلك من فرسان المملكة حين يأتي وقته.

اختلج قلبه قليلًا ولا يعرف لماذا، همّت الأميرة وقالت له:

- هيّا بنا ليس هناك وقت.

فأمسك ذراعها وقال لها:

- لا بدّ وأنْ أجد هذا الطفل؛ أشعر بشيءٍ غريبٍ بداخلي يحثني على ذلك.

قالت له:

- ألم أخبركَ أنّهم بالتأكيد قاموا بتغيير ملابسه، وللأسف ولسوء حظكَ لم تأتني الفرصة لأرى هذا الطفل، فلن أستطيع أنْ أساعدكَ في هذا.

لمعت عيناه وظلّ محدّقًا في عينيها وكأنّه مصرٌّ على عزمه، فأردفت الأميرة:

- اسمع .. أنفد بجلدكَ، سيقررون حرقكَ؛ إنّك لا زلتَ في نظرهم

ساحرًا. سيقطعون رأسكَ وسيرسلونها لمملكة "كونغار"؛ لأنّهم يعتقدون أنّك جاسوسٌ مرسلٌ منهم، ولأنّ هذه المملكة تدعم السحرة فكبر هذا الشك بداخلهم؛ ليس لكَ فرصةٌ أخرى. أمّا الطفل فله من الفرص؛ إنّه أصبح مهمًا للمملكة، إنّهم يهتمون بالأطفال، كثيرًا ما فعلوا ذلك حتى أصبحوا الآن أعتى فرسان المملكة .. فرسان "التندرا".

بدأ الاقتناع على وجه آدم، وعلم بداخله أنّه لربما يأتي مرةً أخرى ليأخذ ذلك الطفل، ولكن كيف سيعرفه أنّه لا يتذكّر شيئًا، والشخص الوحيد الذي يؤمن ببراءته الأميرة "فريسيا" ولم يسبق لها أنْ رأتْ هذا الطفل.

ثم نظر في عينيها وسألها في تعجبٍ:

- لماذا تساعدينني؟ قد أكون ماهرًا في الخداع أيضًا، ويكون الجميع على حقٍّ سواكِ.

لاحت ابتسامةٌ على شفتيها وأجابته:

- كما أنا عالمةٌ بالأمور التي يقوم بها السحرة فأنا عالمةٌ أيضًا بأنّ هناك عوالم أخرى في الكون.

انعقد حاجبا آدم وقال في تساؤل:

- هل من الممكن أكون من عالمٍ آخر غير هذا العالم؟!

دون إجابةٍ همّا بالركض، وأثناء طريقهما للخارج حدث ما لم يكن في الحسبان وما لم من المفترض أنْ يحدث؛ لقد وجدا الملكة "لوسيا" تبكي ومنهارة ومصدومة لأنّها رأتْ ابنتها تقوم بتهريب

الخائن وهي ممسكةً السيف، وبرفقتها الأميران، والعرّاف، وقائد جيش المملكة، ومستشار الملك.

فصرخت الملكة وقالت:

- لقد قتل الملك .. اقتلوه!

***

صُعِقت لما سمعته، أقُتل الملك؟! متى؟! وكيف؟! كيف كل شيءٍ مرتبٌ هكذا؟! يتزامن قتل الملك مع تهريبي من السجن! هل كانت الأميرة على علمٍ بذلك وقامت بتهريبي لأكون المتهم الأول والوحيد في هذه الجريمة؟! لكن لا، إنّه أبوها لا يعقل أنْ تفعل ذلك. تساؤلاتٌ كثيرة عصفت بعقلي ولا أجد لها إجاباتٍ، أصبحت في نظرهم الجاسوس الساحر القاتل .. يا لها من سخافةٍ أعيش فيها دون أنْ أعرف حتى مَن أنا! وكيف جئت إلى هنا إنْ كنت من عالمٍ آخر؟ ما الذي أقحمت فيه نفسي في عالمي لأتواجد هنا؟

حتى قال العرّاف ويبدو أنّه الوحيد في الجمع الذي يقف أمامي مشدوهًا الذي لا يحايد في حكمه:

- يبدو أنّ الأميرة "فريسيا" ساعدته في ذلك؛ فهي تمسك بيدها سيف الملك الذي لم يغادره.

فقال الأمير "أوش" مدافعًا:

- لا تحتاج لتفسير؛ لقد شهر الملك سيفه عندما شعر بالخطر فقام هو بطعنه بالسكين، ومن ثَمّ سلبته السيف لتدافع به عمّن يحول بينها وبين هروبها من القاتل.

هنا، تأكدتُ أنّ الأميرة ليس لها علاقة بالأمر، فامتقع وجه الملكة وقالت في غضبٍ بعد أنْ نظرتْ إلى المستشار "تشيني" لتدافع عن ابنتها:

- ليس لها علاقة بالأمر، إنّه ساحر وقد أغواها في ذلك لقد تحكّم في عقلها.

بالفعل، أعيش في سخفٍ حتى السماء؛ ما الذي أسمعه هذا؟ مَن هؤلاء؟ مَن أنا من الأساس؟ ثم لاحظتُ عليهم الاقتناع فيما قالته الملكة الداهية، وأمرتْ بربطي في شجرة السحرة .. شجرة السحرة؟ ما هذه الشجرة هي الأخرى؟ وأين؟

جرُّوني إلى منتصف المدينة بعد أنْ سجنوني ثلاثة أيامٍ إثر انتهاء ممارستهم لمراسم دفن للملك، حيث السوق الكبير الذي يتواجد فيه عامة الشعب مع كوكبةٍ من رجال الجيش بقيادة "موليس"، وإلى الشجرة الملعونة ربطوني وجهزوا من حولي الحطب لإشعال النار، وأتوا بالجلّاد ليظفر برأسي التي ستعلو جسدي المحروق، ويرسلونها إلى مملكة "كونغار" لتكون بمثابة تحذير لهم.

انتظرتُ حتى أرى كل ما في جُعبتهم وأقول ما أعلم به، بل وأكثر من ذلك .. ظللتُ مربوطًا في هذه الشجرة ليومٍ كامل دون أكلٍ أو شربٍ سوى أقل القليل حتى خارتْ قوتي، ولم أعد باستطاعتي الحركة لقد مر اليوم حتى انتهوا من مراسم دفن الملك دون أنْ يعلن عن وريثه في العرش.

ثم بالكاد سمعتُ صوت خطوات حوافر الأحصنة تدق الأرض دقًا،

وصل كوكبةٌ من رجال البلاط برئاسة الملكة وبجوارها الأميرة، والعرّاف المدعو، والمستشار، والحرس الملكي، وهم بصدد تلاوة المراسم الأخرى؛ وهي حرقي كساحر وقطع رقبتي لثرسل إلى مملكة الغرب. ثم أتث مجموعةٌ من العرّافين الذين يبدو عليهم أنّهم تابعون للعرّاف الكبير، وفي أيديهم مشاعل النيران منتظرين تلاوة المراسم لمنع أي شيءٍ أحمق قد أفعله كوني ساحرًا في نظرهم، ثم قررث حينها أنْ أقول لهم ما سيقلب كل شيءٍ ولم يتوقعوه أبدًا .. إنّها اللحظة المناسبة بعد أنْ تجمّع كل عامة الشعب ومجموعة من النبلاء ورجال البلاط.

لقد نطقث بها حتى انقلب كل شيءٍ؛ هاج السوق وماج، وزادث البلبلات، ورأيث السعادة المختلطة باندهاشٍ على وجوه الكثير منهم، ورأيث الرعب والتوجس على وجوه آخرين؛ فما تفوهث به كان بمثابة الصاعقة التي عصفت بكل كيانهم، لقد قلث لهم:

- تنانينكم لا زالث موجودة؟

ثم أردفث:

- بل وهناك أكثر من ذلك؛ إنّني عالِمٌ بِمَن قتل الملك!

2

مملكة الذئاب

"مملكة نانيوس"

الأقزام

عام 505 ب.ت

"سيأتي من الشمال ومن الجنوب، من الشرق ومن الغرب، سيأتي من الوسط؛ سيجمع القطيع، وحينها سيكون الجميع واحدًا."

إنّها النبوءة، إنّها الأمل الأخير للمملكة، إنّه الوعد الذي سينقذ مملكة الأقزام من الخطر المحدّق بها، إنْ لم تتحقق النبوءة فلن تقم قائمةً لمملكة "نانيوس"(1). وستمحى من الوجود إثر قرب محو سلاحها الحيّ القوي الذي لطالما دافع عنها لقرون، إنْ لم يأتِ الموعود ستنقرض الذئاب الضخمة البيضاء.

هذا ما كان منحوتًا على جدران معبدٍ يؤدي بداخله الأقزام صلاتهم؛ لإرضاء إلههم الأعظم "الذئب الأبيض".

كان يترأس عبادتهم ملكهم القزم "إيكاي"(2) ذو الشعر المجعد الكثيف مثل لحيته الطويلة السوداء وشاربه الذي له فرعان منفصلان عن لحيته، يمتدان للأسفل ليتقابلا ويختلطا بشعر اللحية، كان يحدّق بعينيه الضيّقتين السوادوين اللذين يعلوهما حاجبان كثّان للغاية يتقابلان أعلى أنفه الغليظ التي تتوسط وجهًا قمحي اللون إلى رسمةٍ من الرسومات الأثرية المنقوشة على أحد أعمدة

المعبد. ذلك المعبد المنحوت في الصخر عند سفح جبلٍ من سلسلة الجبال الحمراء، تلك الجبال التي سميّت بهذا الاسم نسبةً إلى حُمرة سفوحها إثر كثرة الدماء التي أُريقت بواسطة أنياب ومخالب ذئابهم المقدسة؛ ولهذا كان لهذه الجبال قُدسيتها فنُحِتَ المعبد المقدس عند سفح أحد جبالها، فيمتد المعبد لداخل الجبل فتغيب عنه الشمس.

كانت الصلاة لإرضاء الإله حتى يحن عليهم فيأتيهم بالموعود لينقذهم، لقد تأخر .. انتظروه لأكثر من خمسة قرونٍ، جيلٌ يسلم جيلًا هذا الإرث حتى تسرّب اليأس بينهم؛ فمنهم مَن كذّب النبوءة، ومنهم مَن فقد الإيمان في الخلاص، وفتح ذراعيه مستعدًا لفكرة محو المملكة عن بَكْرة أبيها حتى لن يتواجد لهم نسل فيما بعد، ومنهم مَن نسي أنّ هناك نبوءةً من الأساس كي يؤمن بها.

كان واجب الملك قبل كل شيءٍ أنْ يؤمن بالنبوءة، ويُحييَ ذكراها بين شعبه، ويسلمها للملك الذي يخلفه حتى عهد هذا الملك، الملك "إيكاي" ملك مملكة الشرق "نانيوس".

كان الملك "إيكاي" مقطوع النسل ليس لديه أبناء، رفض أنْ يتزوج مرةً أخرى بعد وفاة زوجته التي كان عاشقًا لها وظلّ عاشقًا لها حتى هذا اليوم، ليس له سوى أخٍ يصغره لكنه ضائعٌ في حياته ليس له هدفٌ، ولا يؤمن بالنبوءة، وهاربٌ من المملكة بعد أنْ علم أنْ لن يكون لأخيه الملك أبناء كي يتوارثوا العرش؛ فلاذ بالفرار هربًا من المسئولية، إنّه لا يأبه للمملكة ولا يريد مُلكها ولا يحبذ أنْ ينقل إرثًا لشعوبه، هو لا يؤمن به من الأساس.

ظل أخوه الملك يبحث عنه لأعوامٍ طويلة لكن دون طائلة، ولذلك

عليه أنْ يجهز المراسم قريبًا ويعلن عن خليفته قبل مماته؛ كي لا تضيع المملكة بعد موته في الحرب على العرش ولاسيّما أنّ الملك أتم عامه الخمسين، ومِن ضمن معتقداتهم أنْ يختار الملك خلفيته حين يبدأ عقده السادس، سيكون اختيار الملك لخليفته في حياته حكمًا نافذًا لا يستطيع أحدٌ نقضه فهذا من عادات المملكة، فإنْ حدث عكس ما نص عليه قانونهم سيغضب ذلك الإله ولن يأتي الموعود. وإنْ مات الملك قبل ذلك فيورث نسله الأكبر المُلك مباشرةً، وإنْ لم يكن له نسل فيختار الشعب مَلِكه بين الأقرب للملك، وهنا تبدأ المنازعات وهذا هو الذي لا يحبّذه المَلك، لا يريد أنْ يكون هناك منازعاتٌ بعد موته على العرش.

لكنه أجّل هذه المراسم لعدة مراتٍ على مدار سنواتٍ؛ آملًا في عودة أخيه "أنطور"(3) أو إيجاده، لكنه لن يستطيع أنْ يؤجل أكثر من ذلك فقريبًا سيعقد المجلس من نبلاء المملكة ويعلن الملك عن خليفته.

انتهوا من عبادتهم وخرجوا من المعبد خارج الجبل، وقصدوا قصورهم التي بُنِيت ونُحِتت بين سلاسل من الجبال فكانت بيوتهم بمثابة الصخور الصلدة والأحجار المنيعة المزينة من الداخل بالمعادن ذات اللون الأحمر، ولا يخلو جدارٌ من رسمة الذئب الأبيض؛ فيعطي ذلك رونقًا خلابًا كأنّها قصورٌ فخمة، فإنْ وُلِدَ شخصٌ بالداخل ولم يخرج إطلاقًا فلن يخطر بباله أنّ هذه القصور بداخل الجبال. ولا يخلو منزل من عَلَم مملكتهم، العَلَم الأحمر وفي وسطه رسمةٌ للذئب الأبيض.

كان بجوار الملك أثناء خروجه من المعبد مستشاره "تاهو"(4)، بطنه أمامه فتستند عليها لحيته الطويلة الرمادية رغم أنّه يصغر الملك ذا اللحية السوداء بعشرة أعوم، له نفس الأنف الكبير، والشارب ذي الفرعين، والحاجبين الكثين لكنهما اشتعل الشيب فيهما.

إنّ جميع الأقزام يتشابهون في هيئتهم؛ فيتخذون جميعًا نفس الوجه، لكنهم كانوا أجمل من نسائهم ذوات البشرة الداكنة جميعهن، والشعر الطويل المدبور كأنّه كرباج مفتولٌ، لكن كان قوامهن شديدًا رغم صغر حجمهن مثل رجالهن، ولذلك كانت بيوت الأقزام لا يتجاوز فيه الطابق الواحد ارتفاع المترين، وإنْ أرادوا تسلق الجبال فيمتطون ذئابهم الضخمة؛ لقد كانت مخلصةً لهم، فيشعر الذئب بغضب راكبه فيغضب مثله ويفرح بفرح صاحبه أيضًا، حيث كان لكل شخصٍ ذئبٌ خاصٌ به، ولكن منذ خمسمائة عامٍ بدأت الذئاب في الانقراض ولا يعرف أحدٌ السبب؛ ولذلك تنتظر المملكة المختار ليجمع القطيع ويوحدهم ليصبحوا واحدًا وتعود الذئاب كما كانت في أزهى عصورها.

- متى ستعقد المجلس؟

كان سؤالًا يسأله المستشار للملك دائمًا؛ فيبدو أنّه متوقٌ لمعرفة خليفة الملك، ولكن... ما كان في نية المستشار؟ هل كان يطمح في أنْ يختاره الملك ليكون خليفته؛ جزاء إخلاصه كل هذه السنين للملك والمملكة؟

نظر له الملك بأريحيةٍ وقال:

- في البدر القادم.

امتقع وجه المستشار قليلًا، ثم قال:

- هل علينا أنْ ننتظر كل هذه المدة كي نعقد المجلس الأهم؟

قال الملك نافرًا:

- سيطل البدر بعد شهرٍ من الآن.

ثم صمت في حزنٍ، قبل أنْ يقول:

- لطالما تساءلتُ عن غياب القمر إلى ما يزيد عن ثمانية سنواتٍ في كل بدر له، لماذا حدث هذا بعد انقراض التنانين من مملكة الشمال؟ ما هذه اللعنة؟ ما علاقة مملكة الشرق بالأمر؟

باغته المستشار بسؤالٍ آخر في إلحاحٍ وكأنّه لا يبالي بأمر ما قاله:

- ألن تنتظر أخاكَ بعد الآن؟

أجابه الملك:

- إنْ شاء له القدر أنْ يكون الملك ستكون المملكة بانتظاره، حتى وإنْ اخترتُ خليفتي سواه؛ الذئب دائمًا ما يعود لمربضه.

سأل المستشار في مكرٍ:

- ألا زلتَ متمسكًا بهذا الأمل؟

توقف الملك وتمعن في كلحته وقال:

- إنْ لم يكن أخي سيكون ابنه، المهم أنْ يكون ذئبًا من أبٍ ذئب.

قال المستشار "تاهو" في دهاءٍ:

- الذئب الهارب تُسلب منه صفاته، قد يكون هناك ذئبٌ آخر رابضٌ في الخفاء لكنه يمتلك كل الصفات.

ابتسم له الملك على مضضٍ وأجابه:

- لستُ أحمقَ يا "تاهو"، ألا زلتَ تصدق نفسكَ إنّك متوهمٌ بملء قلبي كراهيةً تجاه أخي؟

امتقع وجه "تاهو" ولم ينبس ببنت شفة، فعرض الملك من ابتسامته قائلًا:

- لكن لن أتخاذل معكَ، لقد كنتَ خير مشيرٍ لي يا "تاهو".

لاح على وجه المستشار شبح ابتسامةٍ ماكرةٍ ومضيا معًا إلى القصر؛ فتفاجأ الملك بضيفه الخفيف الذي لطالما استلذّ بصحبته .. إنّها ابنة عمه "كلارا"(5)، وحيدة أبويها اللذين فارقا الحياة إثر حُمى أصابتهما معًا.

قال الملك مرحبًا بها:

- لقد زاد القصر احمرارًا بحمرة وجنتيكِ يا صديقتي وابنة عمي.

أجابته "كلارا" بوجنتين حمراوين ممّا سمعته:

- لقد طالنا الشيب ولا زلتَ تناديني بصديقتكَ.

قال الملك في ابتسامةٍ:

- ولن تكوني غير ذلك؛ فالصداقة شيءٌ قويٌ لا يمكن كسره، لكن ما تبغيه أنتِ هشًا ضعيفًا.

قالت "كلارا" في تساؤلٍ:

- إذن، لِمَ ليس هشًا أو ضعيفًا عندكَ؟ لِمَ تقوى كل هذه السنين وأنتَ بمفردكَ دون زوجةٍ أنْ تكسر حبكَ لها.

أجاب الملك في حكمةٍ:

- إنْ كان الحب من البدء حبًا سيكون الأقوى، لكن إنْ جاء بعد الصداقة فلن يكون قويًا.

قالت:

- لطالما لم أقدر على مجادلتكَ.

كانت "كلارا" صاحبة الأربع والخمسين من عمرها بشعرها الذي وُصِفَ بالمدبور والأطول بين شعور نساء الأقزام جميعًا، ذلك الشعر الأسود الذي يتخلله القليل من اللون الرماديّ، وعيناها الواسعتان سوداوان كسواد الليل، وأنفها الدقيق مقارنةً بنساء الأقزام وبشرتها الأكثر نضارةً ممّا بينهن رغم سمارها، فكان سمار بشرتها هو سر جمالها، جمالها الذي عجز في أنْ يلين قلب الملك، لطالما أحبته وأرادت أنْ تتزوجه لكن كان جمالها ضعيفًا أمام حب الملك لزوجته الراحلة، فما كان من الملك لها سوى المعاملة الطيبة والشعور بالأمان تجاهها، لطالما لن يبوح بمكنونات صدره سوى لها.

سارة

عام 2227م

لم أتوقع أنْ يأتي اليوم الذي أعتبر أنّ سفري عبر الزمن منذ خمسة أعوامٍ صبّ في صالحنا، لطالما كنتُ معتقدةً طوال هذه الفترة أنّي فعلتُ خطأً جسيمًا في الخط الزمني للتاريخ .. تاريخ البشرية، لكن اليوم علمتُ أنّه لولا سفري عبر الزمن ما كانت التنانين ستأتي لعالمنا؛ لتنقذنا من براثن الخطة المحنكة لنا من البداية، لولا التنانين ما كنّا سننتصر في الحرب الثانية في عصرنا ولتمكنت قوى الظلام من مريم بفعل تلك الكائنات الفضائية، ولكنّا في خبر كان منذ خمسة أعوام.

ولكن...

ولكن كل هذا الكفاح راح في غمضة عين؛ لقد أتى اليوم الذي تمنيتُ فيه ألّا أعود من العالم الآخر الذي سافرتُ إليه بالخطأ.

إنّها النهاية دون أدنى شك؛ فها قد أتى اليوم الذي ظهر فيه ضعفي وضُرِبَ فيه كل كياني، لطالما كنتُ متماسكةً وأُخفي ضعفي وراء قوتي وثباتي حتى حسبني كل مَن يعرفني أنّني جامدة المشاعر، هذا ما تعلمتُه من أخي "آدم" الذي أخذتُه دومًا مثلًا لي، لقد تعلمتُ منه أنْ أكون مثابرةً ويكون مبدأي العزيمة وعدم الاستسلام والتمسك بأملٍ قد يكون فيه نجاتنا، أنْ أخاطر وأضع حياتي على المحك في سبيل إنقاذ الجميع، لا أضع في حسباني أنْ أعتمد على شخصٍ سواي، أتحمل المسئولية ونتائجها وعواقبها إنْ أخطأتُ.

كانت كل هذه الأفكار تضرب عقلي أثناء ركضي لألحق بواحدةٍ من السفن التي على المرسى، الكل يتصارع، الجميع لا يفكّر سوى في نفسه، هذه المرة مَن لا يفعل ذلك فهو أحمق.

وصلت عند السفينة التي بدت أنّها امتلأت دون شكّ، كانت شاهقة الارتفاع تضرب أشرعتها عنان السماء، يزيد توتري صوت مولداتها المزعج بأسفل المياه.

أمسكت بالحبل وقبضت بيدي عليه وبالكاد شرعت أسحب جسمي للأعلى، كم هذا متعب! هذا ليس من شيم الإناث، لكن إن لم أتحمل فسأكون لحمًا متناثرًا بفِعل هذه العاصفة. إنّني بطيئة، فمَن سبقني على الحبل ترك بيننا مسافةً كبيرةً ومَن يلحقني يحثّني على الحركة سريعًا، لكنني أقاوم.

أوشكت على الوصول إلى سطح السفينة، لا أعرف ماذا أفعل؛ فأنا أريد الوصول بأقصى ما يمكنني ولا أريد أن أكون سببًا في أنّ أحدًا غيري تفوته فرصة الصعود، وكم أريد أن أنقذ نفسي، لكنني أحاول.

فاض بِمَن أسفلي ولن يستطيع أن ينتظر أكثر من ذلك؛ فصرخ في وجهي وأسرع من خطاه للأعلى بعد أن أمسكت بيدٍ واحدة سور السفينة، وها هي يدي الأخرى ستتشبث ولكن دفعني ذلك الأحمق فانزلقت يدي.

وهنا، أغمضت عيني، لقد عملت أنّ نهايتي ستكون أسفل المياه، تتناوب فيّ هذه العاصفة وتلك الأمواج الهائجة فيما بينهما. لقد فردت ذراعيّ واستسلمت فلم أعد أستطيع المقاومة أكثر من ذلك، استسلمت لإحساسي بالأمان رغم خوفي، فشعرت بالراحة أخيرًا،

فلن أعد أقاوم مرةً أخرى، استسلمتُ فلن أعد كوني مُطالَبة بأي شيءٍ على عاتقي، استسلمتُ لأنّ مع سقوطي سيسقط مِن على كتفيّ حِملٌ كبيرٌ لم أعد أقدر على حمله .. فاستسلمتُ.

ولكن جاء مَن حرمني مِن هذا الشعور، مَن انتزعني مِن هذه الرحمة، مَن يريد أنْ أعود لأعود أذوق العذاب مرةً أخرى، مَن لا يكتفي مني بعد .. إنّها يدٌ أمسكت بيدي، جاءت من العدم، تشبثتُ بقوةٍ وأحكمتُ قبضتها، إنّها يدٌ قوية. فتحتُ عينيّ في غفلةٍ من أمري بعد أنْ استسلمتُ، لقد كان "أيوب" على متن السفينة بالأعلى، ما لبثتُ بعد انزلاق يدي فجاء ليسحبني بالأعلى وصعدتُ بفضله على متن السفينة.

بعد أنْ لامست قدماي سطح السفينة كانت قد تحرّكت بالفعل تشق أشرعتها الهواء، وتضرب مولداتها أمواج البحر. وسافرنا، لكن هذه المرة عبر البحار وليس الفضاء، عبر المكان وليس الزمان.

لقد نظر "أيوب" في عينيّ مليًا، ولا أنكر أنّني سمحتُ له بذلك رغم قدرتي أنْ أشيح بنظري عنه، لكنني شعرتُ لوهلةٍ أنّه لا يستحق أنْ أكون عديمة الإحساس معه؛ لقد أنقذني للتّو من الموت المحقق، لكن هناك جزءًا بداخلي يقاوم ولا يريد أنْ يؤمن له، لقد كان العدو الأخطر لنا على مر سنواتٍ عديدة.

لقد كانت ستة أشهر من الخوف، والقلق، والذعر، والموت كل يومٍ يُظهر لنا مخالبه، إنْ لم يكن مِن كائنات البحر المتوحشة فيكون من أنفسنا، لقد تملّك منا الخوف والطمع والتشبث بالحياة فكان مِن وسطنا مَن يحارب من أجل البقاء بطريقةٍ وحشية؛ فيرمي أخاه

البشري في وسط البحر؛ لتقليل عددنا حتى يكفينا الزاد، فجميعنا لا نعلم كم من الوقت سنبقى على سطح البحر، كما أنّه نشأ الاختلاف بين المرتدين والبشر على سطح السفينة، وزادت الكراهية بين الأخير والآليين.

نظرتُ للأعلى، كم أريد أنْ يأتي تنيني ويحلّق بي حتى عنان السماء؛ فهو الوحيد الذي سيكون المخلص لي ولن يضمر لي الشر لا أراه، أسمع زئيره بين الحين والآخر، لكن لا زلتُ لا أبصره حتى ولو من بعيدٍ طوال الشهور الست حتى حدثت الفاجعة.

لقد كانت دوامةً في وسط البحر تشفط كل شيءٍ بداخلها، كان دوارًا عاصفيًا يصل حتى السماء وعميقًا حتى أعمق البحار. لا يستطيع أحدٌ المقاومة ويشيح بمسار السفينة بعيدًا عن الدوامة حتى أعتى القراصنة التي ركبتْ معنا السفينة، لقد كانت كبيرةً حقًا، كبيرةً لدرجة أنّ الهروب منها مستحيلٌ، لقد كانت شديدة الإعصار، فليس أمامنا سوى المرور من خلالها؛ لعل السفينة تستطيع الصمود أمام هذه العاصفة المخيفة.

دارتْ في عدم اتزانٍ، تتحكّم بها الدوامة، تدور في إطارها تتقلص الدائرة شيئًا فشيئًا، حتى وصلنا لمركز الدوامة التي كانت عبارةً عن فجوةٍ بالبحر، وهنا ليس سوى الرعب.

دخلنا بالعمق، غاصتْ السفينة، شُفِطتْ في براثن الدوامة، تخبطتْ بشدةٍ ولا يستطيع أحدٌ منّا رؤية أي شيءٍ؛ لقد كان العالم يدور من حولنا وتلقي بنا الأمواج بسفينتنا هنا وهناك ثم لا شيء.

***

عام 505 ب.ت

تحت شفق غروب الشمس الأحمر، كانت كالجسد الهامد ملقاةً على الشاطئ شرق بحر "أوشا"، ظلّت "سارة" ساعاتٍ في غفوتها حتى استفاقت ووجدت نفسها مبتلةً. نظرت حولها لا تعرف أين هي؟ البحر أمامها، وجبالٌ على الجانب الآخر خلفها؟ ظلّت تنظر حولها بارتيابٍ لا تعرف ما هذا المكان، بل لا تعرف مَن هي؟ إنّها لا تتذكّر شيئًا على الإطلاق.

لا تعرف سوى شيءٍ وحيدٍ، وهو أنْ تذهب إلى هذه الجبال الشاهقة أمامها، وما لبثت أنْ اقتربت نحوها حتى علمت أنّه يوجد بين هذه الجبال بيوتٌ ومنازل منحوتة من الصخر والحجر، وكانت في غاية الروعة والإبداع تعطي منظرًا طبيعيًا خلّابًا، حتى أسدل عليها الليل ظلامه.

تساءلت ماهية هذه المنازل، بل والقصور التي رأتها وقت ولوجها أكثر بين الجبال وتراءت للناس التي تعيش هناك.

نظر الجمع لها بتعجبٍ؛ لأنّها بدت لهم غريبةً ليست من مملكتهم بسبب الملابس المختلفة عن ملابسهم، حيث أنّها ترتدي الملابس التي تخص عالمها، أمّا ما تراه مِن ملابس مختلفة في هذا العالم والناس قصيرة القامة أمرين مختلفين، وهذا ما تساءلت عنه في نفسها، حيث يلبسون سترةً قصيرةً من الأعلى أسفلها بنطالٌ غريب الشكل تخص الأقزام. أمّا هي ترتدي البنطال المضبوط على جسمها الرشيق، يعلوه جاكت من الجلد. تساءلوا فيما بينهم مِن أين أتت هذه الفتاة؟ ولِمَ هي في مملكتهم؟ لقد تمادت هواجسهم حتى ظنّوا

أنّها قد تكون صاحب النبوءة، وأنْ تكون هي الموعود الذي سيوحد القطيع وتخضع له الذئاب.

وفي الحقيقة هي مَن كانت تتساءل عن ماهية هؤلاء البشر؟ وكيف أنْ يكونوا بهذا الحجم القصير عنها؟

إنّها أول علامات النبوءة: *"سيأتي من الشمال ومن الجنوب، من الشرق ومن الغرب، سيأتي من الوسط."* وبالنسبة لهم ها هي أتت من الغرب.

كل خطوةٍ كانت تتقدمها سارة تتساءل في نفسها مَن هي؟ وما هذا المكان؟ ولماذا ينظرون لها هكذا؟ هل هي غريبةٌ عنهم بملابسها التي ترديها؟ ولا سيّما حين اندهشت وقت أنْ رأت بعض الجنود يتجولون بالمدينة يمتطون ذئابًا بيضاء رهيبة .. والذئاب تطيعهم!

انتشر الخبر كالنار في الهشيم وعلم الملك "إيكاي" بالأمر، وأمر بعض جنوده بالخروج ولا يأتوا سوى بمرافقة تلك الموعودة معهم إلى القصر الملكي.

المجلس الأحمر

بعد ثلاثة أيامٍ، كان المجلس يُعقد في مملكة "نانيوس" كل ثماني سنواتٍ مع كل ظهورٍ للقمر بدرًا، فبعد مرور ثلاثة أيامٍ من وصول "سارة" أرض المملكة، عزم الملك على انعقاد المجلس في غير ميعاده لظرفٍ طارئ، وتم تسميته بالمجلس الأحمر نسبةً إلى سلسلة الجبال الحمراء المقدسة شاهقة الارتفاع، التي طلاها الذئاب بلون الدماء حين يعضون على قممها وعند سفوحها كل عدوٍ، أو شخصٍ غريب، أو جاسوسٍ، أو لصٍ، أو حيوانٍ يفكّر أنْ يتعدى على المملكة ويخطو حدودها، فبعد أنْ يتم عضه تحت ضوء القمر غير المكتمل بواسطة ذئبٍ يتحوّل في البدر القادم له، وإنْ تم عضّه تحت ضوء البدر يتحوّل في الحال، وإنْ لم يتم عضّه تحت ضوء القمر يموت.

ولكن كان هذا قبل خمسة قرون، الأمر الآن أصبح نادر الحدوث؛ وهذا بسبب غياب البدر ما يقرب من ثماني سنواتٍ، لقد أصبحت دورة القمر الكاملة تستغرق ثماني سنواتٍ، فطوال هذه السنوات لا يتم تحويل أي بشري أو حيوانٍ لذئب، وهذا كان سببًا في بداية الانقراض، لا تتوافق أعداد الموتى منهم أو مَن كبر في السن مع عدد المتحولين لذئابٍ، حتى عملية التكاثر لديهم أصبحت بطيئةً لعدم قدرة الأنثى الذئب على الحمل لعدم وجود ما يقويها على فعل ذلك؛ لقد كان وجود القمر عاملًا أساسيًا لهم ليحيوا تحت ضوئه ويبحثون عن طعامهم.

كان المجلس مكونًا من الملك "إيكاي"، ومستشاره "تاهو"، وقريبته "كلارا"، وقائد جيوشه "كارفا"(6)، وقائد مدينة "وولفلاند"، حيث

مملكة "نانيوس" لا تتكون سوى من مدينتين كبيرتين وسط الجبال، وهما مدينة "وولفلاند" ومدينة "دورفلاند" وتلك الأخيرة هي العاصمة التي يسكن فيها الملك وحيث ينعقد المجلس الأحمر. كما يوجد معهم في المجلس اثنان من رجال البلاط، وكانت برفقتهم بل وعلى رأسهم بكل معاملةٍ حسنة وإكرامٍ لها "سارة"؛ فهي في نظرهم المختارة. ولكن هي لا زالت تستوعب الأمر وتتساءل عنه، وما منهم لها سوى أنّهم يبتسمون لها في إجلالٍ مبررين أنّ دائمًا المختار لا يعرف نفسه إلّا في اللحظة الحاسمة.

- نحن مملكة الشرق، مملكة "نانيوس"، مملكة الذئاب، أضعف ممالك قارة "أوشانلاند"، كوني ملكًا لا يجب أنْ أقول ذلك، ولكن نحن هنا في خصوصية، فلا ننسى أيضًا أنّ كثيرًا ما صمدت المملكة ضد أي غزوٍ بسبب صلابة وقسوة معيشتها وطبيعتها الجغرافية التي فرضت عليها حمايةً كبيرةً، إنّ مملكتنا صعبة المراس وصعبة الاختراق كانت وستكون صامدةً.

ثم صمت الملك لبرهةٍ؛ ليرتب كلامه في فرحةٍ تعلو وجهه وأردف:

- إنّه لسببٍ جللٍ لانعقاد المجلس هذه المرة؛ ففي ضيافتنا مَن ركضنا خلفه خمسة قرونٍ حتى كدنا نفقد الأمل، لكنها جاءت وستحقق لنا النبوءة.

كان يشير إلى "سارة" وهي مندهشةٌ، ففي صوتٍ مبحوحٍ قالت:

- سيدي الملك، أنا لا أعرف حقًّا عمّا تتحدّثون بشأنه، وكما قلت لكم منذ ثلاثة أيامٍ لا أتذكّر شيئًا عن نفسي .. لا أعلم بحياتي السابقة.

أجابت "كلارا" في ابتسامةٍ ووقارٍ:

- كنتِ صاحبة أول العلامات يا سيدتي، فقط لم نكن نتوقع أن تكون أنثى لكنني سعيدةٌ بذلك الأمر، هذا سيزيد من قَدْر النساء في المملكة، وتكون لهن مكانةً كبيرة.

قالت ذلك ناظرةً للملك وكأنّها ترمي لشيءٍ لا يفهمه سواهما، لكنه غير مبالٍ، فقال الأخير:

- يسعدني ويشرفني أن يحدث هذا ويأتي صاحب النبوءة في عهدي الملك "إيكاي" الأول من اسمه، لطالما انتظرت ملوك عديدة على مر قرونٍ خمسة المختار.

ثم قصّوا عليها أمور المملكة، وما هي قصة النبوءة، وعلامات ظهور المنتظر، وحكاية الذئاب التي لطالما تساءلت عنهم عند مجيئها إلى أرض المملكة، وكيف يقدسون الذئاب فتنقش رسمته على كل شيءٍ يخص المملكة حتى على مقابض السيوف، وعلى دروع الجنود، وملابسهم الحربية. كما أن امتد سردهم إلى الممالك الأخرى وجغرافية قارة "أوشانلاند"، ولكن كانت "سارة" مستمتعةً بكم المعلومات هذه ولا تعرف نفسها أنّها من الشخصيات التي تحب القراءة والثقافة والعلم، ولكن وسط هذه المناقشات كان المستشار "تاهو" لا يشاركهم إيّاه؛ فلاحظت "سارة" ذلك وقالت ناظرةً إليه:

- أجد أنّ هناك مَن يتفق معي ويؤمن أنّني لست صاحبة النبوءة.

فنظر الجميع نحوه، أحسّ بالحرج وتململ في جلسته وقال مبررًا:

- فقط أخشى أن نغفل عن أمرٍ مهمٍ كان يجب الإعلان عنه في هذا

المجلس وإنْ كان عُقِد.

فهم الملك ما رمى إليه مستشاره، وقبل أنْ يجيبه دخل عليهم أحد حراس الحرس الملكي آتيًا بخبرٍ مهمٍ جدًا، فيبدو ذلك على ملامح الحارس التي أصابتها الغمام.

- هناك شخصٌ غريبٌ ليس من المملكة كاد أنْ يقتل ذئبًا.

صُعِق الجميع لما سمعوه ونهضوا من أماكنهم في فزعٍ والاندهاش يعلو وجه "سارة"، حتى صرخ الملك بأعلى صوته قائلًا:

- مَن الذي يتجرأ ويحاول قتل ذئبٍ في مملكة الذئاب؟!

انتفض الحارس قليلًا وبدا عليه التوتر، مترددًا في الإجابة ناظرًا نحو "سارة" فلاحظ الحاضرين ذلك، فصرخ فيه الملك:

- ما بكَ؟ فلتخبرني مَن هذا الشخص؟!

أجاب الحارس بعد صراعٍ في نفسه:

- لا نعرفه! لكن...

صرخ الملك مرةً ثالثةً:

- لكن ماذا؟

أخيرًا قرر الحارس أنْ يتفوه بما يختلج به قلبه:

- إنّه يرتدي لباسًا مثل المختارة صاحبة النبوءة.

أيوب

عام 2227م

تبًا لهذه الكائنات المريبة، تبًا للعالم العلوي، تبًا لكوكب الأرض الذي يحارب الجميع من أجله، تبًا لأرض الظلام والعالم العلوي، تبًا لكل شيء، تبًا لحياتنا الحمقاء السخيفة، تبًا ل "آدم" وجماعته، تبًا لي شخصيًا، إنّنا نعيش في بلاعة منذ أعوامٍ وها قد جاء الشفّاط لينتشلنا ثم يرمينا إلى حيث لا رجعة.

لا يهمني سوى شيءٍ واحدٍ الآن .. وهو حبيبتي وأمنيتي الأولى والأخيرة "سارة"؛ لقد تغيّرتُ من أجلها.

في الحقيقة، لا يهمني أي شيءٍ آخر، ولم أكن أبالي لِما يحلم به "آدم"، فقط أفعل ما أفعله كي أنتصر بغنيمتي الحقيقية جوهرتي الأغلى من كل شيءٍ .. "سارة".

أعشق صعوبة الوصول إلى قلبها، لا زالت لم تنسَ حبيبها "وحيد" ويبدو أنّها لن تنساه؛ لطالما عاشت أكثر من ثلاث سنواتٍ وهي سابحةٌ في ذكراه، ولا أعرف لها مدخلًا رغم ركضي في الطريق المؤدي لقلبها، ورغم علمي بمكان قلبها أمام ناظري إلّا أنّني لا أعرف له بابًا، رغم أنّني لديّ إحساس أنّها قد تُكِنّ لي بعض المشاعر حتى لو كانت ضعيفة، يا لها من فتاةٍ صعبة المراس! كم أعشق هذا.

وبعد أنْ شارفتُ على الاقتراب تأتي هذه المخلوقات لتمحينا من على وجه الكوكب، كم أمقتُ هذا! كم أريد أنْ أركض نحوهم لأشق رؤوسهم جميعًا واحدًا تلو الآخر، إنّهم يسلبون مِنّا كل ما يخصنا،

وسوف يسلبون "سارة" خاصتي بعد أنْ أوشكتُ الاقتراب لها، ما أحمق هذه السخافة بعد كل هذه السنين، ويأتون ليقضوا على كل شيءٍ، لن أسمح لهم.

ولكن ما فعلوه منذ قليلٍ سيمحي وجودي من الأزمان والأكوان ولن أسمح بذلك أيضًا، قد أستطيع الهروب والذهاب لمكانٍ آخر أجد فيه "سارة".

في الحقيقة، تبًا لـ "سارة" أيضًا؛ ففي هذه اللحظة والجميع ينظر إلى نهايته القريبة المحتومة؛ سيكون العمر أغلى من كل شيء.

لم أنتظر أنْ ينهي الكائن الفضائي كلماته، وما لبثتُ حتى وجدتُ نفسي أركض نحو البحر حتى وإنْ كانت أمواجه هائجةً، إنّه المكان الوحيد الذي قد تركض نحوه حتى لو كنتَ تعرف أنّ نهايته مسدودة إلّا أنّك تركض، المهم أنّك تركض ولا تستسلم، قد يكون هناك طريقٌ مختفٍ لم تعلم به من قبل، ولربما لا يوجد سوى هذا السد، لكن لا بدّ وأنْ تصل لآخِر نقطة، بمعنى آخر لآخِر نفس.

كنتُ أول المهرولين، قصدتُ أقرب السفن وصعدتُها سريعًا، وما لبثتُ من الصعود حتى وجدتُهم يهرولون مثلما فعلتُ وبدأوا يصعدون السفن.

في الحقيقة، لقد أحسستُ بوجعٍ في صدري، هناك شيءٌ يُخلج قلبي، علمتُ مباشرةً أنّ هناك صراعًا بداخلي حول ما تركته خلفي، حول أول اختبارٍ لحبي لها ومدى إخفاقي في اجتياز هذا الاختبار، خذلتُها في أول تجربةٍ؛ عَلَيّ أنْ أختار فيها نفسي أو أحميها.

ظللتُ في هذه الصراع حتى تقدمتُ بخُطى مترددةٍ نحو سور السفينة حتى وجدتُها تشق طريقها للأعلى، تحاول على قدر استطاعتها لكن هناك مَن مثلي، يريدون النجاة فحسب حتى لو على حساب آخرين؛ فدفعها شخصٌ سيكوباتي مثلي ليسبق بالصعود على متن السفينة.

وهنا، كانت اللحظة التي قررتُ فيها أنْ أنهي صراعي وأكون ولأول مرةٍ شخصًا يفعل شيئًا لشخصٍ آخر دون انتظار مقابلٍ لفعل ذلك؛ فمددتُ ذراعي للأسفل وأحكمتُ قبضتي على يدها، وجذبتُها نحوي للأعلى وأنقذتُها من موتٍ محقق.

وما اطمأننتُ حتى لامست قدميها سطح السفينة، وظللتُ أتأمل في جمال عينيها الساحر لدقائق، لكنها حاولتْ أنْ تخفي نظراتها نحوي.

مرتْ ستة شهورٍ نواجه فيها الأهوال، والمخاطر، والخيانة، والغدر ولم أبالِ لأي شيءٍ، ما يصب فيه اهتمامي هو حماية "سارة" فقط من خيانة البشر قبل الآخرين؛ فهي نَفَسٌ آخر على السفينة وروحٌ تريد أنْ تبقى وقد يكون في ذلك عقبة لأحدهم.

قررتُ حمايتها حتى لو لم نكن نتحدّث، تكفيني فقط النظرات. وهنا، أستطيع أنْ أقول تبًا لي وحدي؛ لأنّني اخترتُ الطريق الخطأ من البداية. مَن يعلم؟ لربما كانتْ زوجتي ومعي طفلي منها على متن هذه السفينة إنْ اخترتُ طريقها منذ أنْ التقينا، ولكن رغبتي في القوة كانت جامحة.

ثم حدث ما هو أعنف مِن أي شيءٍ واجهته في حياتي، إنّها

الدوامة اللعينة، تلك العاصفة التي تدور في شراسةٍ جاذبةً في عمقها أي شيءٍ أمامها .. وهذا ما حدث. ارتطمت السفينة وأُخِذنا إلى الأسفل والعالم حولي يدور كالمجنون .. ثم لا شيء.

***

عام 505 ب.ت

رمت الأمواج "أيوب" إلى مكانٍ مجهولٍ لا يعلم به، استفاق بملابسه المبتلة على أحد الشواطئ بحدود مدينةٍ لا يعرف كُنهها، لا يرى أمامه سوى سلاسل من الجبال بعضها حمراء اللون والبعض الآخر رملية، شرع يجر نفسه بخُطى مترنحةٍ حتى استعاد اتزانه إلى أنْ دلف بالداخل بين جبلين شاهقين، حيث منازل وبيوت كثيرة منحوتة بشكلٍ إبداعيٍ في الصخور الصلدة لتلك الجبال.

ثم تفاجأ لشيءٍ كان قد غفل عنه أو لا ينتبه له، ما لبث حتى استوقف وسأل نفسه "مَن أنا؟" قالها بصوتٍ علنيٍ نفسه حين انتبه أنّه لا يعرف هُويته؛ فاكتشف أنّه لا يتذكّر شيئًا إطلاقًا.

دلف عميقًا إلى المدينة حتى تراءى للناس الأقزام، ولكنه لا يبالي لهم كما أنّه لم يبالِ لنظراتهم له في البداية واستكمل مسيره إلى ما لا يعرف، ثم بدأ يتضايق حين وجد الأمر يزداد وأصبحث نظراتهم له كسهامٍ قاتلة فلم يعد يحتملها، وهذا بسبب طول قامته وملابسه المختلفة التي كان يرتديها في عالمهم مثل معطفه البني الطويل وبنطاله الجلد، حتى صرخ فيهم قائلًا بصوتٍ حادٍّ:

- إلى ماذا تنظرون؟ ما الشيء المدهش لكم في أنّ ملابسي

مختلفة عن ملابسكم؟ هل هذا شيءٌ يستحق؟ من المفترض أكون صاحب هذه النظرات لأنّكم أنتم المختلفون، أنتم هنا جميعكم ضئيلو الحجم.

لم يرد عليه أحدٌ، فقابل ذلك بعدم اكتراثٍ، لقد اغتاظ بداخله حين قابل حديثه بالتجاهل، فأسترسل ساخرًا:

- تافهون!

"لماذا كل هذا الصراخ؟ هل لكَ أنْ تهدأ!"

قالها أحد المارة الوحيد الذي انتبه لصراخه؛ فانتبه له "أيوب" فأردف الأول:

- يبدو أنّك لستَ من هنا؟ هل من مملكةٍ أخرى؟ نحن لم نعد نعلم بأمور الممالك الأخرى حتى بطريقة ملابسهم. من أي مملكةٍ أنتَ؟

لم يجبه "أيوب"، فعبّر عن عدم اكتراثه وأكمل طريقه، فقال الرجل:

- إلى أين تذهب؟ يبدو أنّك لا تعرف وجهتكَ.

لم يبدِ "أيوب" اهتمامًا للرجل، اكتفى بنظراتٍ متسائلةٍ، كان مَن يشاهدون منذ قليلٍ ينسحبون ليذهبوا إلى حيث هُم ذاهبون، فأكمل الرجل حديثه:

- اسمع .. هذه مدينة "وولفلاند" المدينة الثانية لمملكة "نانيوس"، لا بدّ وأنْ تعرف أنّ هذه مملكة الشرق "نانيوس".

أخيرًا، قرر أيوب أنْ يبدي له اهتمامًا فأجاب على مضضٍ:

- اسمع أنتَ لا يهمني هذه الأسماء ولا ممالككم الحمقاء، فقط أريد أنْ أعلم مَن أنا؟ وما الذي أتى بي إلى هنا؟

جحظت عينا الرجل وبدا الاندهاش يظهر على ملامحه مع رسم شبح ابتسامةٍ على وجهه، فتساءل "أيوب":

- لماذا أنت سعيدٌ؟ هل أنت معلهم أيضًا تافه؟

ثم انفرجت أسارير الرجل وقال فرحًا:

- بدأتُ أشك في أنّك هو؟

- هو مَن؟

ثم نظر الرجل مليًا في "أيوب"، وقال:

- إنّك صاحب شخصيةٍ قوية، يبدو أنّك الموعود!

بدا التعجب على ملامح "أيوب"، وقال مستنكرًا بعدم اكتراثٍ:

- موعود؟!

ثم حدّثه الرجل على تلك النبوءة، فسمع له "أيوب" وبدا الاهتمام عليه حتى فرغ الأول من سرد كل ما في جُعبته، فقال له أيوب:

- حسنًا، وجود نبوءةٍ يعني وجود علامات، ويبدو أنّني لا أتطابق مع أي علامةٍ من التي قُلتها للتّو. إذن، فلتصمت أيُّها القزم واذهب إلى حال سبيلكَ واتركني أتدبر أموري وحدي.

اقترب نحوه الرجل وقال محذرًا:

- كما تحب، لكن احذر هذه مملكة الذئاب، لا تقلق إنْ قابلكَ ذئبٌ

ضخم أبيض مكشّرًا على أنيابه.

لم يبالِ لما قاله الرجل، ولم يصدق ما قاله من تُرّهاتٍ بالنسبة له فتركه "أيوب" ومضى في طريقه.

وبعد أنْ تقدّم مسافةً ليست بصغيرةٍ سمع ما لم يتوقعه، ما لم يصدقه؛ لقد أتى على مسامعه صوت عواء ذئبٍ في الأرجاء يبدو آتيًا من وراء الجبال، فتوقف بغتةً وأخيرًا قرر الاستسلام بعد ترددٍ استمر لبرهةٍ من الزمن، وعاد أدراجه إلى حيث كان واقفًا مع الرجل الذي لم يتحرّك من مكانه حين غادره "أيوب" وكأنّه كان يتوقع أنّ الأخير سيعود إليه مستسلمًا؛ فبادر الرجل بالحديث وكأنّه لن يتوقف أبدًا عن الثرثرة فقال وابتسامة النصر تعلو وجهه:

- تعالَ معي، سأعرفكَ إلى شخصٍ مهم.

عقد "أيوب" حاجبيه وقال في تساؤل:

- لماذا تشغل بالكَ بي؟ ألستُ غريبًا عنكم؟

أجاب الرجل:

- لقد أخبرتُكَ سابقًا؛ قد تكون المختار.

تنفس "أيوب" الصعداء، واستسلم لأمر الرجل ومضى معه.

وصلا إلى كوخٍ صغيرٍ محفورٍ في أحد الجبال الصغيرة الصفراء، وأمام بابه حجرٌ أصفر كلون الجبل حتى ينخدع ما يراه أنّه ليس هناك كوخٌ من الأساس بل مجرد جبلٍ كله أصفر. كان الكوخ لا يبدو عليه أنّه مسكن لأحد الأشخاص العاديين وليس المهمين كما قال

له الرجل. دلفا إلى داخل الكوخ من خلال بابه الصغير الذي أجبر "أيوب" أنْ يطأطئ من قامته؛ حتى يستطيع الولوج إلى داخل الكوخ.

كان يجلس على أريكةٍ شخصٌ لا يختلف عن الرجل الأول في طول القامة، كان قصير القامة "قزم"، كان بنفس الشعر الخشن المُدبر البني واللحية الكثيفة بالشارب ذي الفرعين النازلين للأسفل يحملان نفس لون الشعر، والأنف الكبيرة والبشرة القمحية، لكنه نحيفٌ بعض الشيء، بدا عليه الثقة والإقدام وكأنّه جبار ذو بأسٍ، فاقتنع "أيوب" بما وصفه الرجل بأنّه شخصٌ مهمّ.

سأل الشخص المهم:

- ما اسمكَ؟

أجاب أيوب:

- لا أتذكّر، لا أعرف مَن أنا؟

قال الشخص مندهشًا:

- إنّها من علامات النبوءة.

تساءل "أيوب" بعد أنْ فاض به من الثّرهات التي يسمعها منذ أنْ وصلتْ قدماه إلى هذه الأرض.

- لكن ما سمعته من صديقكَ مختلفًا، لن يذكر أنّ من العلامات أنْ يكون المختار لا يعرف هُويته.

ضحك الرجل وقال ساخرًا:

- هكذا تكون الحكاية دائمًا، المختار لا يعرف هُويته ثم يتفاجأ أنّه هو. ثم النبوءة لا زالت ناقصةً ولا يعلم أحدٌ بالجزء المجهول.

تعجب "أيوب" من الحديث وبدا أنّه مهتمّ بالأمر، فسأل الرجل المهم:

- ما اسمكَ؟

أجاب الرجل:

- إنْ سمعتَ اسمي ستخضع لي.

غضب "أيوب" من هذه الوتيرة وقال حانقًا:

- لا أخضع لأحدٍ، مَن أنتَ أيُّها الـ...

قاطعه الرجل الأول صديق الشخص المهم وقال:

- انتبه، إنّه الوريث الشرعي.

انتبه "أيوب" وبدا على ملامحه الاستفهام حين نظر للرجل الأول، ثم أشاح بنظره ليوجهه إلى الشخص المهم ليقول الأخير:

- أُدعى "أنطور"، الأخ والوريث الوحيد للملك "إيكاي"، ملك مملكة "نانيوس" .. مملكة الذئاب.

الذئب

- ما اسمكِ؟

سأل الملك "إيكاي" هذا السؤال موجّهًا إيّاه إلى "سارة"، رغم إخبارها لهم أنّها لم تتذكّر هُويتها ومن أين جاءت؟ فأجابت :

- في الحقيقة، أريد أنْ أخرج من هنا لأعرف أنْ أجيب على سؤالكَ، مولاي الملك.

قال الملك:

- أعتذر! اعذريني إنّها قرونٌ خمسة من البحث وانتظار المختار لينفذ النبوءة، أوشكت الذئاب على الانقراض وهي السلاح الذي تقوم عليه المملكة، وبه نستطيع نواجه أعداءنا. ومجيئكِ هنا جعلني أعقد المجلس قبل ميعاده بأكثر من شهر.

وهنا، جاء على بال "سارة" أنْ تسأل سؤالًا حول موضوع ما تحتار فيه حين عملت بكل أمور المملكة:

- ما السبب الذي يجعل القمر يكون بدرًا كل ثمانية أعوام؟ هذا من الخوارقيات، وكسرٌ لقوانين الطبيعة.

مطّ الملك شفته وأجاب غير مقْنع:

- قد تكون لعنة.

ابتسمت "سارة" مجاملةً ولم تنبس ببنت شفة، فأردف الملك طالبًا من قريبته "كلارا" أنْ تذهب مع المختارة إلى إحدى حجرات القصر لكي تستريح.

غاصت على فراشها تحت لحافها الفاخر الناعم المصنوع من ريش النعام مرتديةً الملابس الجديدة مثل الجلباب، كان رماديًا طويلًا حتى القدمين، يتزين بالنقوش القرمزية، ورباطٍ يربط الصدر، ذلك الذي صنعوه لأجلها خصيصًا لكنها لم تعرف سبيلًا للنوم، ولم يستطع النوم أنْ يجد مسارًا لعينيها فظلت تفكّر في حالها؛ كيف انتهى بها الحال على فراشٍ فاخر ويحترمها الجميع لدرجة أنّهم مؤمنين بشيءٍ في نظرها إنّه خرافةٌ. كم أرادت أنْ تخرج للخارج وتظل تبحث؛ لعلها تصل لأي شيءٍ يدل عنها وعن أصلها، لكنها تعرف في قرارة نفسها أنّ هذا لن يجدي نفعًا؛ فهي على يقينٍ أنّها ليست من هذه المملكة، وهناك عدة أسبابٍ لهذا الاقتناع؛ أولهم: هو اختلاف حجمها عنهم؛ فهي الوحيدة التي تطول عنهم في القامة. ثانيهم: اختلاف اللباس، وثالثهم: أنّ أحدًا لم يتعرّف عليها حتى الآن، والجميع ينظر إليها بأنّها هي الموعودة التي ستخلصهم.

ولكن هذا كان أقل ممّا يشغل تفكيرها حقًّا، فما حدث هذا الصباح حين جاء أحد الجنود وقال أنّ هناك مَن يحاول أنْ يقتل ذئبًا هو ما يؤرقها، ظلت تعيد ذكريات هذا الحدث في مُخيلتها، فلم تستطع نسيانه أو مروره مرور الكرام؛ لقد كان حقًّا أمرًا مثيرًا بالنسبة لها ويستحق أنْ تشغل تفكيرها به، ولا سيّما أنّ هذا الشخص يرتدي ملابس شبيهة بملابسها، والأدهى أنّه الوحيد الذي في مثل قامتها؛ ففكّرت أنْ يكون هذا الشخص هو منقذها من الخرافات التي تعيش فيها وأنْ يعلم بشيءٍ عنها. فلديها شكٌ أنّه قد يكون من نفس المكان الذي أتت منه؛ ولهذا جاء في فكرها أنْ تذهب إلى السجن لتسأله عمّا يؤرق بالها، وإنْ كان يعلم شيئًا عن هُويتها، وإنْ رفض قد تعرض

عليه أنْ تنقذه من سجنه مقابل أنْ يقول لها أي شيءٍ يخصها.

غاصت في بحر التفكير فيما حدث حين خرجوا من قاعة الاجتماعات، ودخل الجندي إليهم وقال أنّ هناك شخصًا حاول أنْ يقتل ذئبًا؛ فهرول الجميع إلى الخارج بعد غضب الملك ولا تعلم "سارة" لِمَ هذا الذعر، فتبعتهم للخارج.

لقد كان شخصًا مرتديًا بالفعل لباسًا يشبه ما ترديه تلك الموعودة صاحبة النبوءة، رأته "سارة" وللأسف لم تتعرّف عليه بسبب فقدان ذاكرتها، وهو رآها بدوره ولم يتعرّف عليها بسبب نفس السبب، كما أنّ بنية جسده القوية، وعضلاته المفتولة ذكّرها بما عرفته في أيامها القليلة التي قضتها هنا، لقد ذكّرتها بالحكاية التي سردها لها الملك وكانت سببًا في عبادتهم للذئب.

فمنذ قديم الزمان، حين جاءت غارةٌ على مملكة "نانيوس" من أقاصي الشرق وراء البحار من قارةٍ أخرى غريبة عنها، كانت تملك مملكة "نانيوس" فتيان أقوياء مفتولي العضلات أقزام مخلصين إلى أبعد الحدود.

فحين قامت الحرب كان هناك ذئبٌ أبيض قويٌ ضخمٌ شرسٌ جاء من وسط الجبال التي لم تُسكَن بعد في أيام المملكة الأولى، فكانوا جاهلين بأمر الذئاب وسط الجبال. ولكن تعرّض له واحدٌ من هؤلاء الفتيان الأقوياء، وظلّ يصارع مع الذئب المفترس ليُكسب إخوانه الوقت ليحاربوا العدو فتولى هو أمر الذئب، ظلّ الذئب يعوي كأنّه ينادي على إخوته، وبعد صراعٍ طويلٍ استطاع الفتى أنْ يركب الذئب كي يروضه، هكذا قرر بعد أنْ فشل في قتله، لقد كان ذئبًا عنيدًا لا

يستطيع أحدٌ قتله.

وبعد صراعٍ آخر، استطاع أنْ يُلجمه لكي يكون بعد ذلك في مقدمة جيش مملكة "نانيوس"، فحين جاءت بقية الذئاب البيضاء الضخمة أبصروا أخاهم الذئب يحارب بجانب هذا الجيش ضد جيش العدو، ويمتطيه أحد الرجال الشجعان فحاذت الذئاب حذو الذئب الوحيد حتى تم القضاء على جميع جنود جيش الأعداء.

ومن هنا، استطاع بقية الفتيان السيطرة على الذئاب بسهولةٍ بخلاف الأول، وذلك لعدم هجوم الذئب الأول على مُروضه فحاذت الذئاب مرةً أخرى حذو الذئب؛ فصار القطيع واحدًا تابعًا للمملكة وصار سلاحهم القوي الذي يفتك بأي عدوٍّ خارجيٍّ أو داخليٍّ.

انتشلت نفسها من ذاكرتها أو الأدق أنّ هناك ما انتشل عقلها من أفكارها؛ حين رأته ينظر إليها وكأنّ هناك شيئًا تحرّك بكيانه وأحسّ بالأمان، فهو يرى الشخص الوحيد الذي يشبهه. وهكذا هي شعرت أيضًا، لقد كان ذلك الشخص هو "أيوب".

كان واقفًا بين خمسة جنودٍ من الأقزام، فلزم ذلك الشخص أربعة منهم كي يستطيعوا أنّ يسيطروا عليه لفرق طول القامة وأيضًا قوة بنيانه، بدا عليه التعب وأثر الدم على ملابسه، وعلى وجهه وذراعه اليمنى يحاول أنْ يعيد توازنه.

اقترب الملك منه وصرخ في وجهه:

- مَن أنتَ أيُّها الأحمق؟

نظر إليه "أيوب" في عدم اكتراثٍ ولم يجبه، فضربه الحراس على

رأسه.

- كيف تجرؤ؟

فأجاب "أيوب" بأسلوبٍ فظٍّ:

- لا أتذكّر، لا أعرف مَن أكون؟

وهنا، اندهش الجميع لذلك؛ فهناك أيضًا ظهر شيءٌ آخر يدل على أنّه على صلة قرابةٍ بتلك المدعوة، وكان هذا الدليل القاطع الذي أكّد على شكها أنْ يكون ذلك الرجل الماثل أمامها له علاقة بها؛ فبات كأنّه أملٌ لديها رغم أنّها تعلم أنّه لا يتذكّر شيئًا مثلها، فقد يتذكّر أي شيءٍ قبل أنْ تتذكّر هي أو العكس، ثم قال الملك:

- لم تتذكّر شيئًا، وتأتي لمملكتنا كي تقتل ذئبًا.

قال "أيوب":

- لقد وعدني أحدهم أنْ أقتل الذئب لأعود كما كنتُ.

نظر الجميع نحو المختارة حين سمعوا ما سمعوه بما فيهم الملك، ثم عاد ينظر إلى جنوده وفكّر برهةً كأنّه لا يريد أنْ يفعل شيئًا قد يندم عليه فيما بعد، فيُحزن المختارة إذا اتضح أنّه قد تربطه علاقةٌ بها حتى لو من بعيدٍ؛ فأمر جنوده أنْ يزجوه في السجن الأجوف.

السجن الأجوف؟

هكذا تساءلتْ "سارة"، ولم تستطع أنْ تتدخل في أي شيءٍ حدث أمامها؛ فهو الملك وهذه أرضه وهذا شعبه، وهي لا تتذكّر هذا الشخص.

استرجعت "سارة" نفسها من تفكيرها والإسهاب في ذكريات ما حدث اليوم، وفي ذلك الرجل الذي قد يكون قريبها. فهمّت إلى خارج حجرتها، ونزلت للأسفل، وأمرت أحد الجنود أنْ يرافقها نحو السجن؛ فتردد ذلك الجندي فنهرته وحاولت أنْ تستخدم حيلةً لتقنعه فقالت له في جديةٍ:

- إنّني المختارة، كيف لكَ أنْ ترفض ما آمرك به؟!

وفي الحال، نفذ الجندي الأمر ورافقها نحو السجن الذي يقبع وراء خلف أحد الجبال القريبة داخل جبلٍ آخر مجوفٍ عميقٍ للداخل؛ فالسير فيه لن ينتهي للداخل حتى يتم نقص الأوكسجين في الأجواء ويكاد ينعدم الهواء، ويسود الظلام فقط، هنا يتم حبس المجرم، إنّه لسجن مخيف مرعب.

دلفت إليه بعد أنْ فتح لها الحارس باب السجن، نظرت إلى حاله المتدهور وبقاع الدم المتجلطة على ملابسه ووجهه وذراعه اليمنى، كان متقوقعًا في جلسته داسسًا رأسه بين ركبتيه، إنّها على بعد ثوانٍ لترى وجه مَن واجه الذئب بمفرده عن قربٍ. رفع نظره للأعلى فأبصرها، وما لبث أنْ رآها حتى أسرعت دقات قلبه، وكأنّ هناك شيئًا بالداخل يضخ الدم إلى بقية جسده، ثم لاح على وجهه ابتسامة فقالت متسائلةً:

- علام تبتسم؟

أجابها:

- فقط رؤيتكَ.

حاولت أن تمتلك نفسها ولا تضعف أمامه فسألته:

- لكنكَ لا تعرفني.

قال "أيوب":

- لكنكِ كنتِ الإنسان الوحيد الذي لا يشبههم حين قبضوا عَلَيّ .. تشبهينني أنا فقط.

- مَن أنتَ؟

أجابها بذات الإجابة التي كانت لديها حين سئلَت بنفس السؤال؛ فزاد ضخ الدم عندها هي هذه المرة وبات هناك الأمل الذي تتمسك به أكثر جليًا، فبادلته نفس الشيء وأخبرته بأنّها مثله لا تتذكّر هُويتها، فأدرك "أيوب" أنّه قد يكونا من نفس المكان أو تجمعها صلة قرابةٍ، وإلّا لماذا آتيا هما الاثنان بنفس شيمة الملابس، وبنفس حجم الأجسام، وإلى نفس الأرض وفاقدان للذاكرة أيضًا؟! بات الأمر أكثر وضوحًا ممّا قبل، وأدركا أنّ مصيرهما مرتبطٌ لكنهما لا يعرفان سبيلًا له، فقالت له:

- سأحررك، ونبحث معًا عن هُويتنا.

سألها بتمعن:

- كيف ذلك؟ إنّها ليست أرضنا كما ترين.

فهمت "سارة" ما يرمي إليه فاقترحت ما هو أكثر من الجنون:

- إذن، فلنبحر ونغادر هذه الأرض، إنّني أعيش وسط شعبٍ يؤمن بالخرافات والنبوءات.

انتبه لما قالته للتّو وأثارت فضوله فسألها في لهفةٍ:

- هل قُلتِ نبوءات؟

نظرت له في توجسٍ وضيّقت جفني عينيها وتساءلت:

- هل هناك شيءٌ تعرفه عن تلك النبوءة المزعومة؟

أجابها غير مهتمٍ بأمر النبوءة:

- هناك في مدينة "وولفلاند" مَن يعتقد أنّني المختار ومحقق للنبوءة.

اندهشت "سارة" لما قاله "أيوب" وجحظت عيناها وقالت في توجس:

- غريب! إنّهم يعتبرونني كذلك أيضًا هنا في مدينة "دورفلاند"، وإنّني أول علامةٍ تظهر لهم بالفعل ممّا تزعم به نبوءتهم.

قال "أيوب" مستنتجًا:

- لذلك لم يأمر بقتلي، فيكون ذلك قرارًا تحزني من أجله وأنتِ بالنسبة له شيءٌ مهمّ جدًا، فحاول أنْ يتجنب ذلك كونكِ تشبهينني. من المؤكد أنّه ربط بيني وبينكِ، بما إنّنا غريبان في مملكته.

قالت:

- ليس هذا المهم. أخبرني كيف لم تخف حين واجهتَ ذلك الذئب الضخم المتوحش؟ والأهم كيف نجوت من ذلك دون أنْ يتمكن منكَ الذئب بعضة؟

نظر إليها بعينين آسفتين وأجابها بما لم تتوقعه أبدًا:

- لقد تمكن بالفعل.

دبّ الرعب في قلب "سارة"، وظهر التوتر على وجهها حين رأتْ ما أظهره لها "أيوب"، لقد أبصرتْ عضة الذئب الشرسة ناهشةً في جنبه الأيمن بعض اللحم، فقالتْ في ذعرٍ:

- إنّك في عداد الموتى، حسب كلامهم أنّ مَن يتعرّض لعضة ذئبٍ في غياب القمر يموت لا محالة.

نظر إليها خائفًا مرتعدًا لا يحبذ فكرة الموت ولا يريد أنْ يموت، وإنْ أراد ليس بهذه الطريقة ليس بسبب عضة ذئب، ليس في أرضٍ غريبة دون أنْ يعلم بهُويته، لا يريد أنْ يموت دون أنْ يعرف به أحدٌ غريبًا في أرضٍ غريبةٍ فتمحى ذكراه التي لا يتذكّرها.

اختلج قلب "سارة" وقالتْ له في محاولةٍ منها لتخفيف ما يشعر به:

- ليس هناك وقت، سنبحث عن حلٍّ فيما بعد، لا بدّ وأنْ تهرب الآن.

أجابها في يأسٍ:

- وفري ذلك، لا تريدين أنْ تكوني الخائنة لهم لمساعدتكِ لشخصٍ ميتٍ، هذا لن يفيدكِ.

أخذا وقتًا في الجدال في هذا الأمر حتى انتهى إلى مسامعهما صوت جلبةٍ آتيةً من الخارج، إنّه صوت البوق الذي لا يُستخدم سوى للحالات القصوى، وما لبث الجنود أنْ سمعوا صوت البوق حتى علموا

أنّ هناك شيئًا خطيرًا؛ فركضوا جميعهم للخارج تاركين باب السجن مفتوحًا، وهذه كانت فرصةً كبيرةً لهما لينتهي جدالهما الذي طال.

ركضا من خلف الجنود في تخفٍ حتى خرجا إلى الخارج، تسللا حتى تمكّنا من عبور الممر الذي يؤدي إلى الجبل حيث السجن ليستلما ممرًا آخر يربط بين سلسلتي جبالٍ متقابلتين منخفضة الارتفاع.

لقد كان مصدر الجلبة صادرًا من الأعلى فوق قمة الجبل، توقف "أيوب" إثر سماعه لصوتٍ يبدو له مألوفًا وقال لها:

- انتظري، أريد أنْ ألقى نظرةً أخيرةً قبل أنْ أرحل.

نظرتْ له في توجسٍ؛ فهي لا تحبذ هذه الفكرة ففهمها وقال لها:

- أريد أنْ أتيقن من شيءٍ ما.

ظهر القلق على ملامحها، وفكّرت فيما قد يهتم به شخصٌ من أرضٍ أخرى تبدو أرضها بهذه الأرض الغريبة عنه؟! ما الصلة التي تربطه بهذا المكان؟

تسلقتْ خلفه منحدر الجبال المنخفض حتى لاح إليهما بعض الأشخاص، كان من ضمنهم الملك نفسه وفي مقابلته الشخص الذي شكّ فيه "أيوب"، وكان يحاول أنْ يتأكّد منه، لقد كان "أنطور" أخو الملك الذي قابله "أيوب" في المدينة الأخرى، وأقنعه أنْ يقتل ذئبًا في مقابلة أنْ يعرف هُويته.

ففي هذه المملكة مَن يقتل ذئبًا يكتسب قوةً تساعده على ذلك، وبالطبع علم "أيوب" الآن أنّ هذه كذبةٌ اخترعها "أنطور" ليصل إلى

مبتغاه؛ وهو قتل ذئبٍ لكن ما كان الهدف من رغبة الأخ؟

في الوقت الذي وصلا لقمة الجبل من خلف الملك وحاشيته سمعوا ما لم يتوقعه أحد؛ لأنّ الملك كان يحب أخاه جدًا، وظل يبحث عنه العديد من السنوات، وكذلك أخوه كان طيب الخلق وحكيم العقل ومحبوبًا في قلوب جميع شعب المملكة، مشكلته أنّه لا يحب تحمل المسئولية، لقد سمعا "أنطور" يقول لأخيه الملك في غضبٍ:

- لماذا تريد أنْ تقتلني؟

اندهش الملك ممّا سمعه وقال مستنكرًا:

- أقتلكَ؟

غضب الأخ أكثر وجزّ على أسنانه قائلًا:

- هل تلعب دور البريء الآن أمامي؟!

قال الملك مبررًا:

- كيف تقول ذلك؟! لطالما أردتُ أنْ تكون الملك من بعدي وأنتَ مَن كنت ترفض ذلك.

ضحك "أنطور" وقال ساخرًا:

- إنّها ألعوبة من ألاعيبكَ، لتجعلني أصدق حبكَ لي.

لم يفهم الملك شيئًا ممّا يقوله أخوه؛ فتحولت الابتسامة الماكرة على وجه الأخير إلى غضبٍ عارم وشهر سيفه وقال مقتربًا نحو الملك ركضًا:

- سأقتلكَ أيُّها الذئب، ليعود كل شيءٍ كما كان.

وفي تلك اللحظة دوّى صوتٌ آخر .. صوتٌ مخيفٌ، كان صادرًا من الجانب الذي بجوار "سارة" الذي يقف فيه "أيوب"، لقد كان ذلك الصوت عواءً .. عواء ذئبٍ؛ فالتفتت "سارة" بجوارها بعد أنْ التفت الجميع نحو ذلك الصوت؛ فتفاجأت أنَّ "أيوب" لم يكن واقفًا بجوارها! فنزلت بنظرها للأسفل لتجده مطروحًا .. مفروشًا أرضًا لم يحرِّك ساكنًا!

3

مملكة الثعبان

"كانغور"

الملك

عام 505 ب.ت

"سيركض في سرعةٍ كالوحش الناري وسط الظلام؛ سيحطم القيود ليجلب الدمار، حينها سيكون الجميع واحدًا."

هذا ما كان يهذي به الملك، ملك مملكة "كونغار"(1)، الملك "أيار"(2) الثالث من اسمه. كان يهذي بهذه النبوءة التي رآها عبر رؤيةٍ في منامه منذ ثلاث سنوات، منذ إصابته بالمرض الخطير الذي سيعجّل في أجله، ليس على لسانه الثقيل سوى نطق هذه الكلمات، ولكن ما كان يشغل بال الحاشية من حوله هو وريثه وخليفته في الحكم؛ فليس هناك الكثير من الوقت لينتقل الحكم لأحدٍ من أبنائه الثلاث الذكور، ولا سيّما أنّ أكبرهم كان ابنًا غير شرعي.

فكان معروفًا منذ قديم الزمان أنّ:

إنّها الرؤية التي ظلّت تتناقل من ملكٍ إلى آخر دون أنْ تتحقق، وحدهم الملوك هُم مَن يرون هذه الرؤية ويؤمنون بهذه النبوءة، إنّها النبوءة التي ستحمي مملكة الغرب "كونغار" من السلاح نفسه الذي يحميها طوال هذه القرون.

فمنذ أنْ وُجد هذا السلام منذ قديم الأزل كان السبب في قوة هذه

المملكة، كما أنّه سيكون السبب أيضًا في محوها إنْ لم يتم التحكم في هذا السلاح "الثعبان ذو الثلاث رؤوس الذي يعيش تحت المياه" لا بدّ وأنْ يجعلوه في طوعهم، وليس هناك سوى طريقةٍ واحدة وهي بعث جيش الموتى الغارق تحت المياه منذ آلاف السنين.

لقد كان هذا مضمون الرؤية كما شجلث في الكتب منذ أنْ رآها أول ملكٍ للمملكة في حُلمٍ، ولكن لم تتحقق منذ التاريخ الأول للمملكة "ما قبل التنين".

ظلّت "نيميسيا"(3) تحملق في ملامح زوجها الملك التي بدأت تتلاشى، فلم يبقَ منه سوى عينين لا يفتحان سوى القليل، وشعرٍ لم يعد يبقى منه سوى الفتيل، ولحيةٍ يلونها شعرٌ رماديٌ ضئيل، وتجاعيد محفورة في وجهٍ نحيل، فتحوّل جسم الملك القوى مع قساوة المرض إلى جسدٍ هزيل. لقد تمكّن العمر والمرض كلاهما منه فظلّت تقارن نفسها به؛ فهي لا زالت تصغره بخمسة وعشرين عامًا فكانت ملامحها نضرةً وهي في منتصف عقدها الخامس وشعرها الأشقر، وجسمًا رشيقًا رغم حملها لاثنين من أولاد الملك وهما "إيبيري"(4) والأصغر "هولي"(5). فرغم عينيها الخضراوين الصافيتين إلّا أنّها كانت لها نظرةٌ ثاقبة مخيفة، كانت ترمق بها تلك الخادمة التي كانت على علاقةٍ بزوجها الملك فحملت منه ابنه البكر "أندريا" إنّها الخادمة "بيجونيا"(6)، التي لا زالت تؤدي خدماتها في القصر الملكي وهذا بأمرٍ من "نيميسيا" نفسها رغم معرفتها بما حدث بينها وبين زوجها، ما دفعها لذلك هو أنّها تعلم في قرارة نفسها أنّه لو كان تزوج بها الملك قبل معرفته بتلك الخادمة ما كان سيفعل فعلته

الحمقاء؛ لأنّ ببساطةٍ تعلم أنّها أجمل من الخادمة وهذا ما جعلها تأمر ببقائها لتجعل "بيجونيا" تشعر ذلك الشعور المهين، وهو أنّه لم يعد ينظر لها الملك أو يهتم لأمرها لأنّه ببساطةٍ هناك مَن غشي أنظاره عنها طوال هذه السنين، هناك من غطى على ذلك، هناك تواجدت الملكة بجمالها فلم يعد يهم وجود أي أميراتٍ أو وصيفاتٍ في حضورها.

كانت أجواء مدينة "إيل" عاصمة مملكة "كونغار" متوترةً، أكبر مدن المملكة الثلاث، فالمدينتان الآخريان هما "كاليستون" و"سيربن".

شعر البعض بالحزن تجاه الملك المريض والبعض الآخر يشعر بالقلق تجاه مستقبل المملكة؛ فهذا ليس الوقت المناسب كي يُترك العرش ويُترك الشعب بلا قائد، فهُم في حوجٍ لذلك ولا سيّما الوقت الراهن الذي يقف على كف عفريت؛ فالواضح أنّ مملكة الغرب هي أقوى ممالك القارة بسبب امتلاكها أقوى سلاحٍ من بعد انقراض التنانين من مملكة الشمال، فأصبحت القوة لصالح الغرب.

ولكن في الحقيقة، إنْ لم يتم إحياء جيش الموتى الراكض تحت المياه فسيلتهم الثعبان ذو الثلاثة رؤوس المملكة. هذا الأمر لم يخرج من ربوع المملكة، ولن يخرج لتحتفظ المملكة بهيبتها وسط الممالك الثلاث الأخرى، لا أحد يعرف كم من الوقت متبقٍ لينقلب السلاح على مالكه.

ولكن لا بدّ وأنْ تبدأ الرؤية التي هرِم الشعب من أجلها ولا زال، حتى الآن لا يوجد أي علاماتٍ للراكض مثل الوحش الناري ولا للراكض بين الظلام، ولا يوجد هناك دمارٌ سوى ما سيفعله الثعبان

إنْ لم يتم التحكم فيه، ولن يحدث هذا التحكم سوى ببعث الموتى ليصبح الجميع واحدًا الأحياء والأموات.

لا بدّ وأنْ يُعقد المجلس للبت في هذ الأمر؛ فمصير مملكة وشعبها في براثن هذا السلاح، ولا يجب التخلص منه فلن تقبل المملكة أنْ يكون مصيرها مثل مملكة "لوردلاند".

ولهذا السبب كانت مملكة "كونغار" تحتضن السحرة، والعرّافين المهاجرين من مملكة الجنوب في الخفاء؛ بسبب رغبة إحياء جيش الموتى، فلم يكن يقبل الملك قبل مرضه أنْ يقف مكتوفَ الأيدي دون أنْ يفعل شيئًا سوى انتظار تحقيق الرؤية؛ ولذلك تم اللجوء إلى المملكة الرابعة المحرمة على الممالك الثلاث الأخرى بما فيهم مملكة الغرب هذه.

إنّها مملكة الجنوب بل مملكة السحر وكل ما هو محرمٌ على البشر لاستخدامهم الشر، فشعب تلك المملكة يستخدمون السحر في الإيذاء والأعمال الخسيسة وكل ما هو طالح، فلا يجب أبدًا اختلاطهم مع ممالك البشر، ولكن رغم ذلك أخفتهم المملكة الغربية المتمثلة في قادتها وعلى رأسهم الملك بعيدًا عن شعب المملكة، في قريةٍ صغيرة بمدينة "كاليستون" الأقرب نحو البحر بجنوب المملكة، وهناك يفعلون السحر، فيغطسون مرةً كل شهرٍ ليتمموا ما فعلوه من تعاويذ لكن دون جدوى. مَن يذهب إلى هناك لا يعود، باءت كل المحاولات بالفشل، لقد كانوا على علمٍ لسبب ذلك الفشل وهو عدم ظهور أيٍّ من علامات النبوءة حتى الآن.

فلقد كان هذا الوحش سببًا في تأسيس هذه المملكة، فإنّ أصل

الغرب من قديم الزمان هو جماعةٌ قلّة لا يعرفون شيئًا عن السياسة، والحرب، والمُلك، لا يفقهون سوى في عملهم الذي كانوا يُرزقون منه، فكان هؤلاء البشر صيادون، وبحّارة، يقتاتون معيشتهم من خير البحر وما يرميه إليهم. كانوا يملكون القوارب، ويبحرون بها أميالًا.

ولكن في ذات مرة، حين رموا شبكتهم في وسط البحر ليصادوا الأسماك .. مصدر معيشتهم، كان أحدٌ لا يقدر أنْ يرفع الشبكة إلى القارب، اجتمع كل مَن أتي في هذه اللحظة، وبالكاد نجحوا في رفع الشبكة، وهنا كانت الفرحة التي غزت قلوبهم، لم يصطادوا أسماكًا، بل لحمًا أطيب من الأسماك، شيئًا كان أكبر حجمًا من السمك، لكنه من غير رأس، يشبه جسم الثعبان، لونه برونزي، وهذا ما بثّ الطمأنينة في بعض الصيّادين، لم يعرفوا ماهيته، البعض منهم لا يكترث إلّا أنّه شيءٌ جديدٌ سيقتاتون منه الكثير، لكن البعض الآخر اهتم بهذا الأمر، كانوا خائفين منه؛ فهم لا يعرفون ما هذا الشيء، ففكروا أنّه قد يكون شيئًا ليس أطيب من الأسماك، قد يكون شيئًا آخر لا يريدونه، وهنا صرخ أحدهم رافعًا سيفه وقال:

- حسنًا، سنكتشف الآن.

كان يقصد بقسمه نصفين بسيفه، ولكن ما حدث كان غير ذلك على الإطلاق؛ ففي اللحظة التي نزلت فيه يده بالسيف، كان قد قُسِمَت يده هوا! فسقط الجزء الذي كان ممسكًا السيف، لقد سقط نصف ذراعه بجواره في شبكة الصيد! لقد كان ذلك من فِعل ذلك الوحش الذي أخرج من جسمه ذراعًا طويلًا مخيفًا مرنًا لقد كان ذيله، لكنه حادٌ كالسيف.

وبعد لحظاتٍ أخرى كانت الصاعقة الثانية؛ أخرج ذلك الوحش ثلاث رؤوسٍ برونزية من جسمه، تشبه رأس الثعبان أسفلها رقابٌ قصيرة لصغر حجمه! تساءلوا في خوفٍ عن ماهية هذا الشيء اللعين، وكيف كان في البداية شكلٌ، وفي الوقت المناسب أصبح شيئًا آخر، هل كان يسمعهم؟ ما هذا؟ هل هذا الوحش يفهم حديثهم؟ أيعقل أنْ يكون ثعبانًا ذكيًا يعرف عدوه من صديقه؟ فأطلقوا عليه الثعبان ذا الثلاثة رؤوس، بعد أنْ قتل كل الصيادين الذين كانوا يريدون شويّ لحمه الأطيب من الأسماك، ثم ترك الآخرين الذين لم يكونوا يريدون ذلك، بالفعل إنّه يعرف صديقه من عدوه.

وفي ذات مرةٍ أخرى، كان جماعةً من القراصنة قد وصلوا إلى البر، فكان برهم هذه المرة على شاطئ هذه الأرض، لقد تعبوا من سفرهم البحري لأعوامٍ وأعوامٍ، ثم لاحظوا نقصًا في ثروتهم السمكية، ولهذا قرروا أنْ يرتاحوا برًا لمدة ثلاثة أشهر. لكنهم جاءوا والطمع يملأ قلوبهم، لم يعتادوا في حياتهم على البحر على أنْ لو أرادوا شيئًا يطلبونه أولًا أو يشترونه، لم يعرفوا سوى الاستحواذ على الشيء الذي يريدونه، حتى لو لم يكن من حقهم؛ فحياتهم ليست بها تجارة لأنّهم ببساطةٍ هم التجارة نفسها، فنشب خلافٌ بينهم وبين بائعة السمك على هذا الشاطئ، فأرادوا أنْ يستولوا على هذا الخير دون الدفع بالمقابل، فهم لا يعرفون هذا الشيء، ثم قَتَل القراصنة ثلاثة أشخاصٍ من أصحاب الأرض، ولم ينفكوا عن هذا حتى جاء الذراع الطويل الذي لم يكن سوى ذيل الثعبان الحاد من حافة البحر، وقطع بحدته كل مَن كان ممسكًا سيفًا من أولئك القراصنة. فنظر الجميع نحو البحر، لقد جاء من المياه متوحشًا، هجم على جميع القراصنة

الغرباء ولم يؤذِ أيًا من أصحاب الأرض.

كان البعض يعلم ماهية هذا الشيء، والآخرون عرفوه للتّو، ولكن ما تفاجأ به الجميع، أنّ حجم هذا الثعبان زاد أضعافًا عمّا رأوه من قبل، فبدا أنّه يتغذى على الأسماك؛ ولذلك قلّت في البحر وجاعت القراصنة. لا يعرف أحدٌ ما أصل هذا الثعبان، ولكن هذا بحر "أوشا" العظيم، لطالما غُرِفَ ببحر العجائب.

ومن هنا، بُنِيت صداقة بين أصحاب الأرض وهذا الثعبان، كما أنّه لم يؤذِهم حين يبحر البعض منهم إلى اصطياد الأسماك، بل كان يُخرج لهم الكثير من الأعماق، فتوسعت تجارتهم وأصبحوا أغنياء، والقوارب أصبحت سفنًا كبيرةً، فامتلكت هذه المملكة أكبر أسطولٍ بحريٍّ في القارة وتكاثروا، وعمرت الأرض بهم، وتأسست المملكة بفضل هذا الوحش الذي زاد حجمه أضعافًا أضعافًا، وأصبحت رؤوسًا برونزيةً عملاقةً برقابٍ طويلة تحمل نفس اللون، حتى أصبح وحشًا مهيبًا يحرس المملكة من أعدائها، وينادونه ببوقٍ يطلق صوتًا خصيصًا له، فيسمعه الوحش ويلبي نداءهم ويأتي من أعماق البحر ليقتل أعداءهم، حجمه ذاك الذي سيكون سببًا في هلاك هذه المملكة، فمثل ما كان سببًا في تأسيسها، سيكون سببًا في تدميرها، لقد أطلقوا عليه فيما بعد اسم "جولونغول"، وتوالت السنوات حتى جاء عصر هذا الملك الحالي.

في وسط كل هذا التوتر حيال الثعبان ذي الرؤوس الثلاث كان هناك توترٌ آخر حيال مصير المملكة من براثن مرض الملك القاتل. فلا يُخفى على الجميع أمر ابنه البكر النغل غير الشرعي "أندريا"، الجميع

يعلم أنّ المُلك لن يصلح له، ولن يكون في يومٍ من الأيام ملكًا على مملكة "كونغار"؛ لعدم أهليته لذلك رغم أنّ فرضيًا لن يصلح سواه وذلك لشخصيته القوية، فهو له كاريزما جذابة تجعل الناس تحبه؛ وذلك لنبل أخلاقه، وحسن سلوكه، وذكائه، وإخلاصه في الجيش الملكي، بالإضافة إلى قومه المعتدل وبنيانه القوي وملامحه التي تشبه والده أكثر من والدته "بيجونيا" الخادمة سمراء البشرة، فكان هو أبيض البشرة يمتلك عينين ساحرتين.

ولكن لا بدّ وأنْ ينفذ القانون فوق كل شيءٍ وعلى أحد من ابنيه الآخرين الشرعيين ابنيّ "نيميسيا"، قريبًا جدًا سيعقد المجلس، فمن المفترض أنْ يكون الأكبر بينهما. وتلك هي المعضلة؛ فالأكبر معاقٌ، قُطِعت إحدى رجليه في معركةٍ ما قبل خمسة أعوام، ولن يقبل الشعب أنْ يحكمه ملكٌ ضعيفٌ ليس له القدرة أنْ يحمل نفسه، فكيف أنْ يحمل مملكةً بشعبها! لم يبقَ سوى الأصغر في الأبناء الثلاثة. وأمّا المعضلة الأخرى؛ فالأصغر لم يكمل سنه القانوني ليحكم؛ فعمره لم يتعدَ خمسة عشر عامًا، ولذلك فالمصير كان واضحًا بالنسبة للنبلاء وقادة المملكة، سيكون الملك هو الابن الأصغر وسيكون ولي أمره الملكة "نيميسيا" والدته، وبالتالي سيؤول الحكم لها وسيكون لها الإصلاحيات في أخذ القرارات نيابةً عن ابنها حتى يصل للعمر الذي يمكّنه من حكم مملكةٍ كبيرة بشعبها.

وسط تلك الأجواء المتوترة، حدث أمرٌ جللٌ اهتزت له أرجاء القصر الملكي، فبعد مرور شهورٍ من رقدة الملك على فراش المرض صدر له أول أمر، لا يصدق أحدٌ ذلك، لقد اندهش الجميع؛ فالملك استفاق من رقدته وأمر بعقد المجلس في الحال ليعلن عن وريثه الشرعي بقرارٍ

ملكيٌ صادر من الملك ذاته.

نوح

عام 2227م

على متن السفينة التي تسلقنا بها حين غزانا الضباب الرمادي إثر فعلة هؤلاء الحمقى الفضائيين كانوا، أو كائناتٍ غريبةٍ من تحت الأرض، أو من كونٍ آخر، لا يهم .. المهم أنّهم ليسوا ببشرٍ أو آليين مثلنا، لقد أعمى الضباب أعين الكثير من البشر الذين لم يحالفهم الحظ باللحاق بالسفن السبع فضلّوا طريقهم هناك، كما فتكت العاصفة بأعدادٍ أخرى من الآليين أو المرتدين فتفككت أجزاءهم، لا أعلم حال مَن أهتم لأمرهم مثل صديقي "آدم"، أو زوجته "مريم"، أو أخته "سارة"، أو حتى ذلك الأحمق "أيوب"، ليس هناك سوى واحدٍ فقط بجواري على هذه السفينة وهو "فهمي" خال صديقي "آدم".

لقد مرث الكثير من الأيام، والأسابيع، والشهور ونحن على السفينة تلطمنا الأمواج من حينٍ لآخر، مرّ ما يقارب من ستة شهورٍ رأيث خلالها صراع البشر فيما بينهم من أجل الزاد، من أجل البقاء والنجاة، لقد رأيث مَن ألقى بأخيه البشري في وسط مياه البحر العاتية، كما نشأ الصراع بينهم وبيننا نحن الآليون. ولوهلةٍ أدركث أنْ لا يستحق البشر الحياة، وأنّ حربنا ضدهم منذ أكثر من مائة عامٍ هو ما كان يستحقونه بالفعل. ولكن ما يجعلني لا أضمر لهم الشر هو مَن أهتم لأمرهم وعلى رأسهم "فهمي" الذي بجواري؛ فلولاه ولولا البقية لكنث عصفث بكل بشري يمكث معنا على متن تلك السفينة.

تساءلث عن التنانين لم تحلّق فوقنا، إنّه فقط زئيرهم ما نسمعه لكن لم نراهم، أمّا عمّا يجعلنا نستمر بالحياة فوق سطح البحر دون

أنْ تُستَهلك طاقتنا بسبب عدم وجود الكهرباء هنا التي تشحن طاقتنا؛ هو نزولنا إلى أسفل السفينة من حينٍ لآخر فنلامس بعض أسلاك الدوائر الكهربية بالمياه؛ فينتج عن ذلك الشرارات والطاقة اللازمة لشحن دوائرنا الإلكترونية، هذا غير الدائرة الجديدة التي تزوّدنا بها عبر السنوات الثلاث الماضية إثر التطور الذي فعلناه، إنّها دوائر بديلة تُفعّل حين تنتهي الكهرباء التي بأجسامنا تدور بالطاقة الشمسية أو بملامسة البرق لمياه البحر، بالإضافة إلى النفاثات التي طوّرناها وزودنا بها أجسامنا، تلك النفاثات التي تساعدنا في الغطس إلى أعمق البحار، ونقطع بها مسافاتٍ واسعة تحت المياه. كما هناك الأجهزة التي المضادة للمياه لتصدها عن دوائرنا الداخلية؛ كيلا تُهلك نتيجة المياه، لقد طوّرنا الإنسان الآلي إلى أقصى حدٍّ لا يوصف في السنوات الثلاث الأخيرة، وها نحن الآن نواجه الخطر الحقيقي الذي يهدد بقاء كلٍّ من الجنسين.

- هل هذه النهاية؟

قالها لي "فهمي" فنظرتُ في عينيه وأجبته:

- أنتَ آخر مَن يقول هذه الجملة، أنتَ مَن كنتَ تبث الأمل بداخلنا.

نظر أسفله كأنّه يشعر بالهزيمة، كان ذلك أول مرةٍ أرى فيها "فهمي" بهذا الضعف.

ثم حدث ما لم يكن في الحسبان، حدث ما كنتُ أخشاه من البداية؛ هاجت المياه، وعلت الأمواج، وكشّر البحر عن أنيابه، وأظهر لنا مخالبه في شكل إعصارٍ كبيرٍ يصل للسماء حتى أسفل البحر.. كانت دوامةً واسعةً، عميقةً، مخيفةً تبتلع كل ما يمر أمامها وليس لدينا

مفرّ، لم تمر دقائق ونظرتُ نحو "فهمي" وقلتُ له:

- نعم، إنّها النهاية.

دار كل ما بحولنا، ولم نعد نرى سوى أشياء تمر أمام أعيننا كشريطٍ يلف بشكلٍ دائريٍّ على مدار 360 درجةٍ بسرعةٍ كبيرة جدًا، فلم نعد نميز أو نشعر بشيء، ثم دقائق أخرى وأصبح كل شيءٍ أسود.

***

عام 505 ب.ت

أخذ الأمر دقائق أخرى حتى ألاحظ أنّ "فهمي" لم يعد بجواري، ظللتُ أنظر هنا وهناك لكنه ليس هنا، إنّني تحت المياه أسبح وأسبح وأرى سقوط الآليين الذين لم يأخذوا من التطور جانب ممّا فعلناه في السنوات الأخيرة، كما أرى غرق بعض البشر ومقاومة الآخرين، لقد كانت مياهًا عميقةً وبحرًا مخيفًا كأنّ هناك مَن يسكنه، لقد كان بحرًا قاتمًا كأنّه سوداوي يربض ببراثنه الكثير من الأرواح. ظللتُ أسبح حتى اقتربتُ نحو شاطئٍ فلامستُ أخيرًا الأرض، ثم أخذ الأمر مني دقائق أخرى حتى أستوعب ما حولي، حتى أتساءل ما هذا المكان الغريب؟ أين أنا؟

مكانٌ .. بل بلدة .. لا لا .. إنّها أكبر من ذلك، أرى على مرمى البصر ملامح لمدينةٍ كبيرةٍ معمورة بالبشر الذين يبدو عليهم الغرابة في أزيائهم؛ إنّهم لا يرتدون مثل الملابس التي نرتديها نحن، مَن هؤلاء؟ وأين تقع هذه المدينة؟ كيف لا نعلم بها؟

ثم رميتُ بصري حولي فرأيتُ الزُرقة هي ما تطغى على المكان

لقد كان لون البحر، البحر في جميع الاتجاهات هل بسبب أنّني على حدود تلك المدينة؟ أم هذه المدينة يحدها البحر من الاتجاهات الثلاث؟

هذا ما سأعرفه حين أدلف داخل المدينة؛ فأرى على مرمى بصري بيوتًا كبيرةً منمقةً متراصةً بجانب بعضها، يعلو كل بيتٍ عَلَمٌ لونه أزرق وبمنتصفه حيوانٌ لونه برونزي يبدو عليه الوحشية؟ ما هذا الذي أراه؟ هل هذا ثعبان به ثلاث رؤوس؟!

بالطبع رأيت كل ذلك وأنا على مسافةٍ بعيدةٍ عن تلك البيوت؛ عن طريق الأشعة فوق البنفسجية التي في نظام أجهزتنا منذ مهدنا.

دلفت إلى الداخل حتى وصلت إلى منتصف المدينة، وسرت وسط ساكني هذه المدينة كي أعرف ماهيتهم. واتضح أنّهم يتحدّثون بلغةٍ غير لغتنا، ولكن الغريب أنّني أفهم هذه اللغة تمامًا رغم أنّني أول مرةٍ أسمع بها، ولا أعرف ماهية هذه اللغة، لكن أعرف بماذا يتحدّثون والأهم ما يقولونه والأغرب من ذلك أنّني أعلم جيدًا كيف أتحدث بها!

تحدّث أحدهم لي وأخبرني ألّا يجب أن أرتدي هذه الملابس التي تعلو جسدي؛ إنّها ملابس غريبة بالنسبة لهم وأنّ الجنود يلقون القبض كل مَن يكون محض شكٍّ لهم، وبالأخص هؤلاء مَن يرتدون مثل ملابسي التي تخص عالمي، التي تشبه ملابس البشر بالضبط، مثل صديقي "آدم"، أمّا هم يرتدون الجلباب الطويل الملون، ناهيك عن ملابس الجنود المختلفة، وأنّه لحسن حظي أنّه ليس هنا أي جنديٌ رآني وإلّا كنت مقيدًا مسجونًا لديهم، ثم أعارني رداءً من عنده

وارتديته ثم سألته ما السبب وراء إلقاء القبض على مَن يرتدون الملابس الغريبة؟ فأخبرني أنّهم يسجنونهم لأنّهم ليسوا من المملكة؛ فهذه مملكة الغرب واسمها مملكة "كونغار"، وأنّ هذه المدينة إحدى مدنها .. إنّها مدينة "إيل" عاصمة المملكة، وأي شخصٍ ليس من مملكتهم فهو بمثابة جاسوس من الممالك الأخرى، ولا سيّما مملكة "لوردلاند" مملكة الشمال، وهذا بسبب الخلاف الذي نشأ بينهما حول منظور كلٍّ منهما عن السحر. كما سألته عن سبب مساعدته لي، فأجابني أنّ النظام الملكي أصبح يخالف مطالب الشعب، وكل قرارٍ يأخذه رجال البلاط يأتي على حساب الطبقة الضعيفة "الشعب"، وكأنّهم لا يبالون لشيءٍ سوى أنفسهم.

غادرته بعد أن شكرته، ودلفت أكثر وظللت أنظر حولي أتساءل ما كل هذا؟ كيف ذلك؟ هل عاصفة البحر وتلك الدوامة رمتنا في عالمٍ آخر؟ هذه هي الإجابة الوحيدة على جميع تساؤلاتي. ولكن.. لماذا؟ فلم يسافر أحدٌ عبر الزمن مرةً أخرى مثلما فعلت "سارة" منذ خمسة أعوامٍ، لم يحدث ذلك لكي تحدث تخبطاتٌ أخرى في الزمن وتُنقل إلى هنا.

أين يقع هذا العالم؟ هل هذا حقيقي؟ أم هناك شيءٌ آخر؟ شيءٌ مثل... ثم توقفت عن ذلك شرعت أفكّر في إمكانية تحقيق حدوث هذا! أيعقل أنّنا في عالمٍ افتراضي، وأنّ أجسادنا مُعلقةٌ في مكانٍ ما آخر، وكل ما حولنا مجرد وهم؟! ولكن.. متى حدث ذلك؟ وكيف أفكّر بهذه الطريقة؟ أليس من المفترض أنّني أصدق أنّ ما حولي حقيقي؟ ولا يخطر ببالي أنّه عالمٌ افتراضي! أم هذا فعلًا حقيقي؟

شوارع نظيفة، وبيوت متراصة، وبشر عاديون، وجنود بملابسهم العسكرية؛ صدرية من حديد يعلوها خوذة تغطي الرأس، ثم على الجانبين ذراعان من نفس المعدن، وعند القدمين ركبتان مصنوعتان من الحديد أيضًا لحمايتهما، وبالجانب الأيسر لكل جندي سيفٌ يكمن في غمده. أتساءل كيف يتحركّون بكل هذه التي تحملها أجسادهم، الغريب إنّه زي عسكري بمعنى أنّهم يرتدونه في الحروب أيضًا، كيف يحاربون بمثل هذه الأشياء؟

ثم وبعد المضي قُدمًا مسافةً كافيةً لأصل عند الأماكن المهمة لاحث على مرمى بصري قلعةً كبيرةً، تبدو عليها الاختلاف عن باقي البيوت، يبدو أنّها قلعةٌ ملكية، كانت تطل على البحر، وأعلى منارتها يعلقون رمز الثعبان ذي الثلاث رؤوس، يبدو أنّه مصنوعٌ من معدنٍ ثمينٍ، كان حجمه كحجمه في الحقيقة، لا يقل طوله عن ثلاثين مترًا، وضخامته تستطيع أنْ تحطم بيوتًا من تلك البيوت الصغيرة المتراصة التي ليس لها سوى طابق وحيد.

ثم حدث ما قطع انبهاري بتلك المدينة العظيمة، حدث ما كنتُ أخشاه أتوقعه، فتحث فمي مذهولًا، ما الذي أراه؟! كيف ذلك؟! إنّني أرى بعض الجنود يجرون بعضًا من البشر الذين يرتدون مثل ملابسي السابقة، ويبدو أنّهم من علمي فأشكالهم مألوفة، ولكن كانت الصاعقة حين رأيتُ أكثر وجهٍ مألوفٍ مرتديًا ملابس مألوفة، ذلك المعطف الغامق إنّه "فهمي" في وسطهم مكبلٌ بالقيود متجهين به نحو تلك القلعة!

المجلس الأزرق

على مائدةٍ كبيرةٍ تحفها كراسٍ لرجال البلاط الملكي، ترأسها الملكة "نيميسيا" وبجانبيها ابنها البكر الأمير "إيبيري"، الذي كان أقرب في الشبه إلى أبيه أكثر من أمه، بخلاف أنّه أكثر شبابًا بعينين سوداوين مثل أبيه وشعرٍ أسود قصير وبنية متوسطة، كما أنّه يشبه أباه أيضًا في ملامح الحكمة المحفورة على وجهه.

وهناك الأمير الصغير "هولي"، الذي كان يشبه والدته بشعره الأشقر وعينيه الخضراوين، وملامح الوداعة التي تطلي وجهه، وابن أخ الملك كان اسمه الأمير "أفاريس"(7) الذي مات والده في نفس المعركة التي فقد فيها الأمير "إيبيري" قدمه، كانت معركةً ضد الثوّار من الجانب الجنوبي من المملكة حينذاك، وكان على الطرف الآخر قبالة الملكة كان مستشار الملك برفقة حاكم مدينة "كاليستون"، وحاكم مدينة "سيربن"، واثنان من الحرس الملكي لكنهما كانا واقفين ليس مثل أولئك القادة الجالسين.

سُمِيّ بالمجلس الأزرق؛ نظرًا لطبيعة المملكة الزرقاء لأنّ البحر يحدها من جميع الاتجاهات، كما لون أعلامها أيضًا كان الأزرق يتوسطه رسمةٌ لثعبانٍ لونه برونزي.

في العادة، كان ينعقد هذا المجلس مرةً كل أسبوعٍ، ولكن بسبب مرض الملك فكان آخر انعقادٍ منذ أربعة شهورٍ؛ ولهذا كان قرار انعقاد المجلس بمثابة أمرٍ جللٍ.

- أين الملك؟

قالها المستشار حين تفاجأ من عدم وجود الملك رغم كان انعقاد هذا المجلس بأمرٍ منه، فتبعه الأمير "أفاريس" قائلًا:

- أليس هو مَن عزم على هذا المجلس بعد غيابه أكثر من أربعة شهور؟

نظرت الملكة "نيميسيا" بعينين جريئتين لهما ثم لبقية أفراد المجلس، ثم قالت:

- كان الملك عازمَ النية على حضور هذا المجلس بناءً على رغبته، لكن اشتد عليه المرض هذا الصباح فلم يكن هناك الوقت لإلغاء المجلس؛ ولهذا وجودي هنا نيابةً عنه.

استمعوا لها جميعًا، فكان لها حضورٌ قويٌ وكاريزما جبارة تجبر الحاضرين للإنصات لها، ثم أردفت:

- ولهذا وبدون مقدمات فلن أطيل عليكم هذا؛ كان سبب انعقاد هذا المجلس لتحديد الوريث الشرعي للمملكة.

قالتها وهي ناظرةٌ لابنيها، فسمعت الهمهمات، فقررت أنْ تحد من لهجتها، فوقفت واستطردت قائلةً:

- وعلى هذا علينا أنْ نلبي رغبة الملك "أيار" ملك مملكة "كونغار" وحاميها؛ فالوريث الشرعي للملك هو...

ثم صمتت لحظاتٍ تفكّر واضعةً كف يدها على المائدة كأنّها تتردد من بوْحها لهذا القرار؛ فعليه سيُحدد مصير المملكة، وعليه أيضًا سيكون أحد الابنين ملكًا والآخر ليس بملكٍ. الجميع ينظر إليها في توجس ولهفةٍ ولا سيّما ابناها، كلٌّ منهما كان منتظرًا سماع هذه

الكلمة التي يرغبها.

وأخيرًا، قررت أن تزيح الستار لتعلن عن الوريث:

- الوريث الشرعي سيكون الأمير الصغير "هولي".

شهقت الأنفاس رغم كان معظمهم يتوقع ذلك، كان ذلك القرار بمثابة الصدمة والخذلان اللذين وقعان في قلب الأمير الكبير؛ فرغم معرفته بحاله إلّا أنّه كان يرغب في أن يجلس على العرش، ذلك العرش الذي كان سببًا في انفراج أسارير الأمير الصغير رغم عدم معرفته بأمور المُلك، ولكن كان يشعر بالأمان حين يكون جالسًا وأمه بجواره تحميه من أهوال الدنيا ومخاطرها، ولهذا شعر بالسعادة المفرطة.

- لن نمتثل له.

قالها الأمير "أفاريس" بحدةٍ حين وقف من جلسته غاضبًا؛ لقد كان أشقر الوجه والشعر، طويل القامة، طويل الشعر، له عينان زرقاوان، في نهاية العقد الثاني من عمره، ثم أعقب بما اندهش له جميع الحاضرين بما جعل المجلس ينقلب رأسًا على عقب:

- لن يحكمنا طفلٌ صغيرٌ لا يزال يتذكّر صورة ثدي والدته.

زادت الهمهمات، وتعالى الصخب بين أعضاء المجلس، واشتد الحوار فيما بينهم؛ بسبب ما قاله الأمير "أفاريس" متهورًا، فغضبت الملكة وصرخت في وجوه الجميع وكأنّ هناك بركانًا سيتدفق من عينيها:

- اخرسوا جميعًا.

فصمت الجميع بغتةً، وكأنّ ذاك البركان الذي كان في عيني الملكة تدفق بالفعل وصُبّ على رؤوسهم فانصهرت جميعًا، ظلّ السكون لبضع دقائق حتى كسر ذلك الأمير "إيبيري" بقوله:

- كنت أتمنى أكون الملك بعد والدي، رغم أنّ بداخل أعماقي أؤمن أنّني لا أصلح بسبب إعاقتي التي كان سببها محاربتي من أجل المملكة، وهذا ما يفعله الملوك الصالحين، لكن "كونغار" تحتاج القوة أكثر من الحكمة.

ثم نظر تجاه أخيه الأمير "هولي" وأردف:

- وسيكون أخي القوة التي ستكسر شوكة أعداء هذه الأرض التي لعبنا بترابها وشربنا من مياهها واشتد عودنا تحت شمسها.

بادله أخوه الصغير النظرات المليئة بالوداعة، كان الجميع ينصت للأمير "إيبيري" وحكمته التي تفوق بها على الجميع.

ثم حدث ما قطع كل ذلك، حدث ما أنقذ المجلس من تهور أحدهم فتكون العاقبة وخيمة؛ لقد فُتِحَ باب القاعة "قاعة المجلس"، فكان هناك أربعة جنودٍ يمسكون بكهلٍ لا يتجاوز العقد الخامس من عمره، كما أنّه يبدو بالنسبة لهم غريبًا ليس من أراضيهم.

فصرخ مستشار الملك:

- ماذا هناك؟

قال أحد الجنود:

- إنّه من ضمن الأشخاص الذين قبضنا عليهم تحت مسمّى الأغراب

عن مملكتنا ولا نعرف ماهيتهم، فهل هم جواسيس من مملكةٍ أخرى؟

تساءلت الملكة في حزمٍ:

- ماذا بعد؟

أجاب الجندي:

- إنّه يزعم أنّ هناك شخصًا كان يتسلق حائط القلعة بالخارج ناحية حجرة الملك حيث كان راقدًا على فراشه.

فتح الجميع أفواههم غير مصدقين أنّ هناك دخيلًا بالفعل في قصر الملك ويحاول التلصص أو قتل أحدهم، فتغيرت ملامح الملكة من غضبٍ إلى قلقٍ وتوترٍ ونظرت نحو الأعلى وقالت:

- أنقذوا الملك.

نوح

ذُهِلتُ حين رأيتُ "فهمي" مقيدًا نحو القلعة، يبدو أنّ الرجل كان محقًا حين أخبرني أنّهم يقبضون على كل مَن يلبسون ملابس غريبة وبالطبع الذين هم من عالمي، لا بدّ وأنْ أنقذه إنّه بأمس الحاجة إلَيّ، لكن كيف سأفعل ذلك وسط كل هؤلاء الجنود بسيوفهم وفي أرضهم وأنا لا أملك سوى بعض الطاقة التي تكمن في دائرتي الكهربية؟ كيف سأفعلها بمفردي؟

نظرتُ حولي ورفعتُ عيني للأعلى فرأيتُ سور القلعة فتجلّت الفكرة في الحال؛ تقدمتُ خلسةً دون أنْ يلمحني أحد الجنود واقتربتُ نحو السور، واستخدمتُ الميزة التي زودنا بها نظامنا الإلكتروني وهي التشبث المغناطيسي من خلال كفيّ يدي وأيضًا قدميّ وتسلقتُ، ثم شاهدتُ فناء القصر الملكي الكائن أمامي يعلو بوابته الضخمة تمثالٌ آخر شبيه للذي رأيته من قبل، نفس الثعبان ذي الرؤوس الثلاث لكنه أصغر حجمًا.

خلسةً اقتربتُ نحو الجدار الخلفي للقصر بعيدًا عن أعين الجنود التي تحرس البوابة الأمامية، ثم رفعتُ نظري للأعلى وأبصرتُ أحد النوافذ مفتوحةً فاستخدمتُ نفس الحيلة للتسلق، وفكّرتُ أنْ أنقذ "فهمي" من الداخل لأنقض عليهم بغتةً، فهنا أكتسب عنصر المفاجأة مع سرعتي التي تفوق عنهم.

شرعتُ في تسلق الجدار، وفي المنتصف رميتُ نظري نحو النافذة المفتوحة فوجدتُها مغلقةً كيف ذلك؟ مَن أغلقها؟ هل تمت رؤيتي؟ ظللتُ متشبثًا بالحائط معلقًا بين السماء والأرض أفكّر ما الذي أفعله

بعد ذلك؟ لو كنتُ بشريًا لارتجلتُ، ولكن للأسف نظامنا يسير وفق معلوماتٍ، وخطواتٍ، وخطةٍ، وهدفٍ ليس في نظامنا التصرف في الأمور التي تنحرف عن المعتاد، وحتى إنْ كان هناك في أنظمتنا خطة (ب) فهذا لا ينفي كونها خطةً أيضًا ولها هدفٌ مثل الأولى، ليس هناك سوى أنْ أفعل كيفما تعلمتُ من البشر حين عاشرتُهم، وأرى إنْ كنتُ تعلمتُ منهم شيئًا بالفعل أم لا؟

غيرتُ مساري وتقدمتُ نحو حائط البوابة الرئيسة، وأتمنى ألّا يلمحني أحدٌ كوني فوقهم، فرميتُ نظري لا إراديًا نحو "فهمي" فوجدتُه ينظر نحوي، فأشرتُ له كي أطمئنه واختفيتُ عن ناظره حتى لا يلفت انتباه الجنود الممسكين به، وصعدتُ متسلقًا بطريقة التلامس المغناطيسي حتى وجدتُ إحدى النوافذ مفتوحةً، تأكدتُ أولًا من عدم وجود أحدٍ بالحجرة ثم دلفتُ إلى الداخل، وأصبحتُ داخل إحدى غرفات القصر الملكي.

بأطراف قدميّ شرعتُ أسير داخل القصر أتنقل من ممرٍ لآخر ومن غرفةٍ لأخرى، أتخفى من أنظار الجنود التي تحرس الممرات والحجرات، ثم لمحتُ بغتةً إحدى الوصيفات سمعتها تقول لأخرى خلف أحد أعمدة القصر:

- هل أنتِ على يقينٍ ممّا ستفعلينه يا "بيجونيا"؟

أجابتها التي تُدعى "بيجونيا":

- نعم، إنّه زوجي.

ثم قطعتْ جملتها كأنّها انتبهت لشيءٍ ثم استطردتْ:

- كان زوجي .. والآن هو والد ابني، "أندريا" ابني هو ابنه الكبير وهو الأحق بالمُلك.

لقد استنتجتُ أنّ ابنها يُدعى "أندريا" وتريده أنْ يكون الملك التالي للمملكة، ولكن لماذا؟ هل هي...؟ أخذتُ أفكّر ثم تساءلتُ في نفسي: "هل كانتْ الوصيفة "بيجونيا" زوجة الملك؟ ولكن.. ماذا تريد أنْ تفعله؟"

قُطعتْ أفكاري حين سمعتُ خطوات أحد الجنود تقترب، فلمحتُ الوصيفتين تفران كالهاربتين، ثم تواريتُ عن الأنظار وحين علمتُ أنّ لا مفر سوى بالعودة كي لا يراني فعلتُ ذلك وأخذتُ درب الوصيفتين، فوجدتُ نفسي أركض بخفةٍ نحو الممر الآخر الذي يؤدي إلى الجناح الآخر من القصر، ذلك الجناح الذي يبدو هو ذات الجناح الذي كانتْ به النافذة مفتوحةً من الخارج ثم أُغلِقَتْ.

وهنا، حدث ما استوقفني وجعل الشك يدب في أفكاري، قد رأيتُ "بيجونيا" والوصيفة الأخرى خارجتين من إحدى الغرف في فزعٍ والتوتر على ملامحهما ووجهيهما الذي تدفق فيهما الدماء من الخوف، ينظران حولهما كأنّهما لا تريدان أنْ يراهما أحدٌ ولمحتُ في يد "بيجونيا" ورقةً ملفوفةً؛ إنّها رسالةٌ ملكية كانتْ ممسكةً بها تحاول أنْ تخبئها تحت ملابسها، فتواريتُ عن أنظارهما سريعًا.

هل اسمه الفضول عند البشر؟ إنّه اسمه زيادة في المهام أو اكتشاف معلومات لدينا، فقررتُ أنْ أدخل تلك الغرفة لاكتشاف ما الذي يحدث بداخل الغرفة.

يبدو من ردائه وملامح وجهه المريض أنّه الملك؛ فعلمتُ بأمر

مرض الملك حين كنت بالشوارع بالخارج. يتحدّث الشعب فيما بينهم عن أمورٍ تخص المملكة ومصلحة الشعب، ولكن هنا كانت الصاعقة .. لقد كان الفراش مملوءًا باللون الأحمر .. لون الدماء! دماء تلك الجثة المفروشة فوق السرير وهناك سيفٌ واقفٌ مغروزٌ في منتصف صدر الملك!

***

لا أنكر أنّني كنت مشدوهًا، نعم أقول مشدوهًا رغم كوني آليًا لا أجد وصفًا غيره، لقد تعاملت كثيرًا مع البشر ومنهم أقرب أصدقائي، ما الذي أراه؟ هل قتلتاه تلكما الوصيفتان؟ ولكن لماذا؟ هل بدافع السرقة لتلك الورقة؟

لم ألبث فعل شيءٍ حتى أطبق عليّ بضعة جنودٍ ومعهم قائدهم؛ لقد أتوا من العدم فجأةً، كيف علموا بأمري؟! ولماذا يأتون في ذلك التوقيت؟ لم يعطوني الفرصة كي أتحدث حتى سمعت قائد الجنود يأمر جنوده في حزمٍ:

- اقبضوا عليه .. لقد قتل الملك؟

ماذا؟! قتلت الملك؟! لم أقتله، ثم أتت امرأةٌ يبدو أنّها الملكة ومعها ولداها والدموع تسيل من عيونهم، ويبدو أنّهم يشتعلون حرقةً على الملك، ظللت شارد الذهن في هذا المشهد المأساوي.

قبضوا عليّ وجرّوني إلى الأسفل حيث قاعة المجلس الذي عرفته فيما بعد أنّه المجلس الأزرق، وأمرّ بديهي أن أعرف لماذا أزرق!

وهنا، كانت الصاعقة بالفعل؛ لقد رأيت "فهمي" في وسطهم ولكن

بطريقةٍ مختلفةٍ، ليس ذلك الرجل الذي كانوا يجرّونه مكبلًا، لقد كان حرًا طليقًا واقفًا شامخًا وسط الجنود كأنّه ضيفهم العزيز؟

ما الذي يحدث؟ لم أفهم شيئًا، نظرتُ إليه لكنه كان غريبًا؛ كانت عيناه جامدتان ليس بداخلهما أي شيءٍ، لطالما كان ذا عينين متكلمتين، كأنّه شخص آخر غير الذي أعرفه جيدًا.

لم يكن هناك وقتٌ كي أحدّثه، لقد حدث كل شيءٍ سريعًا، ثم جاء ذلك الصوت الغريب ليسألني:

- لماذا قتلته؟

نظرتُ نحو ذلك الصوت فوجدته شابًا في ريعان شبابه، أشقر، طويل، ذا هيبة، علمتُ بعدها أنّه الأمير "أفاريس" وكان الملك عمه.

فأجبته في ذهولٍ:

- لم أقتله؟

قال الأمير "أفاريس":

- إذن، كيف تفسر وجودكَ في حجرته والسيف مغروزًا في صدره؟

لم أعرف ما الإجابة المناسبة لهذا السؤال، في الحقيقة لم أعرف أنْ أقول شيئًا؛ لقد حدث ذلك سريعًا كأنّ كل شيءٍ كان مخططًا له مسبقًا وفي قمة الدقة، لقد جاء كل شيءٍ على مقاسي.

نظرتُ نحو "فهمي" فوجدتُه كما هو لم يتأثر بشيءٍ، لم يحاول أنْ يدافع عني لم يقل أي شيءٍ؛ توقعتُ أنْ يتفوه بأي شيءٍ مثل: "إنّ هذه ليست أرضنا، ولقد جئنا إلى هنا عن طريق عاصفةٍ بالبحر."

تمنيتُ ذلك حتى يصدقوني إنْ قلتُ لهم أي شيءٍ من هذا القبيل ولا ينعتوني بالمجنون.

- لم تجب على سؤالي.

لقد كان ذلك الصوت الرخيم الذي يخرج من شابٍ مهيبٍ "أفاريس"، فقلتُ:

- أخبرتُكَ لم أقتله، وجئتُ إلى هنا متسلقًا جدار القصر.

لم يكن هناك وقتٌ لأحدٍ يضيف شيئًا آخر حتى جاءتْ الملكة غاضبةً، تصيح بأعلى صوتها والدموع تملأ عينيها:

- اقتلوه في الحال.

جاء خلفها مستشار الملكة وقال محاولًا تهدئة الأجواء وقال مقترحًا:

- علينا أنْ نستجوبه، في الأخير إنّه مأجورٌ، لا بدّ وأنْ نعرف مَن الشخص الذي دفعه لذلك؟

نظرتْ نحوه الملكة غير فاهمةٍ فتساءلتْ:

- ماذا تقصد؟

لقد كان ممسكًا في يده سيفًا، يبدو أنّه ذات السيف الذي كان مغروزًا في جسد الملك، شهره كي يكون على مرمى الجميع وقال:

- أترون هذا المقبض؟

كان يقصد مقبض السيف؛ فنظر الجميع حوله ثم أردف المستشار:

- عليه رأس تنين وهذا لا يعني سوى شيءٍ واحدٍ فقط.

وهنا، اندهش الجميع؛ لقد علم كل الحاضرين مَن وراء ذلك، فأضاف المستشار مشيرًا نحوي:

- هذا الرجل من مملكة "لوردلاند".

مملكة لوردلاند؟! وأنا مِن أرضها! فتحدّثت:

- أنا لست من هذه المملكة التي تتحدّثون عنها، إنّني من عالمٍ آخر ليس من هنا، هذه ليست أرضي.

ثم نظرتُ نحو "فهمي" وأردفتُ محدّثًا إيّاه:

- أخبرهم.

نظر الجميع نحو "فهمي"، وهنا كانت الصاعقة التي صعقت بكل كياني، لقد حدث الذي جعلني لا أفهم شيئًا بالفعل ما هذا الجنون؟ لقد كانت إجابته ما لم أكن أتوقعه أبدًا؛ حيث قال:

- قد رأيتُكَ تتسلق الجدار وأنا مَن أخبرتُهم بذلك.

ولكي يكمل الجنون الذي أعيشه الآن، وكأنّي لم أتعرف على البشر إطلاقًا؛ فما أراه مِن "فهمي" يجعلني أغبى آلي على وجه الأرض، ولوهلةٍ شعرتُ أنّ البشر خائنون، وأنّهم يستحقون كل ما حدث لهم منذ أكثر من مائة عامٍ، ثم سأل السؤال الذي لم أفهم مقصده إطلاقًا، وكان بمثابة الشرارة الأخيرة من تلك الصدمة، حيث قال وعيناه يملؤهما الخواء والجمود:

- مَن أنتَ أيُّها القاتل؟

4

مملكة الغربان

مملكة "فوريس"

الجان

عام 505 ب.ت

في الليل يكون سوادها مخيفًا حتى الرعب؛ فينتفض القلب عند رؤيتها حتى يقع عند الأقدام، وفي وسط النهار يكون جمالها كجمال اللؤلؤ اللامع الذي تُظهر بريقه الشمس الساطعة كأنّها خُلقت له خصيصًا؛ فتحوطها من ناحيةٍ الحشائش الخضراء، ومن ناحيةٍ أخرى المياه الزرقاء، ومن ناحيةٍ ثالثة المباني والقلاع الصمّاء. ولكن حين يأتي الليل بعباءته السوداء لا تكون تلك الحشائش والأشجار سوى ظلالٍ مخيفة، وتلك المياه بحور دمٍ، والقلاع ليست إلّا أشباحًا تحرس المدينة.

إنّها مملكة "فوريس"، مملكة الجان، مملكة السحر والرعب وكل ما هو أسود، لا يزين مبانيها وقلاعها الصماء الصامدة سوى أعلامٍ مرسومًا في منتصفهما غرابٌ ضخمٌ أسود مخيفٌ بقليلٍ من إطارٍ من اللون الرماديّ القاتم، الذي لا يقل رعبًا عن ذلك الغراب الأسود.

كان لسكانها هيئتهم البشرية؛ لأنّهم في الحقيقة هم ليسوا ببشر؛ إنّهم مخلوقاتٌ من الجان قادرة على فعل الأشياء التي تبدو خارقةً للطبيعة، مثل: التحكم في الغربان، وتسخيرهم لخدمتهم، ولرؤية العالم الخارجي بعيونهم. ليس على الجِنّيّ سوى أنْ يفقد بصره،

وتتحوّل مُقلته للون الأبيض خلال الفترة التي يقضيها ذلك الغراب يجوب العالم؛ ليرى صاحب العيون البيضاء العالم بعيون الغراب، حتى يعود الغراب لصاحبه فيعود بصر الجِنّيّ لطبيعته، حيث كان لكل جِنّيٍّ يعدو مراحل اختباراته السحرية بعد أنْ يكمل عقده الثاني غرابًا خاصًا به، والجِنّيّ الذي لم ينجح في ذلك لن يكون له غرابٌ حتى يفعل شيئًا يكسر به أعتى مراحل الاختبارات دون مراحل اختبارات، شيئًا ذا قيمة، شيئًا لم ولن يكون له مثيل، وهذا بالطبع لم يحدث من قبل ولن يحدث أبدًا؛ لأنّه من المستحيلات.

وإنْ لم يعد الغراب لصاحبه فيظل ذلك الجِنّيّ فاقدًا بصره، وكانت تلك نقطة ضعف هذه المملكة الوحيدة التي لا يعرف أحدٌ عنها من الممالك الأخرى، ولكن هي بذات الوقت بمثابة نقطة قوة للملكة؛ فبهذا تعرف المملكة جميع أخبار الممالك الأخرى، وإنْ كان هناك عدوٌ يتربص لهم على بعد آلاف آلاف الأميال فيكونون على درايةٍ به من البداية، ولهذا لم تخسر مملكة "فوريس" أي معركةٍ من قبل.

كان الجان مختلفين عن البشر رغم هيئتهم البشرية؛ فكانوا يمتازون بالشّعر الفضيّ المهندم المنسدل حتى ظهورهم، وعيونهم الزرقاء كمياه البحر، وجوههم الملساء الجميلة سواء كانوا ذكورًا أم إناثًا، قوامهم الطويل وبنيتهم المعتدلة، أنوفهم الدقيقة، أفواههم الصغيرة، وملابسهم البيضاء للرجال والوردية للإناث، حيث أنّها جلبابٌ طويلٌ حتى القدمين، وحزامٌ بالمنتصف فضّيّ اللون، وبالأسفل بنطالٌ يحمل نفس لون الجلباب، وعلى الكتفين وشاحٌ لونه مثل الحزام، يرفرف في الهواء، وأخيرًا أرواحهم السوداء الشريرة، فكان السحر هو حياتهم وكان منبع سحرهم وقوتهم كامنةً في

تلك الغابة المقدسة خاصتهم "غابة الأرواح السوداء"، التي تقع في مدينتهم الشمالية الشهيرة القوية مدينة "كوندور"(1).

تلك الغابة التي يجري في منتصفها نهرٌ يصل إلى الحدود الشمالية للمملكة حيث بحر "أوشا" العظيم، الغابة التي لها قصةٌ أسطوريةٌ، يصدقها كل مَن وُلِد من الجان. إنّها الغابة المسئولة عن وجود الغربان، تلك الغربان التي تكون عيون الجان في أنحاء العالم؛ فهي في الحقيقة غربانٌ تحمل أرواحًا .. أرواح كل مَن كانوا ساكنين هذه الغابة، ولم يعد لهم وجود في العصر الحالي؛ فهذه الأرواح هي صاحبة تلك القصة الأسطورية.

***

اكتفى "أورلوف"(2) مِن قراءة كتاب "تاريخ وحضارة مملكة الجان"، لقد قرأ اليوم المزيد تلبيةً لطلب الأميرة "لويزيانا"(3) ابنة الملك "جونكويل"(4) حاكم مملكة "فوريس".

لم تكن الأميرة تحب القراءة، لكنها تستمتع لأنْ تستمع للأمير "أورلوف" ليس لتعرف تاريخ أجدادها، ولكنها فقط لتسمع صوت "أورولف" العذب الذي كان يدخل أذنيها؛ فترمي به أي صوتٍ آخر مثل صوت أنفاسها، أو أصوات الجنود بالخارج، أو حتى صوت أبيها الملك "جونكويل" الرخيم حين يتجادل مع مستشاريه.

- ألم يأتِ اليوم بعد كي تعلمي بحضارة شعبكِ بنفسك؟ الاستماع وحده لا يكفي. لا بدّ وأنْ تبذلي الجهد بنفسكِ لكي تصلي للمعلومة التي تريدينها، فبذلك لن تنسيها.

لقد قالها لها الأمير"أورلوف" بعد أنْ تعب من قراءة أشياء هو يعرفها مسبقًا، فنهضتْ الأميرة "لويزيانا" من مكانها بجواره وسارت نحو النافذة تشاهد معالم مدينتها العاصمة، وقالتْ موليةً ظهرها له:

- أنتَ تعلم جيدًا أنّني لا أحب القراءة، كما أنّني لا أهتم لمعرفة حكايات أجدادنا؛ إنّني أفعل ذلك تلبيةً لرغبتكَ كي أكون على علمٍ بكل شيءٍ حين أصبح الملكة.

لقد كانت الأميرة فضية الشعر تمتاز بأنّها تملك أطول شعرٍ بالمملكة؛ فشعرها يصل حتى أردافها، ناصعة البياض، زرقاء العينين، دقيقة الأنف والفم، رشيقة القوام، يرتسم على وجهها الوداعة والإخلاص، كأنّها طفلةٌ في عامها العاشر رغم أنّها قد أتمت عقدها الثاني قبل شهور.

نهض الأمير "أورلوف" من مكانه واقترب نحوها، وقال لها في هدوءٍ ناظرًا نحو ذلك الفراغ:

- كما تعلمين جيدًا؛ إنّها رغبة والدكِ الملك في الأصل كي يجهزكِ لأنْ تكوني ملكة.

لقد كان الأمير لا يختلف كثيرًا عن الأميرة فالشعر يصل حتى أكتافه فقط، أزرق العينين، يمتلك بشرةً بيضاء لكنه لن يصل للون بشرة الأميرة، قوي البينة مقارنةً ببني جنسه، يمتاز بأنّه أطول جِنّيٍّ في القامة، يمتاز بالهدوء والذكاء.

نظرتْ نحوه وقالتْ بعد أنْ تنهدتْ الصعداء:

- ربما هناك شيءٌ آخر أريده غير الملك.

التفت إلى عينيها كي يبحث عمّا تقصده بحديثها؛ فتساءل في استنكارٍ:

- أي شيءٍ قد يكون أهم من الملك يا ملكتي؟

ضحكت "لويزيانا" عاليًا حتى تردد صوت ضحكتها حتى السماء، وقالت له:

- أتعلم أنّه لو أحدٌ سمعكَ تنادي شخصًا آخر بملك في حياة الملك الفعلي فسيكون لذلك عواقب وخيمة؟ أتريد أنْ تُعدم؟!

صمت ناظرًا في عينيها لم يجب عليها كأنّه ينتظر إجابةً لسؤاله أولًا قبل أنْ يجيب هو على سؤالها؛ فجذب ذلك الأميرة وظلّت ناظرةً في عينيها في مشهدٍ مليءٍ بالشاعرية في شروق شمسٍ جديدة على نافذةٍ تطل على خضرةٍ تبث الروح في النفس من جديدٍ، ثم قالت دون أي مقدماتٍ:

- أنتَ، أنتَ ما أريده غير الملك، أنتَ مَن أهم مِن الملك.

ظلّ لثوانٍ ثابتًا، ثم أشاح نظره عن عينيها ووجهه للأسفل ثم نحو الأفق، فكانت هي تراقبه فالتفت إليها أخيرًا وقال:

- وأنتِ مَن أريده من ذلك العالم أجمع، أنتِ فقط ولكن أنتِ تعلمين جيدًا أنّ مصيري مختلفٌ عن مصيركِ.

فقالت غاضبةً بعد أنْ تعبت من تكرار ذلك له:

- لهذا السبب لا أريد الملك.

قال لها في نفس الهدوء الذي كان يمتاز به:

- ولهذا السبب أيضًا لا أريد أنْ أكون المسئول عن أنّك تتخلين عن مسئوليتكِ؛ فالمملكة أولًا ثم أي شيءٍ آخر.

ضيقت جفنيها وقالت في نظرةٍ ثاقبةٍ متسائلةٍ:

- ماذا؟! أستجعلني أكرهكَ؟ لقد قُلتها لكَ مئات المرات .. لن تفلح في ذلك، لن يأتي مَن يجعلني أختار المُلك قبل أنْ أختاركَ.

تنهّد الصعداء وكالعادة لم يقدر على مجادلتها، فقال لها:

- حسنًا، أنتِ ملكة، وأنا لن أكون سوى أميرٍ، كوني من عائلةٍ ملكية، فهذا لن يجعلني ملكًا. تعلمين جيدًا أنّ بيتي أقسم لأجدادكَ منذ زمنٍ أنْ لن ينظروا مجرد نظرٍ إلى العرش الملكي، ولن أكون ناقضًا للعهد.

صمت برهةً ثم أردف:

- أنا لا أناسبكِ.

فتحت شفاها لتحدّثه فمدّ كف يده فسكتت واستطرد:

- تخليكِ عن مُلككِ سيجعل المملكة مثل وليمةٍ تلتف حولها الغربان، ذلك سيخلق ولأول مرةٍ انقسامًا بالمملكة وستكون هناك حربٌ أهلية، وستكونين أول مَن كان سببًا في ضعف المملكة التي ظلّت صامتةً منذ قرون.

ذرفت الدموع، فكان ما بداخلها يحثها أنّ ما يقوله لها هو الواقع المرير الذي يجب أنْ تعيشه، وهنا كانت أول مرةٍ تقف أمام مجادلته صامتةً لا تستطيع أنْ تجيبه لأنّ كلامه كان الحقيقة التي يجب أنْ تواجهها.

كانا كالتمثالين، ولولا أنّ أحد الحرس الملكي طرق الباب هو مَن أنقذ الموقف، فسمح له "أورلوف" بالدخول، فدخل الحارس وقال موجهًا حديثه للأميرة "لويزيانا":

- والدكِ الملك "جونكويل" ينادي بعقد المجلس.

جحظت عينا "أورلوف" ونظر نحو الأميرة بذهولٍ:

- ماذا؟! المجلس الأسود؟!

بادلته الأميرة الشعور وأجابته:

- لقد كان آخِر انعقادٍ للمجلس منذ خمسين عامًا، المجلس الأسود لا يُعقد سوى لسببٍ واحد في هذه المملكة.

صمتا للحظاتٍ في ذهولٍ، ثم استطردت:

- هذا لا يعني سوى شيءٍ واحد.

فأكمل "أورلوف":

- وجود ولأول مرة منذ خمسين عامًا أعداء للملكة.

مريم

عام 2227م

غرفتُ بجالبة الضباب، ورغم أنّه كان أسود إلّا أنّ ذلك الضباب الرماديّ كان كثيفًا جدًا حتى استحال إلى عاصفةٍ، عاصفةٍ دمرت كل ما كان كائنٌ أمامي، بل دمرتْ البشر والآليين الذين لم يحالفهم الحظ في اللحاق إلى السفن السبع التي اكتظت بمتسلقيها، عاصفةٍ غشت كل الأبصار لم يعد أحدٌ يرى شيئًا.

لم ألحق بالسفن، لقد تحرّكت بالفعل وبدأت في الإبحار ولم يحالفني الحظ في تسلق إحداها، لقد أُجبِرتُ على الاختيار ما بين ابنتي أو النجاة بحياتي على متن إحدى السفن، ولكنني اخترتُ ابنتي .. ابنتي "وعد" التي كانت بين ذراعيّ، التي لم تبلغ من العمر سوى عامٍ واحدٍ فقط، ابنتي التي شرعت في البكاء خائفةً مذعورةً لا تشعر بالأمان رغم احتضاني لها، لم أستطع أنْ أجعلها تشعر بذلك كالعادة، لم أعلم ماذا أفعل لها حتى تهدأ، فلم يعد بإمكاني حمايتها أكثر من ذلك، لقد كانت السبب في تقييد حركتي، فكنتُ الأكثر بطئًا من بينهم، حملتها على كتفي وركضتُ بعيدًا لا أعرف إلى أي اتجاهٍ أركض لكنني ركضتُ، بطبيعة الحال كان الضباب الرماديّ يأتي من أمامنا من ناحية الغرب، وحين تحوّل إلى عاصفةٍ كانت عاصفةً غربيةً ستُغرِق مَن فرّ مِن براثنها في البحر.

وكان هذا هو اتجاهي إنّه البحر ركضتُ نحوه، رغم علمي بالسفن التي بعدتْ عني مسافةً ليست بقليلة فكان اللحاق بها من المستحيلات، ركضتُ نحو البحر رغم يقيني بأنّ البحر سيكون قبري

بعد قليلٍ من الزمن.

ركضتُ نحو البحر رغم حتمية موتي وابنتي بالغرق، لكنني أعافر ليس خوفًا على حياتي بل كي لا أضيّع فرصةً أخرى بعد التي ضيّعتها بإراداتي؛ كي أحمي ابنتي فلن أكون سبب موت ابنتي بعد كل هذا، لن أسمح بذلك.

ولهذا قررتُ أنْ أفعلها بعد أنْ وعدتُ "آدم" بألّا أفعلها مرةً أخرى، لقد أسمينا ابنتنا "وعد" كي تذكّرني بذلك الوعد الذي عهدته مع زوجي، لكني لا أرى سبيلًا آخر عَلَيّ أنْ أكسر هذا الوعد كي أحمي "وعد"، لا بدّ وأنْ أجلب الضباب، عَلَيّ أنْ أخلقه من ذلك الضباب الرماديّ، يجب أنْ أقوم بتعويذتي وأمارس السحر لآخر مرة كي أحمي ابنتي.

احترقتُ حزنًا بداخلي لأنّي سأظفر بلقبٍ آخر غير "جالبة الضباب"؛ سأكون "ناقضة العهد" .. "كاسرة الوعد"، ذُرِفتْ الدموع من عينيّ دون إرادتي، وبعد أنْ أغلقتُ جفنيّ وفعلتُ ما توَجّب فعله أتى الضباب الأسود، لقد كان بكثافةِ ذاك الرماديّ لكنه أشد شرًا، كثّفته بأمرٍ مني تحت أقدامي، فحملني ورفعني للأعلى فلم تعد تلمس قدماي الأرض، فعند حافة البحر كنتُ قد رُفِعتُ للأعلى.

كنتُ واقفةً على سحابةٍ سوداء كبيرةٍ مخيفةٍ متكورة، حملني الضباب وابنتي بأمرٍ مني من خلال ممارستي للسحر، وطار بي بسرعةٍ نحو آخر السفن التي أبحرتْ، وحين كنتُ على وشك الوصول لمتن السفينة فتحتُ عيناي فأبصرتُ الناس سواء بشرًا كانوا أو آليين على السفينة جاحظي العينين شاخصين نحوي كأنّهم لم يروا

ذلك مِن قبل.

أوصلني الضباب لقلب السفينة حتى لامست قدماي سطحها ثم تلاشى الضباب لأنّي أبطلتُ التعويذة؛ فلم أعد أمارس الطقوس في سري ولذلك يتلاشى الأسود، تلاشى حتى وضحت الصورة أمامي فوجدتُها تركض نحوي كأنّها وجدت مَن كانت تبحث عنه أو عنها؛ إنّها "دينا" كان الذعر يتملّكها، والحزن يقتلها حتى اقتربت نحوي فبدأت تهدأ، بعد أن قالت لي في توتر وعيناها غارقة في دموعها:

- ظننت أنّني فقدتكِ وابنتكِ، لقد كنت بجواركِ حين أتى الضباب الرماديّ ثم لم أعد أرى شيئًا.

ربّت على كتفها لتهدأ أكثر وقلت لها:

- لا تخافي، أنا هنا الآن.

ثم أذرفت الدموع، فنظرت لها متسائلةً فأخبرتني بالفاجعة، لقد فقدت والديها أثناء هروبهم نحو السفن، لم يتمكنا من النجاة مثل غيرهم. دنوت منها واحتضنتها محاولةً تخفيف ألمها فقالت لي في عينين يملؤهما الدموع:

- كم تمنيت أن أعود لهما حين كنت في العالم الآخر، والآن فقدتُهما إلى الأبد. لم يعد بمقدوري أن أقول لنفسي أريد أن أراهما، لم يعد كل شيءٍ كما كان.

ربّت على كتفها ثم مسحت على رأسها وقلت لها:

- إذن، فلنحاول أن نُشكّل ما صار مثلما نريد؛ كي يكون مثل الذي كان.

***

ثم مرث الشهور هائمين على البحر على سطح سفينة لا تعرف مرساها بدون قبطانٍ تائهين عن بقية السفن، نتقاتل مع الآليين كما نتقاتل فيما بيننا نحن البشر، كل واحدٍ منا يحاول أنْ ينجو حتى لو ألقى بني جنسه في عرض البحر؛ كي يكفينا الطعام الذي بالكاد نحصل عليه ممّا يقدمه لنا البحر، لقد أصبح الجميع هنا قراصنةً.

وبطبيعة الحال لم يجرؤ أحدٌ أنْ يفعل بي شيئًا وابنتي وصديقتي "دينا"؛ لِما يعلمونه بما أنا قادرةٌ على فعله.

ورغم كل ما حدث بيننا في أثناء الشهور الست، ورغم توتر الأجواء إلّا أنّ ذلك لم يكن سوى السكون، السكون الذي يسبق العاصفة، عاصفة أخرى أشد بأسًا، وأكثر شرًا، وأقسى موتًا، لقد كانت عاصفةً بحريّةً في قلب البحر تبعتها دوامة بحرٍ كبيرة عميقة مخيفة مميتة. لقد علمث السفينة أخيرًا مرساها، بالضبط في قلب تلك الفجوة كي نموت.

لقد شهقنا جميعًا من الذعر والموت الذي ينتظرنا، لقد كانت دوامةً واسعةً ضخمةً حقًّا ليس هناك ملاذٌ، ليس هناك مفرٌ، ليس هناك سوى... لقد سقطث ابنتي من بين ذراعيّ دون أنْ أشعر، ولكن الله أتى بصديقتي "دينا" في الوقت المناسب وتلقتها قبل أنْ يرتطم جسدها بالأرض، وكان هذا آخر ما رأيثه، كنث مذعورةً كل الذعر على ابنتي، تلاشت الرؤية وأصبحنا في قلب الدوامة، لم نعد نشعر بشيءٍ ليس سوى الشعور بالعمق للأسفل .. أسفل البحر، ثم....

***

عام 505 ب.ت

عند شاطئ بحيرةٍ، على وجه مياهٍ راكدةٍ وسط هذه البحيرة .. بحيرة مخيفة يلفها السواد في كل ناحية، بحيرة يأتي ماؤها من مجرى نهري طويل يؤدي إلى بحر "أوشا" العظيم، كانت "مريم" هائمةً على وجهها الذي يملأ نصفه الأيسر الرمل الذي يبدو أنّه مبتلٌ من رطوبة المياه التي حوله فاقدةً الوعي حتى ساعاتٍ قليلة؛ حينئذ استعادت وعيها حين شعرت أخيرًا بصقعة المياه عند نصف جسمها الأسفل.

استفاقت ونظرت لنفسها وأدركت عباءتها السوداء مبتلة، فغطت رأسها بقلنسوة العباءة حين شعرت بالبرد، ثم نظرت حولها، لا تعرف أين هي، لا تعلم ما الذي أتى بها إلى هنا؟

في الحقيقة، لم تعرف مَن هي؟ لقد فقدت ذاكرتها ولم تعد تتذكّر شيئًا على الإطلاق، لقد كانت بمفردها دون ابنتها، لا تعرف أنّ لها ابنة تُدعى "وعد".

نهضت من موضعها، ونظرت حولها مرةً أخرى فلم تجد سوى السكون، السكون الذي يسكن هذا المكان فيجعله أكثر رعبًا، حتى الأشجار لا تتحرّك من حولها، ثم بعد قليلٍ أدركت أنّها وسط غابةٍ .. غابةٍ مظلمة سوداء.

شرعت تسير في خوفٍ وحذرٍ لا تعرف وجهتها، هائمةً وسط غابةٍ لا ترى لها بداية أو نهاية، ثم حدث ما قتل ذلك الخوف الذي يخلقه

السكون ليكون خوفًا أشد ذعرًا.

لقد سمعت صوت فحيحٍ، لقد كان فحيحًا مهيبًا مروعًا، لم تتمالك نفسها فأخذت في الركض تهرول في ارتياعٍ وسط الأشجار لا ترى أمامها بسبب فروع الأشجار البارزة من جذوعها، وأوراقها التي تلطم من حينٍ لآخر وجهها أثناء هرولتها، تركض وتركض، ومع كل وثبةٍ كان يعلو صوت الفحيح ليكون أشد قسوةً وأقوى رعبًا، وأكثر اقتربًا لها كأنّها تركض نحوه ذلك الصوت.

ثم بدأت في الانهيار حين وجدت أنّ ذلك الصوت يحاوطها من كل جانب، لا يوجد مفر منه إنّه يأتي من جميع الاتجاهات، أخذت تلف حول نفسها كالمجنونة، بكت في هيسترية، أمسكت وجهها بيديها محاولةً بذلك صمّ أذنيها كي لا تعد تسمع ذلك الصوت ولكن بلا جدوى؛ فتعالت حدته أكثر كأنّه يراقبها ويعاندها ويجبرها على أنْ يخيفها.

ظلّت على هذا الوضع حتى تكومت تحت أقرب شجرةٍ لها ودست وجهها بين ركبتيها، فلم تعد تقدر على مواجهة ذلك؛ لقد استسلمت لقد شلّ خوفها تفكيرها ولا سيّما أنّها لا تتذكّر كينونتها.

حاولت بقدر إمكانها أنْ تستعيد نفسها وتلملم شتات ذاتها، حتى أدركت أنّ ذلك الصوت لن يتركها إطلاقًا لطالما وُجِدَت في هذه الغابة؛ لأنّ ببساطةٍ تفهّمت أنّ هذا الصوت ليس فحيحًا بل ما هو إلّا هسيس الرياح لكن استحال الهسيس إلى زفيان ومنه إلى الهجيج، كانت رياحًا مخيفة كأنّ هناك مَن يحرّكها ويجعلها ذات أصواتٍ مخيفة، لقد ظنّت أنّ لهذه الغابة حراسها من الأشباح يحرسونها مِن

كل غريبٍ تخطو قدمه أرضها.

ثم هدأت وذمّت في نفسها ذلك التفكير الذي ليس له أساس من الصحة؛ فلا وجود لأشباحٍ، وأنّ هذه الأصوات ما هي إلّا صوت الرياح ويبدو عاليًا؛ لأنّها في مكانٍ بعيدٍ عن المساكن في وسط الليل في غابة، فأدركت أنّها لن تنتظر ترحابًا حارًّا من أحدهم؛ فنهضت من موضعها ترجو رخاء أعصابها المشدودة وإعادة تركيزها ولملمة روحها الخائفة، محاولةً في ذلك التظاهر بعدم اهتمامها بذلك الصوت المخيف وكأنّه صوتٌ عاديٌ يصدر بجوارها مثله مثل أصوات خرير المياه، أو خترشة الجراد، أو عرير الدبيب، أو أي صوتٍ آخر من أصوات الليل.

استأنفت سيرها كي تخرج من هذه الغابة وتذهب لمكانٍ ترى فيه أناسًا تتحدّث معهم ويتحدّثون معها؛ كي تقتنع بأنّها لا زالت بعقلها وتستطيع أنْ تتعامل مع الغير.

فرغم تظاهرها بعدم خوفها إلّا أنّ ذلك يقتلها من الداخل، وتنفر من وجودها في مكانٍ لو باتت فيه ليلةً ستفقد عقلها، وتؤمن بأشياءٍ تحاول أنْ تخرجها من عقلها، أشياءٍ لا تريد أنْ تؤمن بها.

لكن في الحقيقة بدأ هذا الشك يتغلغل بأعماقها بعد أنْ استنبطت أنّها تعدو على نفس الأماكن بالغابة وكأنّها تدور في دائرة؛ فأدركت حينها أنّه لا خروج من هذه الغابة الملعونة. وعند هذه اللحظة، أخذت تؤمن بتلك الأشياء التي لا تريدها، وعادت فكرة الأشباح لها مرةً أخرى وبدت مقتنعةً إنّ هذه الغابة مسكونةً فعلًا، وأصحابها لا يريدون أنْ يُخرِجوا منها مَن دخل إليها؛ فقررت أنْ تعود أدراجها إلى

مكانها الأول عند البحيرة.

وصلت عند تلك البحيرة الراكدة وحاولت أن تجرب شيئًا آخر، فاتّبعت المجرى المائي الذي تصب منه المياه في البحيرة، لقد أرادت أن تعرف إلى أين يؤدي ذلك النهر الضيق.

أخذت تنفذ ذلك، ولم تخطئ نفس الخطأ مرةً أخرى؛ فتركت علاماتٍ خيالية في عقلها لتعلم بها ملامح الأماكن التي عدت عليها، فتبعت مجرى الماء لساعاتٍ حتى أوشك الفجر على البزوغ فأحست بالإنهاك، ومن شدته لم يعد يلفت انتباهها تلك الأصوات المخيفة فغلبها النعاس.

ومع أول شعاعٍ شمسي ينير لها الطريق فتحت عينيها، وإذ بالمفاجأة التي سببت لها صدمةً كبيرةً جعلتها تؤمن بكل الخرافات التي تنفرها؛ الغابة لم تعد كما وجدتها بالليل، لقد كانت غابةً هادئةً، لم تعد تسمع أصوات الرياح المخيفة، أصبح المنظر كله خضرةً وأشجارًا جميلة، ثم أطلت بنظرها بعيدًا خلفها نحو تلك البحيرة؛ فتفاجأت أنّها لم تعد مياهها راكدةً عفنة، بل كانت كالنافورة التي تسقي كل الأشياء الجميلة الخضراء التي حولها!

ذُهِلَت ممّا رأته؛ لما كان موجودًا في سواد الليل واستحال إلى شيءٍ آخر في الصباح، وهنا أدركت تمامًا أنّها غابةٌ مسحورة.

عزمت أنّه لا بدّ من خروجها في النهار قبل أن يخيم الليل الثاني لها؛ فتبدو تلك فرصةً ثمينة لها لتخرج من هذا المكان الملعون، فقررت أن تعود مرةً أخرى إلى طريقها الأول ومغادرة طريق المجرى المائي؛ فلا بدّ أنّ الوضع تغيّر كما تغيّر كل شيءٍ وستعرف وجهتها.

وبالفعل، فعلت ذلك ووصلت عند النافورة، ثم منها إلى الطريق المؤدي إلى السير وسط الأشجار التي لم تعد تلطمها فروعها البارزة من جذوعها.

وبعد ساعاتٍ، لاحظت أنّها تسير في نفس الأماكن مرةً أخرى وكأنّها في نفس الدائرة، فغضبت جدًا وندمت على قرارها؛ فيبدو أنّ كل شيءٍ تغيّر في الغابة إلّا سحرها .. تغيّر الظاهر دون أنْ يتغيّر الباطن.

فعادت نادمةً، غاضبةً، جاهلةً كل شيء، لم يكفها أنّها لا تعرف كيف تخرج من ذلك المكان، بل لا تعرف أيضًا مَن هي بالأساس.

وصلت إلى النافورة أو البحيرة لم تعد تعلم، وتبعت مرةً أخرى المجرى المائي على أمل أنّ ذلك المجرى الذي كانت مدركةً أنّه سيوصلها إلى البحر؛ لعله يكون لها ذلك مخرجًا.

يبدو رغم ضيق النهر إلى أنّه كان طويلًا جدًا لا ينتهي، فتساءلت متى ستكون نهاية هذا المجرى النهري؟! بدأت الشمس في الغروب، أحسّت بالإنهاك الشديد من سيرها طوال النهار مع أكلها الخفيف من ثمار تلك الأشجار.

لقد خيّم الليل بالفعل في غفلتها أثناء نومها لمدة ساعتين، فنهضت مذعورةً لسماعها صوت القصف بالرياح مرةً أخرى، ثم أبصرت أنّ كل ما حولها استحال مرةً أخرى إلى الرعب الأسود، وعاد كل شيءٍ كما كان مخيفًا. شعرت بالانهيار فضعفت مرةً أخرى وذرفت عيناها الدموع أثناء سيرها في خطواتٍ مترددةٍ غير واثقةٍ متعبة متتبعةً

المجرى حتى سمعت أخيرًا عند منتصف الليل صوت الهدير؛ فعلمت أنّها أوشكت الوصول إلى البحر.

بعد ساعةٍ أخرى، وصلت بالفعل إلى شاطئ البحر، وعندئذٍ لا تعرف هل فزعت أم سعدت لما رأته؟! فوجدت أخيرًا إنسانًا آخر غيرها، للدقة كانت فتاةً في العشرينات من عمرها جالسةً على رمال الشاطئ في حزنٍ، تحمل بين ذراعيها طفلةً صغيرةً لا يتعدى عمرها العام الواحد.

المجلس الأسود

في قاعةٍ مثل أي قاعةٍ لمملكةٍ ينعقد فيها مجلس يخص أمور المملكة السياسية، كان جالسًا الملك "جونكويل" بشعره الفضي وعليه تاجٌ من الذهب الأصفر الخالص، وفي مقدمته جوهرةٌ سوداء في شكل غرابٍ على كرسي أمام طاولةٍ كبيرة تكفي لبضع أشخاصٍ من النبلاء.

لقد كان ملكًا ذا هيبةٍ والجميع يحترمه ويخشاه، كان دائمًا بوجهه العابس، لكن ليس لعدم لطفه، بل لقوته وعدم رحمته، إنّه صارمٌ في الأمور التي تحتاج إلى ذلك.

كان بجواره من الناحية اليمنى ابنته الأميرة "لويزيانا"، وعلى جانبه الأيسر ابن أخته الأمير "أورلوف" الذي فقد أباه نتيجة المرض، أبوه الذي تزوج من أخت الملك عن قصة حبٍ نشأت بينهما رغم عدم موافقة الملك على ذلك؛ لأنّه كان من البيت الأقل رتبةً بين كل البيوت الملكية، وذلك بسبب ما حدث منذ آلاف السنين أثناء الصراع على العرش، لطالما كانت ثلاثة منازل ملكية من أصل خمسة منازل ملكية مَن لهم الحق في المطالبة بالعرش، وكان حينها منزل الذي منه الملك "جونكويل" هو البيت الأحق بالعرش على حسب قانون المملكة، أمّا المنزلان الآخران كان أحدهما رافضًا للمُلك هروبًا من المسئولية الكبيرة التي ستكون على أكتافهم؛ فهم لا يقدرون على ذلك. أمّا المنزل الأخير بسبب سمعتهم المشوهة وعدم احترامهم لقوانين المملكة، كما اشتهروا بأعمال القتل، والسرقة، والخيانة فهُم محرومون من المطالبة بالعرش على حسب ما ينص عليه قانون

المملكة.

ولكن جاء أحدهم من هذا المنزل لا يعلم شيئًا عن الملك، أو المملكة، أو أي شيءٍ يخص الأمور التي تتعلق بذلك، وأقام ثورةً ضد الملك حينها وأخذ العرش عنوةً بالاغتصاب، والقتل، والغش، والخيانة. كان ذلك الرجل هو من المنزل الذي أتى منه الأمير "أورلوف".

وبعد عدة سنواتٍ، نجح البيت الملكي الأحق في إعادة العرش، وكان شرط عدم عقاب ذلك المنزل بالموت هو عهدهم الذي ينص أنّه لن يحق لهم المطالبة بالعرش مطلقًا إلى أبد الدهور، وعلى جميع الأجيال القادمة الالتزام بالمعاهدة وإلّا سيطبق العقاب المحرم .. وهو موت جميع مَن هم تابعون لهذا المنزل. فشتّان الفارق بين أنْ يكونوا مجبرين على عدم مطالبتهم بالعرش على حسب ما ينصه قانون المملكة، وبين أنْ يكونوا متنازلين بإرادتهم عن ذلك خشيةً من الموت الذي سيمحي ذريتهم، وإنْ اختاروا التعهد فليس لهم الحق في امتلاك غربانًا لهم ليروا بعيونها العالم.

وبعد مرور آلاف السنوات، وقعت أخت الملك في غرام أحدهم فتزوجا دون إرادة الملك، ثم ماتت أخت الملك بعد موت زوجها بخمسة أشهر وهي أم "أورلوف".

كان عمر طفلهما حينذاك لا يتعدى شهورًا، فحنّ قلب الملك وأخذ الطفل الصغير ليربيه ويجعله أميرًا ليس له الحق في المطالبة بالعرش فلن يكون هو ذلك الشخص الذي سيتسبب في قتل أقاربه.

ثم كان آخرون جالسين على تلك المنضدة من النبلاء،

والمستشارين، وكبير السحرة، يتناقشون في أمور المملكة، ثم نهض الملك من مجلسه فانتبه الجميع، وساد الصمت في المكان، الجميع ينتظر توجيهات الملك حتى قال في جديةٍ صارمةٍ:

- كما تعلمون أنّنا مملكة الغربان، مملكة جنوب قارة "أوشانلاند"، لنا غربانا التي تكون لنا عيونٌ في أي ركنٍ من أركان القارة، تلك الغربان هي سلاحنا الذي اكتسبناه من قرونٍ مثل أي مملكةٍ أخرى اكتسبت سلاحها الذي يحميها.

إنّ الممالك الثلاث الأخرى لا يعرفون سوى أنّها سلاحنا فقط في المعارك والحروب؛ بسبب كونها غربانًا جارحةً عملاقة متوحشة، لكن أحدًا لا يعلم بأنّها تأخذ أبصارنا وتنقلها إلى أي مكانٍ آخر. واستمر هذا السر صامدًا حتى لحظتنا هذه، ولا بدّ أنْ نحافظ على ذلك السر ونجعله يصمد حتى نهاية العالم، ولن نسمح بأي شيءٍ يهدد بقاء ذلك السر الذي يجعلنا دائمًا متقدمين خطوةً عن أي مملكةٍ أخرى، وذلك يجعلنا أقوي ممالك القارة؛ فقريبًا ستهلك مملكة الثعبان، وقريبًا ستنقرض ذئاب مملكة "نانيوس"، أمّا مملكة "لوردلاند" لم تعد كما كانت حين فقدت تنانينها.

ولذلك علينا أنْ نمحي أي شيءٍ سيُخلق قبل وجوده يحاول أنْ يهدد بقاء سرنا العظيم.

تكلم كبير السحرة متسائلًا:

- هل هناك شيءٌ حدث يخشاه الملك؟

نظر إليه الملك بنظرات توعدٍ ثم أشاح بنظره عنه نحو البقية، فلم

يفهم أحدٌ ما معنى تلك النظرات لطالما كان ملكًا غامضًا لكنه قوي، ولكن بعد أنْ تحدّث علموا أنّها نظرات توعدٍ لما قاله، وهو:

- تم رصد كائناتٍ غريبة في الممالك الثلاث، يبدو أنّهم بشرٌ.

تساءلت الأميرة "لويزيانا":

- ما الشر في ذلك ليهدد بقاء سرنا؟

بنفس تلك النظرات تحدّث قائلًا:

- كما نعلم جميعًا الغربان هي عيوننا هناك، والتهديد الذي يقابلنا هو أنّ غربانا لم تستطع أنْ ترصد هؤلاء البشر لم تتم رؤيتهم. نرى بعيون الغربان أنّ هناك كائناتٍ تتحرّك ويتحدّث إليه الآخرون من أصحاب الممالك بأنفسهم، ولهذا علمنا أنّهم بشر، ولكن لا نستطيع أنْ نرى هيئتهم .. إنّهم مخفيون.

فتحدّث الأمير "أورلوف" في استنكارٍ:

- وكأنّ عليهم حمايةً من عيون الغربان.

فقال الملك:

- هذا لم يحدث من قبل، وحياة هؤلاء البشر هم تهديدٌ قويٌ لنا؛ فسلاحنا ليس له قوة عليهم، وبالتالي فإنّ غربانا لن يكونوا السلاح الأقوى بين الممالك الأربع. كما أنّ من الوارد أنْ يعلم هؤلاء البشر بأمر غربانا، لطالما محصنون ضده. ولن أسمح بمملكة "فوريس" أنْ تسقط، على الأقل ليس في عهدي.

تساءل "أورلوف":

- ما الذي يجعل هؤلاء البشر مخفيين من أنظار الغربان؟ ما الذي حدث جديد لتحدث تلك الظاهرة؟

أشاح الملك نظره عنهم وقال في نظرةٍ ثاقبةٍ تنظر إلى اللا شيء:

- هذا ليس له سوى معنى واحد فقط.

ثم نظر نحوهم وقال في توعد:

- إنّ هؤلاء ليسوا من عالمنا.

***

تجمدت الوجوه، وتسمرت الملامح مذهولين مشدوهين، يحاولون أنْ يفهموا، تساءلوا هل من الممكن أنْ يكون هذا صحيحًا؟ حتى تفوه "أورلوف" بما جعل الملك يشتاط غضبًا، فقال:

- هذا يعني أنّ نبوءاتهم صحيحة.

ضرب الملك الطاولة بقبضته اليمنى وقال صارخًا:

- نحن شعبٌ لا نؤمن بنبوءاتٍ، نحن شعبٌ نصنع النبوءات.

فسكن الجميع مكانهم متسمرين مرهوبين، لم يجرؤ أحدٌ أنْ ينبس ببنت شفة، حتى هدّأ الملك نفسه وأردف:

- كل مملكةٍ من الممالك الثلاث لها نبوءة خاصة بها، جميعهم يركضون خلف نبوءاتهم الكاذبة، وهذا يجعلهم مشغولين عنّا، وهذا أيضًا أعطى الفرصة لنا لنتفرغ لهم كي أحقق حُلمي وحُلم أجدادي، كما تمنوا تحقيق ذلك ولم يستطيعوا، وأريد أنْ أكون الملك الذي حقق ذلك.

نهضت الأميرة "لويزيانا" من مكانها متحيرةً ناظرةً نحو أبيها لا الملك وقالت في استنكارٍ:

- لا تقُل لي أنّك جادٌّ؟ لا بدّ أنّك تمزح؟

نظر الملك لها نظرته المعتادة المتوعدة مع تضييق جفنيه قليلًا، ثم أشاح بنظره عنها نحو الجميع وقال:

- نعم، إنّني أريد أنْ أكون الملك الذي وحّد قارة "أوشانلاند"؛ لتكون جميع الممالك واحدة خاضعةً لمملكة الجان.

***

أُعِيدت الكَرّة من جديدٍ مع أفواهٍ مفتوحة وعيونٍ مذهولة، لكن بتمتماتٍ غير مفهومةٍ فنظر الملك على قاعته وأراد أنْ ينفجر بالجميع حتى جاء أحد الحراس الملكيين، وقال في قلقٍ:

- ملكي، لقد حدث أمرٌ غريبٌ.

انعقد حاجبا الملك، وظهر القلق على الجميع، فقال الملك صارخًا:

- قُل ماذا حدث؟

تردد الجندي لحظاتٍ، ثم قال:

- لقد تم بواسطة أحد غربانا رصد كائناتٍ غريبة في مملكتنا من البشر لم تستطع غربانا تحديد هيئتهم، لكن عرفنا بمكانهم وتم القبض عليهم، ورغم ذلك هناك كائنان آخران لم يتم القبض عليهم حتى الآن.

جحظت عينا الملك وسأل في لهفةٍ:

- لماذا؟ أين؟

أجاب الجندي:

- إنّهما في الغابة السوداء.

الغابة السوداء

انتفضت مجرد أنْ رأتها قادمةً نحوها، نظرتْ حولها في قلقٍ فلم تجد سوى الفراغ فكان البحر خلفها، فليس سوى الولوج إلى الغابة أمامها حيث بينها وإيّاها تلك المرأة الآتية من وسط أشجار تلك الغابة مرتديةً عباءتها السوداء تغطي رأسها بقلنسوة، بدتْ بالنسبة لها أنّها ملكة الغابة إنّها شريرة، قد تكون قادمةً نحوها لتأخذ منها عنوةً الطفلة التي بين ذراعيها، لم تفعل سوى أنْ تحتضنها كأنّها تحميها من تلك المرأة الشريرة.

دنتْ منها تلك المرأة فاعتصرت الأولى الطفلة التي أخذتْ في البكاء من كتم أنفاسها في حضنها؛ فلاحظتْ تلك المرأة ذلك فتوقفت من اقترابها ومدّتْ يدها وقالتْ لها في حنين:

- هل هي ابنتكِ؟

لم تجبها تلك الفتاة بل ازداد قلقها، ولم تفعل شيئًا سوى أنْ تتقوقع في جلستها وتكتم أنفاس الطفلة بين أضلعها، فأردفتْ "مريم" الآتية من بين أشجار الغابة قائلةً في قلقٍ ممزوجٍ بمودة لتلك الفتاة التي تحتضن الطفلة والتي لم تكن سوى "دينا"، لكنهما لم تعرفا بعضهما فكل واحدةٍ فاقدة ذاكرتها:

- لا تخافي، لم آتِ كي آخذها منكِ، يبدو أنّك والدتها؛ فهذا خوف الأم على رضيعها.

لم تشعر "دينا" بالأمان بل ظلّتْ ناظرةً نحوها في توجس، ولم تنبس ببنت شفة، فأردفتْ "مريم":

- حسنًا، هل أنتِ من هنا؟ إنّني لا أعرف ما الذي أتى بي إلى هنا؟ في الحقيقة، لا أعرف شيئًا على الإطلاق.

وهنا رمقتها "دينا" بنظرةٍ لم تكن النظرة المعتادة المتوجسة، بل كأنّها انتبهت لشيءٍ ما لكنها لا زالت عند قرارها .. أنْ تلتزم الصمت؛ فأدركت "مريم" ذلك وقالت في فشلٍ:

- حسنًا، سأغادر يبدو أنّني بمفردي.

وقَلّ أنْ تفعل "مريم" ذلك، عاد صوت الرياح المخيف لتنتفض كلٌّ منهما، فنهضت "دينا" من مكانها والطفلة بين ذراعيها، فنظرت نحوها "مريم" وقالت لها:

- لا تخافي، لقد اعتدت عليها إنّها فقط الرياح.

ثم أشاحت ببصرها عنها نحو الغابة خلفها وأردفت:

- أعتقد أنّها هي التي تحرس هذه الغابة المخيفة، إنّه سح...

وقبل أنْ تكمل "مريم" جملتها حدث ما هو كان أكثر رعبًا لهما، لقد فزعتا حين رأتا الأشياء السوداء المخيفة الطائرة في الجو آتيةً من كل اتجاهٍ حولهما ما عدا الاتجاه المؤدي للغابة، ثم تبيّنتا أنّها غربانٌ .. غربانٌ سوداء كبيرة الحجم، يبلغ حجمها حجم تلك النسور الضخمة التي تحرس سماء مملكة "لوردلاند، لقد أتوا في شكلٍ يقتلع له القلب حاصروهما، فركضت الاثنتان نحو الاتجاه الوحيد الذي لم يأتِ من الغربان.

وهنا، أدركتا أنّه لا يوجد مكانٌ تركضان نحوه سوى الغابة، ترددت "مريم" لأنّها تعلم ماذا يوجد في هذه الغابة، وشعرت بالأسف حين

تفهمت أنّها ستعود إليها مرةً أخرى، وهذا ما جعلها في أشد غضبها، كما شعرت "دينا" بالخوف أكثر فأكثر، وأحست أنّها ستفقد الطفلة، تلك الطفلة التي في الحقيقة لم تكن سوى "وعد" ابنة "مريم" لكن لا تعلم "دينا" ذلك كما لا تعلم "مريم". انتفض قلب الأولى حين أدركت أنّها ستركض نحو الغابة التي بدت بالنسبة لها أنّها مكانٌ به الكثير من الشر، وقد صدقت.

اقتربت نحوهما الغربان في مشهدٍ كأنّهم سيهاجمونهما، كأنّهم يجبرانهما على العودة إلى الغابة، ولم تجدا سبيلًا آخر سوى الركض وبأقصى ما يملكان نحو الغابة حتى ابتلعهما ظلام الغابة، وهنا اختفت الغربان حين نجحت في تحقيق ما أتت لأجله.

***

في أنفاسٍ متقطعةٍ متوترةٍ توقفتا الاثنتان تحت شجرةٍ من أشجار الغابة، وذلك الصوت لا يزال يشعرهما بالفزع، نظرت "مريم" نحو "دينا" فوجدتها أنّها لم تصمد حتى الصباح، لقد هُلِكَت أعصابها تمامًا، فدنت نحوها وربّتت على كتفها وقالت لها:

- لن أتركِكِ حتى تكوني في أمان.

نظرت نحوها "دينا" ولأول مرةٍ في نظرةٍ مختلفة تمامًا، لا توحي سوى بالامتنان، ثم أشاحت "مريم" بصرها نحو الغابة، فتحدّثت أخيرًا الأولى إليها قائلةً:

- لا أعلم إنْ كانت ابنتي، لا أعلم مَن أنا، لا أعلم ماهية هذا المكان.

انتبهت جدًا "مريم" لحديثها ونظرت لها في لهفةٍ، وقالت متسائلةً:

- ماذا؟! هذا يعني أنّه قد يكون الذي حدث لي هو نفسه الذي حدث لكِ.

فأجابتها "دينا":

- وهذا يعني أيضًا أنّنا قد نكون نعرف بعضنا قبل مجيئنا إلى هنا، ونحن الآن لا نتذكّر شيئًا.

- مستحيل! شتّان الفارق بينكما.

كان هذا صوتًا ثالثًا غيرهما آتيًا من أحد الجهات بالغابة، فانتفضتا مذعورتين وأشاحتا نظرهما سريعًا نحو مصدر ذلك الصوت؛ إنّه صوتُ لامرأةٍ عجوز، مرتديةً زيًا طويلًا أبيض اللون، ذلك اللون الذي تمكّن من غزو شعرها الطويل العشوائي المبعثر، متكئةً على عصا من الخشب استخدمتها كعكازٍ.

سألت دينا:

- كيف لكِ أنْ تعرفي؟

أجابت المرأة:

- أنتما في مملكة السحر، وأنا ساحرة، وإحداكما ساحرة أيضًا.

نظرتا إلى بعضهما في قلقٍ وتوجسٍ، شعرت "دينا" بداخلها أنّها ندمت لإحساسها بالأمان في لحظةٍ معينة تجاه "مريم"، وشعرت الأخيرة بغبائها لأنّها رأت "دينا" إنسانةً لطيفة فكيف تكون ساحرة؟! تبدل شعورهما تجاه بعضهما البعض، لا تعلمان أنّهما صديقتان رغم كون إحداهما ساحرة.

ثم أردفت الساحرة العجوز:

- ما أعلمه أنّكما غريبتان عن مملكتنا، لكن سحري رصد أنّ إحداكما ساحرة مخضرمة، تستطيع أنْ تهزم مملكةً بمفردها، والأخرى ليست على هذا الشكل. فكيف لكما أنْ تعرفا بعضكما البعض قبل مجيئكما إلى هنا؟

ثم تجلى في فكر "مريم" سؤالان، كانا في وقتهما، فقالت:

- لماذا لا نتذكّر شيئًا؟ ما الذي أتى بنا إلى هنا؟

رفعت العجوز كفها باسطةً إيّاه، بإشارةٍ تدل على التوقف عن الأسئلة، ثم أجابت:

- لست أهلًا لأعرف كل شيء، إنّني ساحرةٌ ملعونة منفية في هذه الغابة؛ لعدم تفوقي في سحري فسحري محدود كما أخبرتكما. هذه مملكة السحر، وعلى الجميع أنْ يفقه ذلك وإلّا نُفي إلى هنا إلى الغابة السوداء.

استنكرت "دينا":

- الغابة السوداء؟!

نظرت العجوز نحوها، ثم أشاحت عنها نحو "مريم" فوجدت الأخيرة تنظر إلى "دينا" غير متفاجئةٍ بحديثها.

- تعاليا إلى كوخي، إنّه بالقرب من هنا، تبدوان متعبتين وخائفتين.

لم تفكّر "مريم" في الأمر ولو للحظةٍ فاقتربت نحو العجوز، أمّا

"دينا" ترددت وأعربت عن أنّها غير محبذةٍ هذه الفكرة.

فدنت منها العجوز وقالت لها:

- تلك الأصوات لن تنقطع، وابنتكِ لن تصمد طويلًا دون أن تأكل أو تشرب، كما أنّها لن تتحمل تلك الأصوات المخيفة؛ فهذه الغابة ملعونة.

بعد تفكيرٍ عميقٍ وافقت "دينا" أن تذهب معهما، فبدا أنّه ليس هناك سبيلٌ آخر وعليها أن تحمي الطفلة.

***

دخل الثلاثة الكوخ الذي يكمن في ناحيةٍ متطرفةٍ بعض الشيء من الغابة بعد مسيرةٍ طالت ما يقرب من الساعة، وبعد أن اطمأنت "دينا" على الطفلة بعد أن كانت متوجسةً مِن كل ما تقدمه العجوز من مساعدة؛ فهي تشعر أنّها بين ساحرتين تريدان أن تأخذا منها الطفلة كي تمارسا عليها طقوسهما وتعويذتهما، لكن شجعتها "مريم" التي لا يقل شعورها بالخوف من "دينا"؛ فهي تنظر إليها كأنّها ساحرة، لا تعرف أنّها هي نفسها الساحرة جالبة الضباب، وترى أنّ العجوز تستغلهما للظفر بهما لحرّاس الغابة كما اعتقدت بداخلها منذ الليلة الماضية. لكن في الأخير عليهما أن يقبلا مساعدة العجوز، فهما تعلمان جيدًا أنّها وسيلة المساعدة الوحيدة أمامها، وإن لم تموتا على يدها فستموتان في أجواء تلك الغابة الملعونة، فليس لديهما شيءٌ لتخسراه، ولا سيّما أنّ معهما طفلة لا تنفك من البكاء، فكاد يقتلها الجوع والخوف.

- لم تخبرينا مَن منا الساحرة؟

سألت "دينا" في خشيةٍ وترددٍ بعد أنْ استضافتهما العجوز في كوخها وفعلت معهما ما يلزم من كرم الضيافة، وهدأت الطفلة بعد أنْ سدت جوعها، فأجابت الشمطاء العجوز:

- إنْ كنت وصلت لهذه الدرجة من قوة السحر ما كنت أتجادل معكما حول ذلك الآن.

صمتت "دينا" وتذكّرت أنّها ساحرةٌ غير موهوبة كما أخبرتهما، فغضبت "مريم" وبدت غير مقتنعةٍ وتساءلت:

- ما هذا الحمق؟ تقدرين على معرفة أشياءٍ تكون بذرة الشك لدينا، وعند مطالبة اليقين فلا تقدرين على معرفة أي شيءٍ.

لا أصدق هذه الثّرهات، أية ساحرةٍ حمقاء أنتِ؟ ماذا لو لم يكن منا ساحرة من الأساس؟ ماذا لو لم تكوني ساحرة على الإطلاق؟

هنا تحوّلت ملامح العجوز من الجدية إلى ابتسامةٍ ثم منها إلى ضحكةٍ ساخرةٍ عاليةٍ بدت أنّها مزعجةٌ للغاية، فنفرت منها "مريم" و"دينا"، فزاد ذلك من غضب الأولى وبدا أنّ بركانًا بداخلها سينفجر؛ فخافت الأخيرة واحتضنت الطفلة وأخذت ركنًا من أركان الكوخ، علت ضحكات الساحرة الشمطاء فطفح غضب "مريم" وصرخت في وجه العجوز لتسكت، فلم تسكت. وهنا، وصل جام غضبها إلى أقصى درجاته، وحدث ما لم تره "مريم" لكن رأته "دينا" و"العجوز" وجعلهما ينظران نحو الأولى في خوفٍ، حدث ما جعل العجوز تصمت أخيرًا بعد أنْ تبيّن أنّها لن تسكت على الإطلاق، لقد تحوّل لون عينيّ

"مريم" إلى السواد قليلًا، وتسرّب ضبابٌ قليلٌ لم يتبيّن لونه من قلته. أبصرت كل من "دينا" و"العجوز" ذلك فتجلّى الرعب على وجهيهما؛ فتيقنت أخيرًا "دينا" من شكها، لقد علمت حقًّا كما فكّرت في عقلها أنّها بين ساحرتين شريرتين.

عادت "مريم" كما كانت، كما لم يكن هناك شيءٌ، وانتبهت لخوف "دينا" الذي تشعر به وتراه مرسومًا على ملامح وجهها، فأشاحت الأخيرة نظرها عنها ووجهته نحو طفلتها في قلقٍ؛ فأدركت "مريم" ما قد ستفعله "دينا" من حمقٍ، فأخبرتها أنْ تنتظر ولكن ليس هناك متسعٌ من الوقت في نظرها، لم يعد هناك أمان تشعر به، لا بدّ أنْ تلوذ بالفرار من براثن هاتين الساحرتين، فاحتضنت الطفلة وتهيأت وشرعت في الركض خارج الكوخ إلى الغابة السوداء، وسط الأشجار التي بدت أنّها لم تكن كما كانت في السابق، ولكن لم تهتم "دينا" لذلك، لا تفكّر سوى في أنْ تهرب بالطفلة، طفلتها كما تظن.

كانت ستلاحقها "مريم"، لكن أوقفتها العجوز خلفها بقولها:

- اتركيها؛ فهي لم تعد تشعر بالأمان معكِ، ولن تستطيعي فعل شيءٍ لها؛ فهي أمٌّ ولن تقدري على إيقاف أمٍّ من حماية طفلها.

توقفت "مريم" وبدا عليها الاقتناع، وفكّرت قليلًا، ثم قالت للعجوز بعد أنْ ولّت نحوها:

- ماذا لو لم تكن ابنتها؟

فأجابت العجوز:

- ماذا لو كان على عاتقكِ ما هو أكثر من ذلك؟

انعقد حاجبا "مريم" وقالت متسائلةً:

- وما هو أكثر من ذلك؟

نظرت العجوز إلى "مريم" في نظرةٍ ثاقبةٍ تحمل الكثير في طياتها، ثم قالت:

- تحرير هذه الغابة .. غابة الأرواح السوداء، حان الوقت كي أحكي لكِ أسطورة الغابة الحقيقية.

رياح الشتاء

أمر الملك "جونكويل" جنوده بالتأهب وأعلن عن الحالة القصوى في مملكته، لقد كان ينظر إلى هؤلاء البشر أنّهم أشد تهديدًا من الحرب ذاتها؛ لأنّه يعلم إنْ دخل حربًا سيظفر بالنصر نظرًا لتقدمه دومًا الخطوة التي تقدمها لهم الغربان على طبقٍ من فضة، ولكن وجود هؤلاء البشر الذين يُعصى أمرهم على تلك الغربان التي دائمًا كانت سببَ مكسبٍ لأي نصرٍ في أية حرب.

فمنذ قرونٍ، لم تقابل المملكة خطرًا كهذا، لم يسبق أنْ يأتي بشرٌ لا يعرف أحدٌ كينونتهم ولم يتم رؤيتهم من خلال أعين الغربان؛ فهذا لا يعني له وللمملكة سوى شيءٍ واحدٍ فقط، إنّها الهزيمة للمملكة التي لم تعرف الهزيمة من قبل، يعني أنّه تواجد ولأول مرةٍ شيءٌ ينفي قوة السلاح الذي يملكونه.

تبدّل حال المملكة وشرع الجميع يتساءل مَن العدو هذه المرة، لم يشعروا قط بالخوف؛ لأنّهم يعرفون مدى قوة ملكهم وجيشهم فهُم يقهرون أي عدوٍّ يتجرأ وأنْ يقترب نحو المملكة السوداء.

رغم قوة الملك وهيبته إلّا أنّه كان ذكيًا وفَطنًا، فلن يُسرب معلومةً مثل هذه إلى عامة الشعب، كما أنّه رأى ضرورة مقابلة هؤلاء البشر الغرباء المساجين الذين تم القبض عليهم في المملكة. قُبِض عليهم دون أنْ يرتكب أحدهم أي جُرمٍ، ولكن كان هذا التحقيق الذي أجراه الملك معهم لم يفِد الملك بأي شيءٍ، فليس على لسانهم سوى شيءٍ واحدٍ؛ وهو أنّهم لا يعرفون شيئًا، لا يتذكّرون شيئًا. وهناك آخرون يقولون أنّهم ليسوا بشرًا، وأنّهم آليون، وفعلوا أمامهم أشياء يفعلها

الآليون، ولكن الملك لن يراها سوى تهديدٍ آخر للمملكة.

رغم قولهم الحقيقة إلّا أنّه كان ذلك تحوّل شك الملك إلى يقينٍ، وأنّ هؤلاء يحاولون التملص منه وهُم بالفعل أعداءٌ للملكة. لقد عزم الملك أنْ يعرف كل شيءٍ، عزم أنْ يعرف مَن الذي دفع بهؤلاء إلى هنا؟ ومِن أي مكانٍ أتوا؟ فهُم غرباء عن قارة "أوشانلاند" بأكملها.

ثم تساءل عن هُوية العدو الجديد الذي يهدد المملكة؟

- مَن تظن قد دفع بهؤلاء الغرباء؟

قالها "أورلوف" سائلًا الملك في إحدى غرف القصر، فأجاب الملك:

- لم أجزم بعد، لكنني أفكّر في أكثر من احتمال.

نظر "أورلوف" إلى خاله دون أنْ يسأل، فلاحظ الأخير ذلك، فأردف:

- حسنًا، إنْ سألتني فلم أكن أفكّر بكَ بطريقةٍ غير لائقةٍ؛ فأنتَ ابن أختي رغم اختلافي مع والدتكَ.

قال "أورلوف":

- لكن ليس لي الحق أنْ أسأل في أشياءٍ تخص الملك؛ فرغم كوني ابن أختكَ إلّا أنّ أبي من المنزل الذي تعاه...

قطع الملك حديث "أورلوف" وقال له:

- ليس الوقت المناسب للتحدّث في أشياءٍ لن تتغير بمجرد التحدّث بشأنها، ولن تتغير إلى الأبد.

نظر "أورلوف" إلى خاله وفهم إلى ماذا يرمي، ولكن في الحقيقة فهو لم يطمع يومًا في العرش، ثم رأى أنْ يغيِّر مجرى الحديث فسأل:

- مَن تعتقد العدو في مرمى احتمالاتكَ؟

لم يجب الملك مباشرةً، بان على ملامحه التفكير بعمقٍ، ثم قال ناظرًا نحو الفراغ:

- إنّنا على خلافٍ دائمًا مع مملكة الشمال "لوردلاند"؛ فهُم يبغضون السحر ويكرهوننا على ممارستنا إيّاه.

ثم صمت لبرهةٍ وأردف:

- مملكة الغرب "كونغار" يعتقدون أنّهم أقوى ممالك القارة لامتلاكهم أقوى سلاحٍ في القارة، وهو بالفعل ذلك، لكنهم لا يعلمون أنّنا نعرف بأمرهم الذي يخفونه عن الشعب، إنّنا نعلم بأمر التهام وحشهم لمملكتهم إنْ لم تتحقق نبوءتهم. ولا أرى أنّهم يفكّرون في عداوتنا في هذا الوقت الراهن؛ فهُم لديهم ما يشغلهم عن خوضهم حرب معنا.

فسأل "أورلوف":

- ماذا عن مملكة الشرق "نانيوس"؟

أجاب الملك في عمقٍ:

- إنّهم يحاولون أنْ ينهضوا بسلاحهم الذي أوشك على الانقراض، فدون ذئابهم لا يجرأون على فعل أشياءٍ تجعلهم في مأزقٍ معنا.

قال "أورلوف":

- هذا يعني أنّه ليس سوى مملكة التنانين هي محض الشك الوحيد.

قال الملك:

- لا أريد أنْ أتسرع في هذا الأمر؛ فمملكة "لوردلاند" لا زالت تنزف منذ انقراض التنانين. كما أنّنا نعلم بواسطة غربانا أنّ لديهم مشكلةً مع مملكة "كونغار" فهُم يشكون أنّهم أرسلوا أحد السحرة إلى مملكتهم.

سأل "أورلوف":

- ولماذا لا يشكون بنا لطالما نحن روّاد السحر؟

أجاب الملك:

- لا أعرف بعد، كل ما نعلم به أنّنا سمعناهم يقولون أنّها قد تكون مملكة "كونغار"؛ فهُم لديهم مشاكل أخرى في التجارة البحرية فيما بينهم. قد يكون ذلك الساحر الذي أمسكوا به ليس فضيّ الشعر وبالتالي نحن خارج رؤيتهم.

قال "أورلوف":

- بالطبع، فبواسطة خائنينا علّموا السحر لهؤلاء الغربيين، لطالما تساءلتُ لماذا سمحتَ بهروبهم إلى هناك؟ لماذا تركتَ بني شعبكَ العيش في أرضٍ ليستْ أرضهم؟

أجاب الملك في حكمةٍ:

- إنْ كنتُ فعلتُ ذلك لكنتُ خلقتُ أعداءً لي من بني جنسي، سيضحون كالشوكة في ظهري؛ فضربة القريب هي التي توجعكَ دون باقي الضربات التي تتلقاها. ثم إنّني أريد أنْ أكون الملك الذي سمحتُ لهم بحريتهم، حين يعلمون بأنّ هناك شيئًا يهدد أرض الوطن سيعودون لملكهم الذي لم يؤذهم، لوطنهم الذي شعروا أنّهم تركوه، حينها سيشعرون بأنفسهم أنّهم الخائنون دون أنْ يوجّه أحدٌ تهمةً لهم.

ابتسم "أورلوف" لخاله وبدا أنّه أُعجِب بحكمة وذكاء الملك،فقال مستنتجًا:

- هكذا لا أرى أية احتمالاتٍ، أو العدو ليس من القارة، وإنّما من الممكن أنْ يكون من وراء بحر "أوشا".

أجاب الملك مؤكدًا:

- هذا هو احتمالي الأول بالفعل، ولكن الأضعف.

سأل الأمير:

- والثاني؟

أجاب الملك في تمعنٍ:

- ذلك الساحر الذي أمسكوا به مملكة الشمال.

ثم صمت، فلاحظ "أورلوف" ذلك وسأل متلهفًا:

- ما به؟

أجاب الملك:

- كان مخفيًا عن أنظار غربانا، فهو من هؤلاء القوم الذين تم الإمساك به في مملكتنا، كما لهم أيضًا تابعون في كلٍّ من مملكة الشرق ومملكة الغرب.

جحظت عينا "أورلوف" مندهشًا ممّا قاله الملك، كما أنّه حزينٌ كونه ليس له غراب ينظر بعينيه ليجوب به العالم؛ فهو ليس له الحق في ذلك كونه من عائلةٍ محرمًا عليها ذلك بواسطة تعهدٍ أخذوه على أنفسهم بإرادتهم. فانتبه الملك لحزن ابن أخته وشعر بما يلوج بداخله، فقال الملك مواسيًا له:

- لو لم تكن من تلك العائلة لكنتُ أنظر إليكَ الآن كملكٍ مستقبلي لمملكتنا، حتى وإنْ لا زلتَ ابن أختي لا ابني، ولزوجتكَ ابنتي الوحيدة.

انتبه "أورلوف" لكلام الملك الذي ينطق به لأول مرةٍ وابتسم شاعرًا بالامتنان، كما أنّها أول مرةٍ يشعر الأول بطيبة قلب الملك رغم هيبته الجبارة، فهذا الحوار الذي دار بينهما كان سببًا في قُربه للملك فبادله الملك الابتسامة، ثم تساءل الأول:

- إذن؟

أجاب الملك في ذات التمعن، وقال ما يلوج بداخله جعل "أورلوف" يشعر بالجنون لأنّ ما قال الملك هو الجنون ذاته:

- هذا يعني أنّ الاحتمال الثاني هو أنّ الممالك الثلاث هم العدو بذاته.

ذُهِل الأمير بما سمعه من خاله الملك، وأخذ يمسح على جبهته

بإصبعيه شاعرًا بصداعٍ يغزو رأسه فتساءل:

- كيف؟

قال الملك:

- ما يفسر وجود هؤلاء البشر الغرباء في الممالك الأربع في ذات الوقت؟ هذا يعني الهزيمة لمملكتنا، فهُم يعلمون سلفًا أنّنا نملك غربانًا نرى من خلالها العالم؛ ولذلك جعلونا نرى ما نرى لنصدق أنّهم لا يعلمون عن غربانا شيئًا.

ففي الحقيقة، أرى أنّ الممالك الثلاث اتحدوا سويًا حين علموا بأمر سلاحنا القوي، وشعروا بالتهديد الذي يحوم حولهم بواسطتنا، فأنا بالنسبة لهم الملك الذي يريد أنْ يوحد الممالك الأربع تحت اسم ملك واحد .. ملك من الجان .. وهم جميعًا بشرا وهنا، لم يبقَ سوى سؤالٍ واحد فقط: أين عثروا على هؤلاء البشر؟ أو يجوز أنّهم من القارة فكيف توصلوا بطريقةٍ يخفونهم عن أنظار الغربان؟

قال "أورلوف":

- بل سؤالٍ واحدٍ: كيف علموا بأمر غربانا؟

أجاب الملك مبتسمًا كأنّه يعلم بذلك سلفًا:

- مَن تركتْ لهم حريتهم، وإلّا لماذا أعربث مملكة الشمال شكها في مملكة "كونغار"؟

- كي نرى نحن ذلك.

مطّ "أورلوف" شفتيه، فبدا أنّه اقتنع بحديث الملك، ثم قال:

- إذن الحرب؟

أجاب الملك في رزانة:

- كل هذه شكوك واستنتاجات، لا بدّ أنْ يكون هناك دليلٌ، حين أتأكد من صحة ما فكّرتُ فيه للتّو سأعلن الحرب.

فتساءل "أورلوف":

- ماذا عن الغرباء؟

أجاب الملك في عزمٍ وقوةٍ:

- سيُعدمون قبل بزوغ الفجر.

تسمّر "أورلوف" في مكانه كأنّه لم يكن يتوقع أمرًا مثل هذا؛ فسأل في ترددٍ:

- والكائنان اللذان في الغابة السوداء، فنحن لا نستطيع أنْ نذهب إلى هناك.

أجاب الملك مباشرةً فبدا أنّه وضع حسبانًا لكل شيء:

- لقد حلّ الشتاء، واشتدت الرياح، لقد سخرناها بواسطة كبير سحرة المملكة منذ يومين؛ لكي تخيفهما لكنهما أشد صمودًا عمّا توقعتُ، لقد نفد وقت اللعب وحان وقت الجد.

وجّه "أورلوف" نظره في عينيّ الملك دون أنْ ينبس ببنت شفة، فإنّه ينتظر بقية الحديث في خوفٍ وتردد، فأردف الملك:

- سنبعث غربائنا إلى هناك؛ كي تأمر الرياح بقتلهما دون رحمة،

والبشري الثالث معهما.

انعقد حاجبا الأمير وتساءل:

- البشري الثالث؟

نظر الملك في حزمٍ وقال:

- إنّ معهما طفلًا رضيعًا، أو طفلةً لا نعرف بعد، سيُقتل أيضًا بواسطة غربانٍنا.

مريم

جلست مع تلك العجوز التي جعلتني أندم لأدخل معها في كوخها، ولكن ما أجبرني على ذلك تلك الطفلة التي كانت في أحضان تلك الفتاة، لا أعرف لِما أشعر نحوها بشعورٍ غريبٍ لكنه جميل؛ يجوز لأنّها مجرد طفلة، فالأطفال تُبدل القلوب المتحجرة إلى بحورٍ من المحبة، لكن شعوري الآن نحو نفسي هو الذي جعل قلبي يختلج. لقد بدوتُ أنّني ساحرةٌ، أصبحتُ أنا الساحرة التي تحدّثت عنها تلك العجوز، بعد أنْ شككتُ في تلك الفتاة التي لا تبدو عليها الحيلة، فكان شغلها الشاغل هو طفلتها.

مَن أنا؟ ومن أين أتيتُ؟ وكيف أكون ساحرةً؟ هل من الأخيار أم من الأشرار؟ فكما يبدو من معرفتي بتلك الأشياء أنّ السحرة هم الأشرار.

شرعتُ الساحرة تسرد قصة هذه الغابة الملعونة، ولماذا سُميت بذلك الاسم "غابة الأرواح السوداء"، وإلى مَن تعود تلك الأرواح التي تحرس الغابة من الغرباء، وكيف أنّ الرياح تقوم بذلك الفِعل؟ وما هي قصة تلك الغربان التي أجبرتنا على الدخول إلى الغابة مرةً أخرى حين كنتُ والفتاة مع طفلتها عند شاطئ البحر.

ومن هنا، علمتُ بتاريخ هذه المملكة التي تُدعى "مملكة فوريس"، أو "مملكة الجان"، أو "مملكة الغربان" وكيف يتحكمون بتلك الغابة عن طريق معاهدةٍ كانت بينهم وبين الأرواح التي تسكن الغابة منذ قديم الزمن.

خرجتُ من كوخها هائمةً تائهةً لا أعرف وجهتي، كان شغلي الشاغل هو التفكير في كلام تلك الساحرة، لا زال في أذنيّ كأنّها لا زالت بجواري تحكي، وكأنّني لا زلتُ أسمعها. خرجتُ من كوخها خلسةً، لم أكن أعرف إنْ كانت ستسمح لي بالخروج أم لا؟ لكن ما فعلته كان لا بدّ منه؛ فما لي بتحرير الغابة؛ إنّها ليست أرضي. شعرتُ بأنّ وجودي في ذلك الكوخ هو أول خطوةٍ في إجباري لفِعل شيءٍ ليس لي علاقة به، ولكن لبرهةٍ أحسستُ بالاستسلام والخوف، لقد كنتُ أخشى الغابة قبل أنْ أعرف عنها شيئًا، فما بالي بعد أنْ عرفتُ أسطورتها المخيفة.

أردتُ لبرهةٍ العودة إلى الأمان إلى ذلك الكوخ، لكنه أمانٌ من الغابة فقط لفترةٍ وجيزة، ليس أمانًا فيما ينتظرني في وجودي هنا.

تضاربتْ الأفكار في عقلي ما بين خروجي هائمةً في غابة الأرواح السوداء وعودتي إلى الساحرة بعيدًا عن أهوال الغابة. اضطرب شعوري ما بين بحثي عن تلك الفتاة التي معها طفلتها؛ فهي لم تفرق عني في شيء، إنّها مثلي لا تتذكّر شيئًا، ليست من هذا العالم وفكري فيما حكته لي العجوز. إنّ عقلي يقف حائرًا في هذه الأسطورة العجيبة التي بسببها تأسستْ هذه المملكة، مملكة "فوريس"، وظللتُ أفكّر في تلك الحكاية وتأملتُ فيها كثيرًا.

حيث من قديم الزمن، منذ بداية تأسيس هذه القارة بممالكها الأربع، كانت هذه الغابة يسكنها البشر الصالحون، تمتعوا بخضرتها، أكلوا من زرعها، مبانيها وصخورها التي كانت ناصعة البياض، فكان اللون الأبيض هو الغالب على معالمها وشربوا من مياهها التي تضخها

تلك النافورة العظيمة، كانت هذه نعمة الله على هؤلاء البشر نتيجة ما يفعلونه خيرٍ تجاه الغير فيما بينهم. لكن جاءت قبيلةٌ شاردة لا تعرف وجهتها مطرودةً من عالمهم الذي لم يعد له وجود، لقد احترق عالمهم وأرضهم وباتوا يجوبون في الأرض حتى وصلوا إلى تلك النقطة من الأرض؛ الغابة البيضاء هكذا كان اسمها في البداية. لم يُظهروا أنفسهم في البداية؛ حتى يعلموا ما الذي بصددهم، أصحاب الأرض، كما أنّ عددهم بالآلاف، لم تكن نية هؤلاء الزائرين خيرًا لطالما تعودوا على النهب وفرط القوة، وبعد عدة أيامٍ من المراقبة والتربص لهم علموا أنّ أصحاب هذه الأرض مخلوقاتٌ بشرية لا تعرف سوى أنْ ترضي الله.

الله الذي لم يسمعوا به من قبل، فهُم لا يؤمنون بذلك، ولا يعرفون معناه، لكنهم تيقنوا أنّهم ليسوا تهديدًا لهم.

وهنا، جاءت الغارة من هؤلاء الأشرار، هجموا ملثمين، لا يُظهر أحدهم عقلة إصبع من جسمه ليس سوى العينين ليروا والأنف ليتنفسوا، وكل ذلك ملثم بحكمةٍ حتى لا يتعرّف عليهم أحدٌ في حالة هروب أحد الأخيار من قبضتهم، لقد كانوا أذكياء قبل أنْ يكونوا نهّابين. وبالفعل، قد حدث ذلك، وتم قتل كل هؤلاء الأخيار جميعًا، وظلّت أرواحهم معذبةً، تحوّلت نافورة المياه العذبة إلى بركة دمٍ، وتبدّل حال الأشجار والحشائش إلى ظلالٍ سوداء، والمعالم إلى أشباحٍ تظل هائمةً في الجو، تحوّلت الغابة البيضاء إلى غابةٍ سوداء لا تصلح للحياة حتى جاء من بين أولئك الأشرار ساحرٌ كبيرٌ مخضرمٌ لا يعرف سوى أنْ ينفذ أي مهمةٍ موكلةٍ عليه.

جاء من بينهم ليخلص هذه الأرض من هذا العذاب، من خلال سحره الجبّار أرسل تلك الأرواح إلى مكانٍ بعيدٍ أكثر ظلمةً، لقد أرسلهم إلى أعماق البحر إلى الأسفل، لقد نفاهم في مكانٍ بعيدٍ عن هنا لا يعرف أحدٌ إلى أين استقرت هذه الأرواح!

لم تنتهِ هذه الخطة كما يجب أنْ تكون بسبب تغافل هذا الساحر عن أمر أجسادهم، لقد انتبهوا فقط إلى أرواحهم التي كانت سببًا في تبدّل حال الغابة وتغافل الجميع عن أمر أجسادهم حتى تحللت؛ ولذلك لم يتم التخلص من هذه اللعنة دون رجعةٍ، بل تخلصوا من جزءٍ منها، وبسبب ذلك تكون الغابة في النهار الغابة البيضاء، وتتحوّل إلى الغابة السوداء في الليل، وهذا ما رأته عيناي بالضبط في الليلة السابقة بنهارها، وكأنّ هذه الأجساد تنتظر أرواحها لترقد كل روحٍ بسلامٍ مع جسدها.

لقد تبيّن هؤلاء الأشرار الملعمين الزائرين المطرودين من عالمهم المحروق بعد قتلهم جميع البشر الصالحين، إنّهم ليسوا سوى الجان بأنفسهم؛ فلقد أظهروا هيئتهم بعد أنْ تأكدوا من قتل الجميع فليس هناك أحدٌ على الإطلاق التعرف عليهم، ثم توالت الأجيال لم يروا الراحة أبدًا حتى جاء ساحرٌ آخر كي يجد حلًا لهذه اللعنة، فذهب نحو المكان الذي دُفنت فيه الأجساد وذلك بواسطة الطبيعة وليس بواسطتهم؛ فأمر بخروج هذه العظام وأخذ يمارس سحره حتى استطاعت إحدى الأرواح الضالة العودة إلى جسدها في هذا المكان، لم تتعرّف هذه الروح إلى كينونة هؤلاء الجان بسبب تلعمهم في السابق، فأوهم الساحر هذه الروح أنّهم قومٌ جاءوا بعد سنواتٍ وقضوا على الأشرار الذين قتلوا أصحاب هذه الأرواح.

وهنا، توصّل إلى حلٍّ؛ وهو عبارةٌ عن معاهدةٍ بينهم وبين هؤلاء القوم، فكانت هذه الروح وسيلة تواصل بين ذلك الساحر العتيد والأرواح الأخرى، تنص المعاهدة على أنّ الطرف الأول "الأرواح" تسمح لهؤلاء القوم العيش في هذه الأرض بسلامٍ مقابل أنْ يتركوا هذه البقعة بالتحديد؛ الغابة، ولكن بسبب توسعهم وانتشارهم الكبير وتأسيسهم لمملكةٍ ولها ملك، فاعتُبِرَتْ هذه الغابة من ضمن ممتلكاتهم.

ومن هنا، جاء الحل الأوسط وهو تسخير الغربان لتخدم هؤلاء البشر من خلال الأعين، فيجوب الجان الأرض دون أنْ يتحرّكوا من مكانهم دون أنْ تخطو أقدامهم هذه الملكية التي تخص أصحاب الأرواح. ومنذ حينها لم تخطُ أي قدمٍ هذه الأرض؛ فأحست الأرواح بالرضا حين عادث هذه البقعة لهم، لكن لم يكن هذا الحل هو الإرضاء الكلي للأرواح، لقد طالبوا بشيءٍ آخر .. شيءٍ لا يعرفون إنْ كان الجان يقدرون على فعله أم لا؟ وهو تحرير هذه الأرواح من المكان المقيدين فيه.

لم يجد الجان سبيلًا آخر سوى القبول ظاهريًا، ولكن نيتهم غير ذلك؛ فهُم أنفسهم مَن فعلوا كل ذلك، وتمت المعاهدة على الوعد الذي قطعوه الجان على أنفسهم وهو تحرير الأرواح لتعود إلى أجسادها يومًا ما، فتعود الغابة كما كانت في السابق بيضاء نهارًا وليلًا.

وتوالت الأجيال حتى الملك الحالي "جونكويل"، ولا زالت الغابة تتحوّل ليلًا، ولا زالت الأرواح مقيدةً تحت بحرٍ واسعٍ مخيفٍ مهيبٍ لا يستطيع أحدٌ معرفة مكان هذه الأرواح التي ما زالت تنتظر تحقيق

الوعد، مع الحفاظ على الجزء الأول من المعاهدة.

وها أنا بعد أنْ توقفتُ من التفكير في هذه الأسطورة، نظرتُ حولي فوجدتُني أمام تلك النافورة التي أراها الآن تضخ الدم إلى المجرى الكائن حولها ومنه إلى البحيرة على بعد من مرمى عيني، ثم إلى المجرى النهري الذي تصب فيه مياه البحر من الناحية الأخرى من الغابة، فتخيلتُ أنّه ليس سوى بحرٍ من الدماء، دماء أولئك البشر الصالحين المقيدة أرواحهم فيه.

أعدتُ ذاتي وخرجتُ من اللا وعي الذي كنتُ فيه، نظرتُ إلى الأعلى نحو السماء فبالكاد تبينتُ عن اقتراب بزوغ الفجر، ثم أخرجتُ ذاتي من اضطرابي وقررتُ أخيرًا أنْ أقدم على الفعل الذي سيوفر لي الأمان مع عدم إجباري على فِعل شيءٍ؛ قررتُ أنْ أعود إلى ذلك الكوخ مؤقتًا حتى يأتي النهار؛ فالفجر هو ذروة الأهوال المخيفة التي تحدث في الغابة كما أخبرتني العجوز، لكن سأعود بعد أنْ أجد تلك الفتاة؛ ولذلك شرعتُ في البحث عنها.

وبعد مرور ما يقرب من الساعة من بحثي بين الأشجار ووراء التلال الصغيرة، وسط أصوات رياح الشتاء المخيفة التي كلمتني عنها العجوز وجدتُ ضالتي، لقد أبصرتُ طيفَ أحدٍ ما تحت شجرةٍ من الأشجار الكائنة أمام مرمى بصري، بدتْ أنّها هي لأنّي أرى نفس لون ردائها خلف الشجرة من الناحية الأخرى، خُيِّل لي أنّها تعبث فارتاحتْ قليلًا لذلك أراها نائمةً، لقد تقدمتُ لأقترب نحوها لأحثها على العودة، ثم الخروج سويًا عند طلوع الشمس، لكن عَلَيّ أنْ أقنعها أنّني لا أمثل تهديدًا لها؛ لأنّني كنتُ السبب الأول في هروبها من

الكوخ.

دنوتُ في اتجاهها، وتقدمتُ نحو الناحية الأخرى من الشجرة لتكون على مرمى بصري، وهنا كانت الفاجعة. لقد تسمّرتُ مكاني، تقيدتُ قدامي، تحجرتْ عيناي بعد أنْ جحظتْ، لا شيء يرمش لي سوى الدموع التي ملأتْ عيناي قبل أنْ تسيل على وجنتيّ.

أحسستُ بألمٍ اهتز له كياني، وكأنّ هناك مَن غرز سكينًا في قلبي الذي اختلج وكأنّه خرج من صدري ليقف نازفًا نحو ما شاهده أمامه، لقد كان المشهد مأسويًا إلى أبعد حدٍ، لقد كان ألمًا به بركانٌ من الحزن الذي يحرق وجدان كل مَن له وجدان، ذُرِفتْ الدموع من عيناي كأنّها أنهارٌ تحفر مجراها في وجهي، ثم صرختُ بكل ما أوتيَ لي من قوةٍ، صرختُ بقوة الألم الذي يكمن بداخلي الآن، صرختُ حتى كانت صرخةً تردد صداها في سماء الغابة السوداء.

***

لقد كان غضبًا كالبركان بداخل "مريم"، في ذات اللحظة التي أتى السواد من كل ناحيةٍ من حولها إنّه دخانٌ، لقد كان ضبابيًا مخيفًا أسود؛ فأدركتْ "مريم" أنّ ذلك الضباب الأسود كان من أفعال الغابة، لا تعلم أنّ ذلك الضباب من فعلها هي، فكيف لها أنْ تعرف ذلك؟! إنّها لا تتذكّر أنّها جالبة الضباب، فطارتْ الغربان بعيدًا عن الأشجار خائفةً مرتعدةً، وسكت صوت الرياح المرعب، فيبدو أنّ الغابة توها قررتْ أنْ تفعل ذروة الأهوال.

فهنا، الفجر قد بزغ، لقد كانت الغربان والرياح كلعبةٍ تلعبها الغابة، أعادتْ نظرها نحوها .. نحو الفتاة، وبجوارها طفلتها، نحو "دينا"

وبجوارها ابنة "مريم" .. إنّها "وعد".

لقد كانتا مفروشتين أرضًا، كانت "دينا" ساندةً ظهرها على جذع الشجرة وبجوارها "وعد" مغطاةً بذيل الرداء، ذلك الرداء الذي كانت تلبسه "دينا" ملطخًا في دمائها، ثم نظرت إلى وجهها فأصبحت ليس لها وجه، لقد ثقبته الغربان ثقوبًا كثيرة، كما فعلت مع جسدها، لقد كان به ثقوبٌ كثيرة جدًا نزفت منها الدماء حتى تجلطت. لقد ماتت "دينا" خائفةً، مرتعدةً، وحيدةً في أرضٍ ليست أرضها، في زمانٍ ليس زمانها، ماتت بمفردها في غابةٍ مخيفة بها أرواحٌ معذبة، لقد ماتت وهي لا تعرف مَن هي، ماتت ولا تعرف "مريم" أنّ تلك الفتاة التي تراها ميتة أمامها هي صديقتها "دينا"، كان حقها أنْ تموت في أرضها عالمةً بذاتها، لا تموت نكرةً في أرضٍ غريبة أمام صديقتها دون أنْ تعرف الاثنتان بعضهما.

نظرت "مريم" بعينين دامعتين بغزارةٍ إلى الطفلة بجوارها، فوجدت الرداء ملطخًا بالدماء مثل "دينا"، كانت ثابتةً لا تتحرّك لا تتنفس؛ فأدركت "مريم" أنّ الطفلة ماتت أيضًا، لم تعرف أنّ هذه الطفلة التي تراها غارقةً في دمها أيضًا هي ابنتها "وعد".

بعد وقتٍ من البكاء، والصراخ، والوجع، والعذاب الداخلي تراجعت بضع خطواتٍ في ألمٍ، ثم عادت أدراجها بعيدًا، لتعود حيثما جاءت، ولكن حدث ما جعلها تتوقف، لقد سمعت ما أجبرها على الرجوع مرةً أخرى إلى موضع "دينا".

5

بحر "أوشا"

آدم

ما زال يوجد الكثير من البلبلة التي كست المنطقة بأكملها، ولم أعطِ الفرصة لهم ليبرروا أي شيءٍ؛ فنطقت بجملتي الثالثة مباشرةً:

- والقاتل موجودٌ هنا في وسطنا.

زادت الهمهمات وصاحت الحشود، لقد غدمت الثقة فيما بينهم وجعلتهم يتساءلون: مَن القاتل؟ فنظر كل مَن حاضر محاكمتي لمَن جواره بنظرة شكٍّ أما أنا فرَسمت على وجهي ابتسامة نصرٍ، وبنظراتٍ واثقةٍ من مكاني ظللت أبصر كل مَن حضر المحاكمة؛ لأتأكد من شكي. وبالفعل، تحوّل ذلك الشك إلى يقينٍ، حاول الجنود إسكات الحاضرين، وبان القلق على القادة، فهنا تساءل مستشار الملك "تشيني" بصوتٍ جهورٍ:

- لماذا نصدقكَ؟ أنتَ لستَ إلّا ساحرًا ماكرًا، فلماذا ننصت لسماع ما يقوله شخصٌ مخادع؟

أجبت مخادعًا بالفعل ولا زالت الابتسامة تعلو وجهي:

- لأنّكم تريدون قاتل الملك الحقيقي؛ فما فائدتكم من قتلي حين يكون القاتل لا يزال طليقًا، كما يجب على الملكة الأم وأصدقاء الملك أنْ يقلقوا على مصير المملكة كما يجب حماية نسل الملك؛ فالملك القادم من ضمنهم وبما أنّ القاتل طليق فهُم مهددون.

امتقع وجه المستشار ونظر إلى الملكة "لوسيا"، ثم نظر نحوي وشرع يحدّثني إلّا أنّ قائد جيوش الملك، "موليس" قاطعه قائلًا لي في ذكاءٍ:

- لكننا أمسكنا بكَ متلبسًا ومعكَ سيف الملك الخاص؛ فهذا دليلٌ قاطع على دخولكَ غرفة الملك وقتله.

أجبته في حكمةٍ:

- أمسكتموني هاربًا ولست قاتلًا، ثم أنّ السيف كان في أيدي الأميرة "فريسيا" ابنة الملك.

زادت البلبلة أكثر عقب ما تفوهت به، وامتقع وجه كل من الملكة والأميرين والمستشار، ورأيت الصدمة في ملامح الأميرة، فأردفت بصوتٍ جهورٍ:

- ولكن لماذا تقتل الابنة أباها الملك؟ إنّها تملك أطيب قلبٍ في هذه المملكة، لقد دافعت عني حين دانني الجميع، لم تفعل سوى أنّها سرقت السيف من أبيها لتستخدمه في العبور للسجن لتحررني، في ذلك كان قد دخل القاتل لغرفة الملك عقب خروج الابنة وفعل ما فعله.

غضب المستشار "تشيني"، وقال بصوتٍ حادٍّ:

- أرى أنّك تماطل لسببٍ ما لا أحد يعرفه سواكَ؛ وهذا دليلٌ على أنّك لا تعرف القاتل من الأساس.

لا زالت الابتسامة على وجهي مجيبًا الأمير قائلًا:

- أريد أنْ أعرف فقط أين الآن الحارس الذي يُدعي "وينجي"؟ ذلك الحارس الملكي الشخصي، الذي دائمًا موقعه حيثما يكون الملك.

نظر الحرّاس والجنود إلى بعضهم البعض، حين لا ينفك وجه كل من الملكة والمستشار من امتقاع وجوههم، فأجاب المستشار "تشيني" بعد أنْ رمى نظرةً نحو الجميع:

- لا بدّ أنّ هناك مهمةً موكلةً له.

أجبتُ في تحذلق:

- أرى أنّ المستشار هو المسئول المؤقت في غياب الملك، ولا بدّ أنْ تكون ملمًا بكل الأمور، ويبدو أنّك لستَ على يقينٍ تامٍ بمكان الحارس الشخصي، أرى أنّك لستَ متأكدًا من أنّ هناك مهمةً موكلةً له.

استرعتْ أخيرًا اهتمام العرّاف "أكاسيا"، فنظر نحوي وتساءل في اهتمامٍ:

- إلى ماذا ترمي؟

أجبتُ هذه المرة دون تحذلق أو ابتسامة بل في حزمٍ:

- أرسلوا إلى ذلك الحارس الشخصي، إنّني أشك في أنّه قتيلٌ في مكانٍ ما بالقصر.

جحظتْ عينا العرّاف، فقالتْ الملكة بعد صمتٍ كبيرٍ ساد عليها، قالتْ في حزنٍ وبكاءٍ:

- لماذا نقف نسمع له؟ إنّنا الآن أمام قاتلٍ مرسلٍ من مملكةٍ أخرى،

إنّنا نضيع الوقت لا بدّ وأنْ تُقطع رأسه وترسل إلى مملكة الغرب ويحرق جسده، إنّه يماطل لفعل شيءٍ أكثر جنونًا.

نظر الجميع لها، كان البعض يتمتم بإيماءةٍ على كلام الملكة، فاستغلت ذلك وأردفت:

- وإنْ كان قتيلًا كما أخبرتنا؛ فهذا دليلٌ على أنّك على درايةٍ بالأمر وأنّك مَن قتلته.

وهنا، لمحت أحد الجنود يهمس في أذن قائد الجيوش "موليس"، وبعد برهةٍ تقدم نحو الملكة وقال بصوتٍ عالٍ:

- أيّتها الملكة، لقد وجد الجنود جثة الحارس بالفعل قبل مجيئنا إلى هنا.

ظهر القلق أكثر على وجه الملكة الأرملة ووجه المستشار اللذين يبدوان أنّهما في قمة غضبهما من موت الملك، سمعت الملكة ما قال قائد الجيوش، ثم نظرت نحوي بعينين شريرتين، وحاولت أنْ تغيّر سير الحوار فسألت:

- لقد أخبرتنا منذ قليلٍ أنّ تنانينا لا زالت موجودة، فأنّى لكَ أنْ تكون صادقًا في حديثكَ؟

أجبتها في ثقةٍ:

- لديّ الدليل.

تساءلت:

- أين التنانين؟

أجبتُ:

- لن أخبركِ حتى تفكوا قيودي وتعطوني حريتي.

وقبل أنْ ترد الملكة بشيءٍ، تدخلت "فريسيا" قائلةً:

- اللعنة على التنانين، لقد أخبرتُكم أنّه ليس هو، كما أنّه ليس بساحر ليلقي تعويذته عَلَيّ ويتحكم في عقلي كما زعم البعض منكم. الملك كان والدي، وإنّني أكثر مَن يريد معرفة قاتل أبي؛ ولذلك أريد أنْ يخبرنا ذلك الغريب عن القاتل إذا كان يعرفه كما قال.

نظرتُ في عيني الأميرة، التي لا تشبههم في أي شيءٍ سوى أنّها من أسرةٍ ملكيةٍ، رأيتُ الدموع في عينيها، شاهدتُ روح الانتقام يشع من نظراتها، أحسستُ بكم الألم الذي تشعر به، ولذلك لن أكون السبب لأبدّل حالها الطيّب، لن أكون الرجل الذي جعلها تشبههم، وهنا قررتُ فعلًا المماطلة وقلتُ:

- بما أنّ الحارس قتيلًا في القصر، فما هو سوى وسيلة تنفيذٍ للجريمة، والقاتل الحقيقي هو مَن أمر بذلك، ذلك القاتل الذي يقف في وسطنا الآن.

أعاد الجميع نظرة الشك في بعضهم البعض، فابتسمتُ إثر ذلك، وأردفتُ:

- إنّه المستشار "تشيني".

وصلت الهمهمات والتمتمات حتى عنان السماء، هاج الجميع وماج إثر ما سمعوه، فقال العرّاف "أكاسيا" موجهًا حديثه نحوي:

- ولِمَ لا يكون ذلك كذبًا؟ محاولًا أنْ تتحذلق كي لا تدان، فما دليلكَ على ذلك؟

نظر نحوه المستشار بعينين صادمتين، كأنّه لا يصدق ما يقال أمامه فاستنكر قائلًا:

- لا أصدق أنّنا نجادل في ذلك، هل أنا مَن سيقتل الملك؟ ولماذا؟

هنا، قلتُ قبل أنْ يتحدّث أحد، معقبًا على كلام المستشار:

- لماذا؟ فهو دليلي الذي يطلبه مني العرّاف "أكاسيا"، ولن أخبركم بهذا السر حتى تعطوني حريتي.

قالت "فريسيا" مقترحةً، محاولة أنْ تتوصل في حلٍّ وسط لتفك هذه العقدة:

- قدّم لنا بادئة أيُّها الغريب.

رغم طيبة قلبها النقي إلّا أنّها ذكية، ولقد زاد إعجابي بشخصها فأجبتُ:

- حسنًا، سأخبركم بمكان التنانين.

سألت الملكة بنهمٍ شديدٍ:

- أين؟

قلتُ:

- ليس قبل فك قيودي.

بالفعل فكوا قيودي بأمرٍ من الملكة، وأنزلوني من الشجرة ثم

أجبتُ تساؤلات الجميع:

- في مكانٍ ما، في جزيرة سوداء، تكمن جنوب هذه المملكة.

جحظتْ العيون، وتوقفتْ الأنفاس، وفُتِحتْ الأفواه، رأيتُ في ملامحهم الصدمة، الخوف، والرعب حين سمعوا ذلك، ولم أعرف لِمَ السبب. نظر القادة إلى بعضهم البعض كأنّهم يعرفون شيئًا ما مهمًا، أبصرتُ على وجوههم علامات الذهول إلى أبعد حدٍّ غير مصدقين، أو لا يريدون التصديق. فقال العرّاف في روعةٍ من أمره:

- جزيرة الضباب؟

لا أعرف لماذا قالوها هكذا؟ ما سبب اندهاشهم؟ هل هناك سرٌّ في هذه الجزيرة كي يُصعقوا بتلك الطريقة؟ كيف لا يعرفون بأمر ذلك التنين الأسود في تلك المنطقة كل هذه السنين؟ إنّهم يحكون في خمسمائة عامٍ! ما هذا السخف الذي أعيشه الآن! تساؤلاتٌ كثيرة تدور في عقلي سأعرف إجاباتها في الوقت المناسب، الأهم الآن أنّني استطعتُ أنْ أجد مفرًا من ذلك المأزق الذي كنتُ فيه؛ ولذلك سأستغل قيمتي التي خلقتُها لنفسي في وسطهم، في أرضٍ غريبةٍ فيما يُخلج قلبي وكم أريد أنْ أعلم بأمره، نعم! أمر ذلك الطفل الذي أخبرتني عنه "فريسيا"، وقالتْ عنه إنّه كان يرتدي من الثياب مثلي، فتساءلتُ:

- أريد أنْ أرى ذلك الطفل الذي أمسكتموه مرتديًا ثيابًا مثل ثيابي.

غضب المستشار الذي أتهمتُه للتّو قائلًا:

- أيُّها الأحمق، أنتَ لستَ بموضع يحق لكَ أنْ تخبرنا بما تريد.

تدخل العرّاف "أكاسيا"، محاولًا تهدئة الأجواء، فحثّ المستشار على ذلك ثم وجّه حديثه نحوي وقال لي أنّ المستشار ليس بموضع اتهامٍ حتى يثبت ما أخبرتُهم به. ثم قال ما أوجع صدري وخلج قلبي وجعلني في موضع هزيمةٍ مقارنةً بما كان قبل وقتٍ من الزمن، لقد صدمني ما قاله العرّاف، لم أكن أتوقع ذلك أبدًا، لقد شعرتُ بالغضب والأسف كوني لا أتذكّر أي شيءٍ على الإطلاق، أحسستُ بالعجز والوهن بداخلي لا أعرف لماذا، لقد قال العرّاف لي:

- الطفل الذي تتحدّث عنه اختلط الآن ببقية الأطفال بعد أنْ ارتدى الثياب التي تخصنا، ولم يكن سوى الحارس المقتول "وينجي" الذي رآه بثيابه القديمة.

***

أبحرنا في سفينة لوردلاندية جنوبًا نحو الجزيرة نشق طريقنا عبر بحر "أوشا" المخيف، برفقتنا سفينتان أخريان، كانت السفينة الملكية التي بها الملكة وابنتها وبرفقتهم الحرس الملكي في المنتصف ما بين السفينة التي في المقدمة حيث برفقتي قائد الجيوش عابس الوجه "موليس" وجنوده. والسفينة الثالثة عند المؤخرة حيث تقل العرّاف "أكاسيا" والمستشار "تشيني"، وحراسهما.

لا أستطيع أنْ أفهم شخصيتي، كيف لا أشعر بالخوف حتى حين علمتُ بأمر حرقي مربوطًا في شجرة السحرة، كأنّني عالمٌ أنّني سأستطيع أنْ أجد المنفذ الذي سأخرج منه وبالفعل فعلتُ ذلك. لم أخف حين رفع قائد الجيوش سيفه ووجّهه نحوي وكاد أنْ يقتلني لولا أنْ تلقيت ضربة سيفه على ذراعي .. ذراعي الذي كسر سيفًا

مصنوعًا بأعتى وأقوى المعادن في المملكة الشمالية "لوردلاند". كيف لي بذلك؟ ما هو المميز فيّ كي أفعل ذلك؟ أم أنّني ساحر حقًا؟ لا أستطيع أنْ أقرأ أو أحلل تصرفاتي كأنّها تلقائية خارجة عن معرفةٍ عن ظهر قلب. كأنّني فعلتُ مثل هذه الأشياء سابقًا، كأنّني كنتُ قائدًا من قبل أو شيئًا من هذا القبيل. لم يرف لي رمش عينٍ إلّا في اللحظة التي قال فيها العرّاف أنْ الحارس "وينجي" الميت هو الوحيد الذي رأى ذلك الطفل بثيابه القديمة، هذا يعني أنْ لا أحد سيتعرف عليه بعد الآن، لن أستطيع أنْ أتعرف على ذلك الطفل، ماذا لو كان قريبي؟

لا أعلم لماذا اختلج قلبي حين سمعتُ قول العرّاف؟ مكثتُ على سطح السفينة بمفردي جالسًا في حزنٍ قاتلٍ، كأنّني فقدتُ حماسي وشغفي لما أفعله، كأنّني لم أعد أريد أنْ أنجو كما أردتُ أنْ أنجو من ضربة السيف أو من الحرق مربوطًا بشجرةٍ ملعونة، هذه اللحظة حين رفّ لي رمشي، هذه اللحظة التي شعرتُ فيها بالخوف أنْ أفقد هذا الطفل للأبد؟ ماذا لو كان ابني؟!

***

ألقتْ السفن مراسيها ورستْ على شاطئ الجزيرة، وصلنا بعد رحلةٍ دامتْ ثلاثة أيامٍ، ترجلنا من السفن، الجميع مذهولٌ ممّا ينظرون إليه، الضباب الأسود يغطي نور النهار ويحجب أشعة الشمس النافذة، منهم مَن رفض رفقتنا إلى داخل الجزيرة كالمستشار والعرّاف؛ خوفًا على سلامتهما ومعهما حرّاسهما الشخصية، في حين قرر البقية المجيء ينظرون نحوي؛ فأنا بمثابة الخريطة الوحيدة هنا، أعلمتُهم

عن الطريق المؤدي إلى ذلك الكهف، جعلوني في المقدمة مجبرًا، كان الجو هادئًا حتى الرعب، ثم وصلنا إلى وجهتنا المقصودة.

وهنا، حدث ما لم أتوقعه، لقد أمرت الملكة بالقبض عليّ؛ فقام الجنود بتقييدي، فقد أمرت الملكة قائلةً:

- آتوني برأس هذا الساحر.

جحظت عيناي، لا بسبب خوفي من فقدان حياتي بل خوفي من أن أموت قبل أعرف ذلك الطفل، قد أكون منقذه من هذه المملكة الملعونة التي لا تعرف سبيلًا للرحمة؛ ولذلك قررت أن أقدم على الفعل الذي رفضته منذ البداية مراعاةً لشعور الأميرة "فريسيا"، فتفوهت بأشد عبارة قاسية قد سمعوها منذ خمسمائة عامٍ.

- الملكة هي مَن قتلت زوجها الملك.

همهمات أخرى بين الصفوف، حتى صرخت الأميرة "فريسيا" في وجهي وكأنّها تحوّلت إلى شخصٍ آخر غير الذي اعتدته، بالطبع تفهمت ذلك إنّها أمها، وأنا اتهمتها بقتل أبيها، فقالت في غضبٍ:

- هل تتلاعب بعقولنا، أخبرتنا في البداية أنّ المستشار "تشيني" ثم تقول لنا الآن إنّها الملكة، ما الذي تنوي فعله؟

أجبت في هدوءٍ وثقةٍ وأجبت في منطقٍ؛ كي أدخل إلى عقولهم أكثر وأنقذ نفسي من هذا المأزق الذي لا ينتهي، وأوضحت لهم غياب الأميرين "أوش" و"جيرالدي"، فأخبروني بدورهم أنّهما ذهبا إلى مهمةٍ بأمرٍ من الملكة، فأوضحت لهم أنّ لا بدّ أن يكون هناك مبررٌ قويٌ كي تجعلهما الملكة غائبين بعد موت أبيهما مباشرةً، وأنّ هذا

المبرر القوي الذي يدفعها أنْ تفعل ذلك هو أنْ تجعل العرش شاغرًا لما قد تريده، ولاسيّما أنّ الأميرين ليسا بولديها؛ فهي تمقت أنْ يملك أحدهما. بدا الاقتناع على وجه الأميرة كما لو أنّها تعرف سابقًا أنّ والدتها الملكة لا تريد أحدهما على العرش. ثم بدأتْ أتوغل أكثر، فأخبرتُهم عن تلك النظرة التي كانت بين المستشار والملكة حين قبضوا عَلَيّ، وكأنّ هناك شيئًا مخفيًا. وكم دافعتْ الملكة عن ابنتها حين وجّهوا لها الاتهام رغم أنْ سيف الملك نفسه كان بيدها، لا بدّ وأنْ تعلم جيدًا أنّها بالفعل ليستْ ابنتها، إنّها هي نفسها بالمشاركة مع المستشار. بدا الاقتناع يُرسم على وجوههم، ولكن صرختْ الملكة غاضبةً وقالت:

- إنّني أغامر هنا بمصير مملكةٍ كبيرة ليس لها ملك بأنْ أخطو إلى هناك بقواتي في مكانٍ ليس من المفترض أنْ يخطوه أحدٌ على الإطلاق، أبحرنا بسفننا في بحر "أوشا" العظيم، وأتينا إلى هنا وراء ذلك التنين الذي أنتَ رأيته، لأنّ التنين هو قوة مملكتنا الحقيقية، فبامتلاكنا هذا التنين المدعو، قد يكون ما قاله الملك قبل أنْ يلفظ أنفاسه الأخيرة حقيقيًا، قد تكون النبوءة حقيقية بالفعل، فما يجعلني أصدقكَ في أمر التنين أنّ الملك قال أنّ أولى العلامات ظهرتْ؛ فبهذا التنين نستطيع أنْ نبيد أي عدوٍّ، ولن ننظر إلى نقضنا للمعاهدة الكبرى التي كانت بين الممالك الأربع. فهل مخاطرة مثل التي نخوضها الآن، وقد تؤول إلى حربٍ مع الممالك الأربع، بمثابة لعبة لكَ؟ كيف تتهمني بشيءٍ أحمق مثل هذا في وقتٍ تحتاج فيه المملكة إلى ملكٍ وتنينٍ والإمساك بقاتل الملك؟!

ابتسمتْ معجبًا بذكاء ودهاء هذه الملكة، رغم أنّني لا زلتُ أتساءل

عن ماهية هذا المكان "جزيرة الضباب"، ما هي تلك المعاهدة؟ ثم أردفت آمرةً قائد جيوشها "موليس" أنْ يقتلني على الفور، ولكن كلامها لم يغير تلك النظرة التي ترمق بها الأميرة والدتها، فصاحت الأميرة قائلةً:

- توقف.

وقبل حدوث أي شيءٍ آخر، كان قد أتي صوتٌ من بعيدٍ؛ فنظرنا جميعنا إلى مصدر الصوت، فتبيّن لنا أنّه العرّاف كان مصابًا في كتفه الأيسر بخنجرٍ!

اقترب نحونا، فدقق قائد الجيوش النظر في الخنجر، فأعلن أنّه خنجر المستشار "تشيني"، هنا جحظت عينا الملكة، ولاحظ الجميع ذلك، فتساءل قائد الجيوش:

- هل ما قاله الغريب حقيقيًا؟

وقبل أنْ تجيب الملكة، كان قد هجم علينا الجنود الذين كانوا تابعين للمستشار، وقتلوا عددًا من الجنود التابعة لقائد الجيوش؛ فدافعت قواتنا عن أنفسهم، كما أنّ هناك مَن اقترب نحوي محاولًا قتلي، لكني تفاديت سيفه الذي كان سينزله على رأسي، ثم لففت بجسده من حوله، فبوثبة واحدة كنت قد وقفت خلفه فتفاجأ هو بدوره.

وفي اللحظة التي ولّى نحوي، كنت انتشلت منه السيف في خفةٍ وغرزته في عنقه، ثم جاء آخر بسيف فبدأنا المبارزة، لم يصمد أمامي وقتًا طويلًا حتى أنهيته بجُرحٍ غائرٍ في منتصف رأسه، ثم

باغتني ثالث من خلفي، فدفعني فسقطت أرضًا على ظهري، وفي خفةٍ وقف فوقي وأمسك سيفه بكلتا يديه ليغرز سيفه في صدري، وكان قد دفع بجسمه إلى أسفله محاولًا غرز السيف بكل قوته، ولكن في سرعةٍ بديهة أمسكت بخفةٍ بكفيّ يدي حد السيف وأوقفته عن شق طريقه نحو صدري، نظرت في عينيّ ذلك الجندي فغضبت وكشرت عن أنيابي، فبحركةٍ واحدةٍ بكلتا يداي كسرت نصل السيف، وبقى في يدي الجزء الصغير الذي كسرته من نصل السيف، فاختل توازن الجندي وهوى نحوي إلى الأسفل، لكني تلقّيته بجزء نصل السيف الذي كان بحوزتي، ليشق طريقه نحو قلبه فبات جثةً هامدةً مفروشة فوقي تسيل الدماء منها، فدفعته إلى جانبي ثم نهضت من مكاني، فاندهشت حين كان الجميع يشاهدون ما فعلته، وبدا في نظراتهم علامات الانبهار.

ولكن حدث ما قطع ذلك الفخر الذي أطربت به نفسي من نظراتهم، لقد ظهر الخائن من العدم، تجلّى المستشار من بين الظلام مقتربًا نحو الأميرة موجهًا خنجرًا آخر نحو رقبتها، نظرت له الملكة في غضبٍ وسألته:

- ماذا تفعل يا "تشيني"؟!

انتبه الجميع لما قالته الملكة للتّو؛ فتوقفوا عن القتل ليستمعوا فليس من المفترض أنّ ملكة تنادي مستشار الملكة باسمه، فلاحظت الملكة تلك النظرات وحاولت أن تعدل ما قالته، لكن كان رد "تشيني" قاسيًا:

- لقد رأيت النظرات في عيونهم جميعًا، لقد دخل الشك في عقولهم

بسبب ذلك الغريب، إنْ كنتِ ستخرجين من ذلك المأزق كونكِ ملكةً، فلن أستطيع أنا إنّني لست سوى مستشارٍ، كما أنّني لست مغفلًا أنْ أنتظر حتى تحقيق ذلك، إنْ لم أخرج من هذا المكان فلن يخرج أحد.

رمقته الملكة بنظرةٍ غاضبةٍ بعد أنْ تفوه بأشياءٍ ليس من المفترض أنْ ينطق بها، لكنها أثبتت صحة كلامي وقالت:

- لكنها ابنتي أيُّها الأحمق.

فكان رد المستشار أشد قسوةً على الملكة:

- أليس مثل الأميرين اللذيْن ألقيتِ بحتفيهما إلى ضراوة فرسان التندرا؟!

هنا، كانت الصاعقة لجميع مَن لا زال واقفًا على قدميه لم يُقتل، لقد ثبتَ صحة ما قُلته لهم، نظر الجميع حولي ولكن ما كان يقلقني حقًّا هو الأميرة "فريسيا".

فصرخت الملكة:

- أيُّها الخائن.

ثم استلت سيف أحد الجنود المجاورين وركضت نحوه، فأحس "تشيني" بالنهاية؛ فرفع هو بدوره يده التي تمسك الخنجر ليُنزله في صدر "فريسيا"!

هنا، لم أستطع أنْ أتحمل قتل الأميرة بواسطة ذلك الخائن، صرختُ بكل ما أوتيت من قوةٍ، فحدثت زلزلةٌ في المكان الذي نقف

فيه، فاختل الجميع توازنه وركضتُ نحو الأميرة كي أنقذها رغم أنّني كنتُ بعيدًا، لكنني تفاجأتُ كما تفاجأ الجميع أنّني ركضتُ سريعًا بطريقةٍ لا يصدقها العقل البشري، ولا أعرف كيف إنّي سريعٌ هكذا؟!

وقبل أنْ أصل إلى ذراع "تشيني" الذي لن أصل إليه قبل نزول الخنجر في صدر الأميرة رغم سرعتي، ورغم حدوث هذه الزلزلة التي لم يسترعَ "تشيني" لها اهتمامًا، كان قد حدث شيءٌ آخر مهيبٌ، جعل الجميع يتملّكه الذهول وينظر حوله، ينظرون جميعًا نحو ذلك الصوت المرعب صوتٍ يبدو أنّه مألوفٌ لديهم، لم أهتم لذلك لكن ما أوقفني أنّ ذلك الصوت كان هو المنقذ الحقيقي الذي أنقذ الأميرة من خنجر "تشيني"؛ لأنّه توقّف هو بدوره ينظر حوله إلى مصدر ذلك الصوت، الجميع ينظر إلى الأعلى حيث الهواء.

نظرتُ بدوري إلى الأعلى لأعرف ماهية هذا الزئير المخيف، لقد كان خلفي محلّقًا في الهواء بجناحيه العظيمين، لقد كان أسود كسواد الليل البهيم، ضخمًا للغاية له ذيلٌ طويلٌ به حراشيف كبيرة، لقد كان فكه مليئًا بالأنياب الحادة، عيناه الحمراوان القاتمتان، صدره الذي يتوهج، لقد كان هو نفسه ذلك الشيء الذي نفث النيران حين كنتُ معه في الكهف، لقد فكّ قيوده التي دمرتُ إحداها حين صرختُ مثل هذه الصرخة التي صرختُها الآن، وحدثتْ حينها زلزلةٌ خفيفة مثل التي حدثتْ الآن. ولكن لم أهتم حينها إلى ذلك القيد الذي انكسر، لقد كان شغلي الشاغل حينذاك أنْ أهرب من براثن ذلك التنين حتى يأتي الآن .. ماذا؟ هل التنين أتى إلى هنا إثر سماعه لصرختي التي سمعها من قبل؟ هل تعرّف ذلك التنين الأسود الضخم المخيف عَلَيّ؟ لكن ما حدث قطع حبل أفكاري لقد حدث شيءٌ عجيبٌ سأظل

أتساءل عنه لطالما حييث، كيف ذلك؟ لقد وقف التنين بجواري يحاوطني بجناحيه كأنّه يحميني!!

سارة

لقد ذُهِلوا جميعًا حين رأوه مفروشًا على الأرض فاقدًا للوعي، أمّا أنا فتملّك مني الذعر شعرتُ بالخوف وعدم الأمان، لم أكن أعرف السبب وراء شعوري بالأمان حين أكون بجواره؛ ربما لأنّه الوحيد الذي يشبهني، ربما كما ظننا أنّنا من نفس الأرض الأخرى التي أتينا منها. شرعنا في هروبنا رغم أنّ أحدنا لا يعرف اسم الآخر، شعرتُ بالخوف حين أدركتُ أنّ الشخص الوحيد الذي يشبهني والذي سيساعدني في مغادرتي هذه الأرض مات، الموت هو الشيء الوحيد الذي أمامي الآن، حسب ما يقولونه فإنّ ذلك الرجل الذي تم عضه لن يفلت من هذه العضة، لقد تملّك الذئب منه ولعدم وجود بدرٍ في السماء ليتحوّل إلى ذئبٍ، فمن المؤكد أنّ جثته هي المفروشة أمامي.

لقد كانت بداخلي مشاعر مختلطة، لم أكن أعرف ماذا أفعل، ما الذي يجب أنْ يحدث بعد ذلك، ظللتُ ناظرةً للأسفل نحو ذلك الرجل، لم يكن هناك سوى دموعي التي ذُرِفت دون إرادتي، إنّهم ينظرون نحوي بنظراتهم التي لا تحمل سوى الشفقة ولا سيّما الملك، كأنّهم يؤازرونني لفقداني مَن قد يكون قريبي، ثم أمر الملك بحمل جثته إلى القصر الملكي الكائن بداخل الجبال.

***

- نشعر بالأسف لما حدث!

قالها الملك لي في حجرةٍ بداخل القصر ليؤازرني، فنظرتُ نحوه وبعد تفكيرٍ قلتُ:

- لو كنتُ عالمةً بهُويتي، لكنتُ عالمةً بهُويته، ولو كنتُ كذلك وكان هو قريبي لكان الوجع الذي بداخلي أضعافًا أضعافًا.

نظر نحوي بعينين مشفقتين ولم ينبس ببنت شفة، فأردفتُ:

- أحيانًا عدم تذكرنا لشيءٍ ما هو الأفضل لنا عن إجبارنا على نسيان أشياءٍ لن نستطيع أنْ نمحوها من ذاكرتنا بكل بساطة.

قال الملك بعد أنْ أشاح نظره موجّهًا إيّاه للأعلى حيث سقف الغرفة:

- لقد أصبتِ، الآن أتمنى أنْ أكون مثلكِ كي لا أتذكّر محاولة قتل أخي لي.

هنا استرعى انتباهي ما قاله الملك، فسألتُه:

- لماذا فعل ذلك؟

أجاب:

- يعتقد أنّني كنتُ غير صادقٍ معه في توريثه العرش، لا أعرف مَن أدخل هذه الفكرة في عقله، ولماذا يعتقد أنّني فاعلٌ ذلك؟ ليس هناك لي نسلٌ لأورثه المُلك ليس لي أحدٌ سواه.

فكرتُ مليًا في كلامه، وظننتُ شيئًا ما لكنه خطيرٌ بعض الشيء، فقلتُ له:

- لقد أصبتَ في شيءٍ واحدٍ ممّا قُلته، وبناءً عليه عليك ألا تفكّر لماذا يعتقد أخوك ذلك؛ لأنّك مهما فعلتَ سيبقى معتقدًا ذلك بل عليكَ أنْ تفكّر في مَن قد يكون ملأ عقله بتلك التُرهات، واستغل غيابه

بعيدًا عن أخيه الملك.

استرعى حديثي ذهن الملك، وأخذ يفكّر مليًا في حديثي، ودخل الشك قلبه فتساءل:

- من قد يفعل ذلك؟ ولماذا الفاعل يريد من أخي أن يكرهني؟

سألته مباشرةً:

- هناك أحدٌ يطمع بالعرش؟

نظر الملك نحوي بنظراتٍ ثاقبة وأخذ في التفكير، ثم قال:

- لن تكون هي .. مستحيل!

سألته في فضولٍ:

- مَن تقصد؟

أجاب:

- ابنة عمى "كلارا"، لطالما ألّحت أن تتزوجني كي تحمل مني أطفالًا يورثون العرش بدلًا من أخي.

ثم جحظت عيناه كأنّه جال في عقله شيءٌ فقال:

- أيعقل أن تفعل ذلك بدافع الانتقام مني؟! لطالما رفضت حبها لي.

أجبته:

- الحب يصنع المعجزات، كما أنّه يدمر الحيوات.

أعاد هيبته الملكية، ثم قال في حزمٍ وقوةٍ:

- عَلَيّ أنْ أصحح كل ذلك.

ثم نادى حراسه وأمرهم بالقبض على "كلارا"، وغادر الغرفة. رميتُ نظرةً أخيرةً لمَن كان أملي الوحيد في الخروج من هذه المملكة، ولكن كما يبدو الحال إنّني علقتُ هنا إلى الأبد، فكما يبدو الوضع أنّ أمري تبدّل من شخصٍ كان يضع أمله في شخصٍ آخر لا يعرفه حتى؛ كي يخلصه من هذه الثُرهات التي أعيش فيها لشخصٍ آخر يفكّر مع الملك مَن قد يفعل هذا به، لشخصٍ يفعل الثُرهات ذاتها.

***

بعد مرور وقتٍ من الزمن، جاء الحراس مقِيدين "كلارا" بالسلاسل في الغرفة الملكية التي بُني عليها العرش الجبلي الخاص بمملكة "نانيوس"، ذلك العرش الذي كان يعتليه حينها الملك، فأبصر "كلارا" بنظرةٍ حاملةٍ الكثير من المشاعر لا يعرف الملك إنْ كانت صدمةً، أم حزنًا، أم غضبًا، لقد رأيتُ ذلك في عينيه حين رآها، فوجّه إليها الحديث قائلًا:

- كيف تفعلين بي هذا، هل تنتقمين بسبب رفضي حبكِ لي؟

رمقته "كلارا" بنظرةٍ كانت تحمل نفس المشاعر المختلطة، لكني أراها أكثر حرقةً من الملك، فما قاله الملك لها كان بمثابة سيفٍ حادٍّ شقّ طريقه في صدرها. لطالما شعرتُ أية فتاةٍ بالإهانة حين تُذل بحبها لشخصٍ ما. فما ذنبها ليفعل بها ذلك؟! ما ذنبها ليقول لها هذا الكلام أمام الجميع؟!

لم تنبس "كلارا" ببنت شفة، وإنْ كنتُ مكانها لفعلتُ نفس الشيء؛

وهو ألّا أفعل شيئًا أسمع وأحترق بداخلي دون أنْ أُخرج ما يغلي بالداخل؛ حتى لا أحرق كل مَن يحاول الاقتراب مني سواء كان له ذنب أو لم يكن. حينها، زاد غضب الملك وأمر بحبسها في السجن بعيدًا عن الزنزانة التي يحبس فيها أخوه الأمير "أنطور".

لقد أخذها الحرّاس إلى السجن ومكث الملك حزينًا على عرشه ليس معه سواي، فوجدتْ نفسي مجبرةً أنْ أدنو منه لأواسيه. وبالفعل، فعلتُ ذلك بقولي له:

- ما كانت ستتحدّث أمام الجميع، اذهب وتحدّث معها في سجنها، ستجدها أخرجتْ كل ما يحترق بالداخل، فقط لتطفئه أنتَ كي لا تشتعل النيران؛ إنّها تريد ذلك بشدة.

نظر نحوي الملك متسائلًا عاقدًا حاجبيه:

- أنّى لكِ أنْ تعلمي بذلك؟

ابتسمتُ له وأخبرتُه:

- لأنّها فتاةٌ مثلي، نحن الفتيات نحترق بالداخل ولا نُخرج ما يغلي للخارج حتى نجد مَن يطفئه كي لا تشتعل النيران، فقط حين نجد الشخص الذي نريده أنْ يُطفئ ذلك.

قصدتُ أنْ أكرر حديثي له حتى أسترعي انتباهه، ولكي لا يفعل شيئًا أحمق معها فيزيد الطين بلة.

***

خرج ذاهبًا إليها قاصدًا السجن، ثم مكثتُ بمفردي في القاعة

الملكية، أخذ التفكير يغزو عقلي، فكّرتُ في كل ما مرّ بي حينما وصلتُ إلى هذه الأرض، كم تساءلتُ مَن أنا؟ من أين؟ هل لي أقارب؟ إنْ ظلّ هذا الغريب على قيد الحياة وإنْ لم يعضه الذئب في ليلةٍ عاتمةٍ، هل من المفترض أنْ يكون سندًا لي كما كنتُ أتخيل؟ هل هو من أقاربي؟ هل كنتُ واقعةً في حبه وهو لم يكترث؟ ماذا لو كان ذلك؟ ماذا لو تذكّرتُ كل شيءٍ بعد أنْ يفوت الآوان؟ ما فائدة ذلك بعد أنْ مات؟ يا ليت ما كان الذئب عضه! يا ليته ما كان قابل ذلك الشخص الذي أوهمه في قتله للذئب أنّه سيعود كما كان.

هنا، وعند هذه اللحظة توقفتُ عن التفكير، تذكّرتُ ما انتشل عقلي من بئر التفكير، لقد تذكّرتُ ما قاله لي ذلك الغريب حين ذهبتُ إليه في السجن عندما قال لي: "وعدني أحدهم أنْ أقتل ذئبًا كي أعود كمان كنتُ" هي نفس العبارة التي سمعتُها حين خرجنا سويًا عند قمة الجبل، عندما شهر "أنطور" السيف على أخيه فقال له: "سأقتلك أيُّها الذئب، كي يعود كل شيءٍ كما كان".

أشعر أنّ الجملتين مرتبطتان ببعضهما، كما لو كان مَن قالهما هو ذات الشخص؛ ففكّرتُ أنّ مَن قابله ذلك الغريب قبل القبض عليه هو نفسه "أنطور"، ولا سيّما حين كان ذلك الغريب يرغب في صعود الجبل حين سمع أصوات المجادلة، وكأنّه سمع ذلك الصوت مِن قبل، وحين صعد كان الأمير "أنطور".

انتفضتُ من مكاني حين انتشلني من تفكيري صوت خطوات الحارس الذي اقترب نحوي متلهفًا وقال:

- ذلك الغريب الذي عضه الذئب لا زال على قيد الحياة.

***

ركضتُ مهرولةً لأخرج من القاعة، لا أعرف ما سر سعادتي حين علمتُ بأنّه على قيد الحياة، وكأنّه عاد شعوري بالأمان مرةً أخرى، وكأنّ أملي عاد في رغبتي لأغادر هذا المكان، ولكن هناك مَن اعترض طريق هرولتي لقد باغتني الملك حين رجع من السجون، كان هو الآخر ليس على سجيته؛ جامد الملامح فقال لي:

- لقد هرب أخي من السجن.

جحظتْ عيناي، واستوقفني ما سمعته لبرهةٍ، اختلط شعوري بالسعادة بشعوري بالقلق؛ لأنّ سجون الملك من الصعب الهروب منها إنّها كالمتاهة لا أحد يهرب سوى لو حصل على مساعدةٍ كما فعلتُ مع الشخص الغريب، فقلتُ:

- أو أحدٌ ما ساعده على ذلك؟!

فقال الملك بعد أنْ لمحتُ على وجهه الشعور بالارتياح، ولقد عملتُ وراء هذه الشعور:

- هل هذا يعني أن...

قاطعته قائلةً:

- نعم، مَن حثّ أخاك على قتلكِ هو مَن ساعده على الهروب، و"كلارا" ليس لها علاقة بالأمر.

أغمض عينيه ليعلن عن شعوره الذي كان يحاول أنْ يخفيه، ثم أردفتُ في لهفةٍ:

- ذلك الغريب لا زال على قيد الحياة، وأشعر أنّه في خطرٍ، لقد قابله أخوك قبل أنْ يحاول قتل الذئب، وأخوك هو مَن حثّه على ذلك.

كادتْ أنْ تخرج مقلتاه من جفنيه، فقال في قلقٍ:

- هيّا فلننقذه.

ثم هرولنا قاصدين الغرفة التي بها الشخص، وصلنا ودلفنا ثم حدث ما كنتُ أخشاه؛ لقد وجدنا "أنطور" يحاول أنْ يقتل الغريب خنقًا فقد كان باركًا عليه، والغريب يحاول التملص من تحته وهو ممتدٌ على سريره وفراشه الصغير المملوء باللحاف.

لقد أمر الملك سريعًا القبض على أخيه؛ فانتبه "أنطور" وحاول أنْ يهرب لكنهم تمكنوا منه فتساءل:

- كيف عرفتَ أنّني هنا؟!

نظر أخوه الملك له بنظرةٍ متوعدةٍ، ثم وجّه بصره نحوي وقال:

- المختارة هي مَن ساعدتني على ذلك.

ثم أردف موجهًا حديثه لي:

- لولا مساعدتكِ للغريب في الهروب، ما كنتما ستتحدّثان إلى بعضكما، وما كنتُ علمتُ للتّو ما يحدث الآن لي من خيانة.

كان الغريب يتأوه على فراشه ثم فقد الوعي نتيجة إجهاده لما حدث، ولكن لا زلتُ أتساءل كيف على قيد الحياة؟! ثم قطع تفكيري سؤال الملك الحازم الحاسم الذي وجّهه لأخيه بقوةٍ:

- مَن الذي ساعد على هروبكَ؟ مَن وراء تحريضكَ لقتلي؟

أجابه "أنطور" في غضبٍ:

- لقد كبرتَ يا أخي، وما عدتَ تصلح للحكم، حتى مَن حولكَ يعرفون ذلك جيدًا؛ ولذلك منهم مَن خانكَ.

غضب الملك بعد أنْ فاض به وقال منفجرًا في أخيه:

- لقد أخبرتُكَ سابقًا أنّني أريدكَ على العرش، وأنتَ مَن رفضتَ، كيف لكَ تقول لي هذا الآن؟

قال "أنطور" الإجابة التي كنا ننتظرها:

- إنكَ كاذب! لقد أخبرني مستشاركَ بالحقيقة.

استنكر الملك مصدومًا:

- مستشاري؟!

وهنا، علم الملك أنّ مستشاره "تاهو" هو مَن كان وراء كل ذلك، لطالما طمع في الحكم، لكن لم يكن يريد الملك أنْ يراه سوى أنّه المخلص الذي كان يخاف دائمًا على مصلحة المملكة ومَن الأحق بالعرش ليكون خليفته، دائمًا نظر الملك إلى هذا الأمر هكذا.

هذا ما عرفته في وقفتي معهما في هذه الغرفة بجوار الغريب فاقد الوعي الذي كان يعالجه الحكيم أثناء جدالهما، وسرعان ما فهم "أنطور" أنّ كل ما حدث له ما هو إلّا خطةٌ كانت محكمةً من المستشار ليجعل الأخوان يتصادمان ويتقاتلان؛ فيظفر هو بالحكم.

دائمًا يكون المُلك عرضةً للطمع حين يكون المَلك منقطع النسل،

وهنا أمر الملك جنوده بالبحث عن الخائن "تاهو" والقبض عليه بتهمة الخيانة، لكن لا وجود له في القصر، لقد هرب بعد أنْ ساعد "أنطور" في الهرب، لم يكن يعرف أنّ الأخير سيعود إلى الرجل الغريب ليحاول قتله كي لا يعترف للملك عن هُوية مَن جعله يقتل ذئبًا، ولكن كل ما حدث حدث ليُكشف الأمر.

سامح الملك أخاه ووعده أنْ لو فعل ذلك مرةً أخرى لن يغفر له وستكون العاقبة وخيمة إلى أبعد حدٍّ، ثم هدأت الأجواء وقلّ التوتر الذي ساد القصر، ولكن لم يكن ذلك سوى هدوء ما قبل العاصفة؛ لقد دخل بعض الجنود إلى قاعة العرش حين كان ثلاثتنا يتجادلون حول مصير الذئاب التي شارفت على الانقراض، وكيف سأساعد على ذلك بما أنّني المختارة كما يظنون.

ولكن بالفعل لا أعلم أي شيءٍ، ولا أعرف ما هو المفترض الذي أفعله كي أنقذ ذئابهم، أتى الجنود في خوفٍ ورعبٍ ظاهرٍ على وجوههم، حيث قال أحدهم:

- لقد ظهر وحشٌ من العدم، جاء من الهواء، لقد أنهى على نصف ذئاب المملكة التي تربض عند سفوح الجبال الحمراء!

***

وصلنا إلى الجبال الحمراء، كان الملك في أقصى درجات غضبه مختلطًا بحزنٍ كاد أنْ يقتله، لقد شعر أنّ أمله في النبوءة ضاع.

فعند وصولنا إلى سفوح الجبال كي نعرف ماهية ذلك الوحش الذي أنهى على نصف الذئاب، وجدنا أنّ الذئاب لم تُقتل كلها بل

حُرِق نصفها وتم التهام النصف الآخر! لم يكن ما شاهدناه سوى صدمةٍ عصفت بعقولنا، ما ماهية ذلك الوحش الذي يظهر من العدم ليفعل كل هذا؟! لقد شعرتُ بالخوف، لقد تملّك الرعب قلبي، صعدنا إلى الجبل ومعنا "أنطور"، سمعنا زئيرًا آتيًا من أعلانا في الهواء إنّه هو لقد أبصرناه ذلك الوحش، لقد جحظت عيناي، كيف ذلك؟! ما الذي أراه؟! إنّه ليس بحقيقة؟! ما أعرفه أنّه أسطورة خيالية، حتى لو لم أعد أتذكّر شيئًا، لكن هناك أشياء أجدني أعلمها تلقائيًا .. إنّه تنينٌ .. تنينٌ رماديٌ ضخمٌ يطير بجناحيه ليشق الهواء ينفث من فمه النيران!

وهنا، أعلن الملك عن غضبه، لم أره من قبل بقوة هذا الغضب حتى عندما كان أخوه يحاول قتله لم يغضب مثل ذلك الغضب، لقد صرخ قائلًا:

- كيف عادث التنانين؟! لقد طارث فوق بحر"أوشا" حتى وصلث هنا، إنّ مملكة "لوردلاند" أعلنث الحرب علينا.

رأيث على وجهه علامات الهزيمة التي علم بها حين رأى التنين في وقتٍ أشرفت فيه الذئاب على الانقراض، ولكن حدث ما قطع تأملي في ملامح الملك، حدث شيءٌ مهيبٌ آخر لفت أنظارنا جميعًا، حتى لقد جعل الملك يحيل غضبه إلى الصدمة، لقد حدث شيءٌ حوّل شعوره بالهزيمة التي رأيتها على وجهه إلى أمله في الرد على مملكة الشمال وبقوةٍ، لقد حدث ما سيجعل مملكة الشرق تخوض حربًا ستنتصر فيه بلا شكٍّ.

أبصرنا جميعنا ذلك الغريب واثبًا شامخًا على قدميه، كأنّه لم يكن

فاقدًا للوعي واقفًا وسط العشرات من الذئاب البيضاء ينظرون نحوه في مهابةٍ كأنّه قائدهم!

نوح

لقد صُدِمتُ ممّا أسمعه كيف .. مَن أنا؟ إنّ "فهمي" يسألني مَن أنا؟ لماذا يتظاهر أنّه لا يعرفني؟ أم أنّه يقصد أنْ يفعل ذلك لخطةٍ ما في عقله، لطالما عرفتُه أنّه كذلك مثل ابن أخته "آدم".

نظرتُ عميقًا في عينيه كي يعطيني أية إشارةٍ تجعلني أفهم منها أنّه يخطط لذلك، أم أنّها المصيبة الكبرى وهو أنّه يفعل ذلك متعمدًا، لا لخطةٍ ما لينقذني وينقذ نفسه بها، بل ليبيعني لهم ويكتسب نقطةً لتجعله في صفهم وينقذ نفسه فقط؟

يا لها من أنظمةٍ إلكترونية حمقاء تلك التي بداخلنا، إنْ استمررتُ في فعل ذلك الاختلاط الذي أنا فيه ستتلف بعض الدوائر بداخلي، إنّني أعطي لدماغي أكثر من أمرٍ للبت فيه في ذات اللحظة، وهذا ما يفعله البشر دون أنْ يشعروا بتلفٍ في أنظمتهم، ليس سوى إجهادٍ فكري فقط وصداع بالرأس.

توقفتُ عمّا أفعله وقررتُ أنْ أساير فهمي؛ لعل ظني به بالخير هو ما سيفعله، فأجبتُه:

- إنّني لست من هذه الأرض.

تحدّث مستشار الملك قائلًا:

- نعرف هذا، إنّك مِن مملكة "لوردلاند"، مَن الذي دفعكَ لقتل الملك؟ لماذا مملكة الشمال تريد من ملكٍ مريضٍ على مشارف الموت قتيلًا؟

أجبتُه:

- ليس هناك مَن دفعني، في الحقيقة إنّني لست من مملكة الشمال، ولا أعرف عمّا تتحدّثون عنه، لقد قذفني البحر إلى هنا.

اقترب "فهمي" نحوي وقال في حزمٍ وملامح جامدة:

- الإنكار لن يفيدكَ أيّها القاتل، إنْ كان هذا تحديًا من مملكة الشمال فسيكون رد مملكة الغرب هو إرسال رأسكَ إليهم.

رمقته بنظرةٍ جاهلةٍ لا تعرف ما وراء تلك العينين الجامدتين اللتين على جبهته، حيث بدأتْ أشك في ظني الآخر، ولكن لماذا يفعل ذلك؟ هل من طبيعة البشر هو أنْ يبيع الصديق صديقه مقابل أنْ ينقذ نفسه ويضرب بكل ما كان بينهما عرض الحائط لمجرد أنْ شعر أنّ حياته على مشارف النهاية؟

ثم عادتْ الملكة تصرخ منهمرة دموعها، وقالتْ في غضبٍ عارمٍ:

- اقتلوا القاتل حالًا وأرسلوا رأسه لمملكة الشمال.

تساءل الأمير "أفاريس" ابن أخ الملك:

- هل أنتِ متأكدة من ذلك؟

أجابتْ في صرخةٍ أشد غضبًا:

- اقطعوا رأسه، وسأجلب الحرب لمملكة الشمال، سأبيدها عن بَكْرة أبيها.

هنا، تيقنتْ من شكي، لن أساير أحدًا بعد الآن، عَلَيّ أنْ أفعل ما أفعله كي أنقذ نفسي، وبالطبع لن أخبرهم عن هُويتي الحقيقية كوني آليًا، فصرختُ قائلًا:

- اسمعوا جيدًا، لم أقتل الملك لقد كانت زوجته.

نظر الجميع نحوي في استنكارٍ، ولكن ما قلته كان بمثابة شرارةٍ أخرى لأشعل بها غضب الملكة؛ فصرخت غاضبة:

- كيف تتهمني بذلك أيُّها الأحمق؟! ماذا تحاول أنْ تفعل أيُّها الأحمق؟

هنا، استوقفت لحظاتٍ وفهمت ما تقصده فأجبت:

- ليس أنتِ، إنّها الزوجة الأخرى.

جحظت عينا الملكة وقالت متسائلةً محاولةً أنْ تستوعب ما قلته للتّو:

- زوجته الأخرى.

أجبتها:

- نعم، أقصد مَن كانت زوجته، الآن هي وصيفة، أو كانت تمثل أنّها وصيفة لا أعرف هُويتها حقًّا، لكن اسمها "بيجونيا".

تحجرت عينا الملكة في مكانهما، وتوقفت أنفاسها، وساد الصمت في المكان، ثم قالت باستنكارٍ:

- "بيجونيا"؟ كانت زوجته؟

ثم أكملت ما في جُعبتي قائلًا:

- وكانت حريصةً كل الحرص على الرسالة الملفوفة التي كانت بيدها كأنّها سرقتها، أو كأنّ تلك الرسالة كانت حقًّا لها مسروقًا

واستردته. هذا ما تجلّى في فكري حين رأيت ذلك.

غاصت الملكة "نيميسيا" في بحر أفكارها الذي رأيته على ملامح وجهها، أرى وجه المرأة البشرية حين يدلف في كيانها بداية الشعور بالخيانة، ذلك الشك الذي يعصف بوجدانها.

ساد الصمت في المكان حتى قطعه الحارس الذي دخل ومعه ما ساعد على إنقاذي من هذا المأزق، لقد جاء قائلًا:

- لقد أمسكنا الوصيفة صديقة "بيجونيا"، تحاول الهروب بعد أنْ نجحت الأخيرة في ذلك.

تحوّل المقت الذي بدا عليها إلى الغضب حين أمرت بسجني و"فهمي"، حين طلبت الوصيفة للاستجواب؛ كي تتأكد من صدق كلامي أولًا قبل التسرع في أمر قتلي.

***

في نظرةٍ جامدةٍ لا تعبر عن أي شيءٍ على الإطلاق سوى أنّها ثابتةٌ نحوي دون أي هدفٍ، ودون أنْ أفهم لماذا يفعل ذلك؟ حتى بدأتُ أقول لنفسي أنّه ليس هو الذي عاشرته، هذا ليس بـ "فهمي"؛ حيث كنا مسجونين منذ ثلاثة أيامٍ لا نعرف ما حدث للوصيفة، مسجونين مع بقية المساجين في ذات الزنزانة الكبيرة المقسمة إلى عدة أقفاصٍ حديدية مصنوعة بقضبانٍ قوية جدًا، صامدة إلى أبعد حدٍّ، لا يستطيع البشري أنْ يطويها بيديه، كما أنّ أيدينا مقيدة بسلاسل كل ثلاثة منا في قفصهم، فسألته:

- هل كنتَ تحاول أنْ تنقذ كلانا؟

رمقني "فهمي" بنظرةٍ غريبةٍ غير مألوفة، وقال ما جعلني أمقت البشر حقًّا:

- هل أعرفكَ كي أنقذكَ؟!

استنكرتُ:

- ماذا؟!

قال:

- كما سمعتَ.

فقلتُ:

- فهمي، ماذا تحاول أنْ تفعل؟!

استنكر بدوره:

- فهمي؟!

استوقفتُ برهةً من الزمن أحاول أنْ أعيد ذاكرتي وأستعيد كل ما حدث، ثم تجلّى في فكري شيءٌ عَلَيّ أنْ أتيقن منه أولًا، فوليتُ نحو السجين الثالث الذي يشاركنا قفصنا، وانتبهتُ أنّ ملابسه مثل ملابسي القديمة، وملابس "فهمي"، فسألته:

- ما اسمكَ؟

رفع نظره نحوي وأجاب:

- لا أتذكّر شيئًا.

وهنا، تيقنتُ ممّا فكّرتُ فيه؛ فأدرك "فهمي" الأمر سريعًا، وشعر

لوهلةٍ أنّه بالفعل لا يتذكّر شيئًا بعد أنْ قال:

- مَن أنا؟ كل ما فعلته كان محاولةً لأنقذ نفسي حين شعرتُ بالموت القريب مني.

هنا، تنفستُ الصعداء كما يفعل البشر، وأدركتُ أنّني ظلمته قليلًا، وأنّ ما فعله ليس له يدٌ فيه، إنّه فاقد الذاكرة، فسألني:

- مَن أنتَ؟

وهنا، أجبته ليس باسمي فقط، بل أوضحتُ له أنّه صديقي، وأنّ له ابن أخت يُدعى "آدم"، وأخته "سارة"، وزوجته "مريم"، وابنيهما "يوسف" و"وعد"، فلمعتْ عيناه حين علم أنّ له أهلًا. كما أخبرته أنّ هذه ليستْ أرضنا ويبدو أنّنا في أرضٍ أخرى بعالمٍ آخر، فأعلمته بالحدث الذي حدث وكان سببًا في مجيئنا إلى هنا وقذفنا إلى بحر "أوشا"، الذي بدوره رمانا في مملكة "كانغور" وكيف جئنا إلى هنا.

ومن هنا، بدا لي أنّه لا يصدق ما أسرده له، فاستنكر في بعض الأشياء، وسخر من أخرى، فباغتني بسؤالٍ:

- إنْ كان هذا حقيقيًا، فكيف لكَ أنْ تتذكّر كل شيءٍ دوننا؟

هنا، صمتُ قليلًا وفكّرتُ قبل أنْ أجيبه، وفضلتُ ألّا أجيبه على هذا السؤال في هذه اللحظة قريبًا من كل الآذان التي قد تسمعني؛ فأنا لا أريد أنْ أفصح عن هُويتي الأساسية في عالمٍ لم أعرف حقًّا كيف سيتعامل مع هذا الأمر، ولا سيّما إذا أستجوب أحدهم مِمَن معنا في هذه الأقفاص، إنّني أثق بـ "فهمي" لكن لا أعرف البقية، فلاحظ صمتي وقال متهورًا:

- هذا لا يعني سوى شيءٍ واحدٍ، وهو أنّ جميع مَن في الأقفاص هنا مِن نفس الأرض ما عدا أنتَ المختلف، وهذا يعني أنّك قد تكون عدونا لاختلافكَ عنا جميعًا وتحاول أنْ تجعل الأمر لصالحكَ، كونكَ الوحيد المتذكر.

هنا، ندمتُ -كما يقولونها البشر- لكوني فكّرتُ فيما فكّرتُ فيه منذ لحظاتٍ، ونظرتُ إلى "فهمي"، كم أريد أنْ أفقده وعيه الآن حتى أرتاح من كل شيءٍ أخشاه. ولكن في الحقيقة لم أجد أمامي سوى أنْ أخبره بما أريد أنْ أخفيه عنه مؤقتًا؛ خوفاً ممّا قد يفعل شيئًا أحمق مثلما فعل.

- إنّني لستُ ببشرٍ، أنا آلي؟

استنكر بسخرية، فأوضحتُ له باختصار عن كوكب الأرض والآليين والبشر، وبطبيعة الحال لم يصدقني، ففكّرتُ قليلًا فيما أقدمه له كي أجعله يصدقني فلم أجد سوى شيءٍ واحدٍ فقط، كوننا مساجين داخل أقفاصٍ، وبكل بساطةٍ أبعدتُ يداي عن بعضهما فانكسرتْ القيود، ولكن دون أي رد فعلٍ من "فهمي"، فأمسكتُ قضبان القفص الحديدية الصلبة، وطويتها بيديّ العاريتين، ولكن لا زال جامد الوجه فغضبتُ، ثم كورتُ يدي لأجعلها قبضةً، ثم ضربتُ بكل قوتي قضبان القفص الذي كنا بداخله فدمرته عن بَكْرة أبيه، وأصبح ثلاثتنا غير مسجونين.

وهنا، كان الانبهار، حتى انتبه لأصل يداي التي لم تعد كما كانت، لقد ظهر ما تحت الجلد، إنه ليس لحم ودم، بل فولاذ قوي! وهنا صدّق كل شيءٍ قصصته له، وصارت ضوضاء بالزنزانة، حين شاهد

الجميع ما فعلته، لقد حدث عكس ما كنتُ أخطط له تمامًا، ثم جاء جميع الحراس بعد أنْ فتحوا بوابة الزنزانة بما فيهم مَن شاهد منذ البداية ما فعلته، فأخذ يردد أحدهم:

- سيحطم القيود!

فقال آخر لثالث:

- لا بدّ وأنْ تعلم الملكة بذلك الأمر .. قد يكون هو.

***

امتثلنا أمام الملكة في القاعة الملكية حيث تدور فيها الأمور السياسية التي تخص المملكة، كانت جالسةً على عرشها المرصع بالذهب، وأعلاه رسمةٌ لثعبانٍ ذي ثلاثة رؤوس منحوتًا من العاج الثمين، كانت بملامح مختلفة عمّا كانت عليه منذ ثلاثة أيامٍ؛ إنّها تمتاز بالبشاشة لا البشاعة التي كانت عليها، حيث نزلت من عرشها مقتربةً نحوي وقالت لي:

- إذن، أنتَ الموعود.

استنكرتُ:

- موعود؟!

أجابتْ:

- لقد حطمتَ القيود، وهذا أول علامةٍ تظهر من النبوءة التي نؤمن بها منذ قرونٍ، ولم تظهر أية علاماتٍ حتى فعلتَ أنتَ ما فعلته.

حاولتُ أنْ أستوعب ما أسمعه، كيف أقنعهم أنّني لست من هذا

العالم؟ وأنّني من كوكبٍ آخر اسمه الأرض، كيف أخبرهم أنّني فعلتُ ذلك ليس لأنّي موعودٌ وصاحب نبوءة، بل لأنّني آلي ولست بشريًا؟ كيف سيفهمون هذا؟ وكأنّني في مأزقٍ آخر كأنّه أشد خطورةً من السابق، فكونهم يؤمنون بي أنّني موعودٌ بفعل أشياء لهم، وفي الحقيقة لا أعرف ماذا أفعل، فإنّها مسئولية قد تُبيد جميع بني جنسي الذين قذفهم البحر إلى هنا مثلي ولا أعرف أين هم؛ فتلعثمتُ في الحديث قائلًا:

- ولكن .. أنا...

قاطعتْ كلامي وسألتْ:

- أخبرتنا ما الذي أتي بكَ إلى هنا؟

أجبتُها:

- البحر.

ابتسمتْ ابتسامةً جميلة توحي بالحيوية وقالتْ:

- أرأيتَ، إنّها بالنسبة لي شخصيًا بمثابة علامة أخرى، إنّنا نريد حقًا أحدًا آتيًا من البحر، ليدخل إلى أعماق البحر.

انعقد حاجباي غير فاهمٍ ما تخبرني به، نظرتُ نحو "فهمي" بجواري وبدا لي أنّه قد عاد إلى شخصية "فهمي" المعتادة ولكن دون ذاكرته لا يهم ذلك، المهم أنّه عاد صديقي كما تآلفنا، فوجّه لها كلامه قائلًا:

- ما الذي يجعلكِ تعتقدين أنّه الموعود؛ فظهور علامةٍ واحدة ليس

بدليلِ أنّه الموعود، قد يكون مصادفةً.

أرى بالفعل أنّ "فهمي" الذي اعتدته قد عاد بأسئلته، وحذلقته، وذكائه المعتاد الذي ورّثه لـ "آدم".

حدّث الملكة من صوتها وقالت:

- ظهور علامةٍ واحدةٍ بعد أكثر من خمسة قرونٍ ليس صدفةً على الإطلاق، إنْ كان الأمر صدفةً لكان حدث بالفعل عدة مراتٍ سابقًا. هل تريد منا أنْ نصدق أنّ أول علامةٍ تتحقق أمام أعيننا بعد انتظارنا خمسة قرون أعتبرها صدفة؟ يا لي من ملكةٍ غبيةٍ حمقاء!

أرى أنّ لديها وجهة نظرٍ قوية؛ فمسبباتها راسخة وأشبه أنّي مقتنع بما قالته، فحاول "فهمي" ألّا يستعجل الحكم كعادته وقال لها:

- ماذا تقول النبوءة؟

فذكرتها أمامنا قائلةً:

"سيركض في سرعةٍ كالوحش الناري وسط الظلام؛ سيحطم القيود ليجلب الدمار، حينها سيكون الجميع واحدًا."

ففهمنا لماذا ربطوا النبوءة بي بعد ما فعلته، ثم تابعت تفسر لنا النبوءة وما المطلب منها، وكيف يريدون أنْ ينقذوا مملكتهم من التهام الوحش الثعبان لها، الذي هو نفسه أوفى صديقٍ لها وسر قوتها وغناها. وفهمنا أنّه لتحقيق ذلك على الموعود أنْ ينزل إلى أعماق البحر؛ كي ينقذ جيش الموتى الذي هو في الحقيقة في حراسة الثعبان الوحش، الذي من المفترض أنْ نحمي المملكة منه.

إنّها أشبه بأعجوبةٍ مستحيلةٍ إلى أبعد حدٍّ، ما تقوله لنا الملكة هو الجنون نفسه، وكأنّ الوحش مُصرٌّ على دماره للمملكة، فقلتُ في يأسٍ:

- إنّنا لسنا من هذا العالم، لسنا من المفترض أنْ نكون هنا من الأساس. فكيف ننقذ مملكةً من شيء؟! وكأنّ المملكة تصر على عدم إنقاذها.

نظر نحوي "فهمي" وقال بعد تفكيرٍ عميقٍ لطالما كان بعده قرارٌ خطيرٌ جدًا كما يفعل ابن أخته "آدم"، لقد قال لي في نظرةٍ تحمل الكثير:

- ماذا لو كان سبب وجودنا هنا من الأساس هو إنقاذ هذا العالم؟

صمتُ برهةً من الزمن، ساد السكون المكان، غرقنا جميعًا في بحر الأفكار، وكأنّنا ليس أمامنا خيارٌ سوى أنْ نقبل بمهمتنا الجديدة، ولكن قبل أنْ أجيب الملكة بشيءٍ، قطعتْ حبل أفكارنا قائلةً:

- على العموم، هناك المزيد من الوقت لكَ، كي تحاول أنْ تجد حلًا كي تحرر بها جيش الموتى يا "نوح". أمّا "فهمي" سيأتي معنا كي أضمن ولاءك، أليست هذه أسماءكم؟

هنا ابتسمتُ حين علمتُ أنّها كانت تضع لنا جنديًا في الخفاء في السجن أثناء حديثي المطول مع "فهمي"؛ فاندهش الأخير متسائلًا:

- ماذا تقصدين أيّتها الملكة؟

عادتْ إلى عرشها وسجيتها الأولى الحازمة القوية، عادتْ إلى كونها ملكةً جبارةً وقالتْ واضعةً يدها على مقبض العرش:

- لقد اعترفت الوصيفة بكل شيءٍ، كنتَ صادقًا يا "نوح" فيما أخبرتنا به، أكتشِف أنّ الوصيفة "بيجونيا" كانت زوجة الملك حقًا قبل أنْ يتزوجني، وعلى ذلك فإنّ ابنه البكر من تلك الوصيفة هو الأحق بالمُلك، ولكن ورغم كل هذا إلّا أنّني أعتبر ذلك خيانةً لا يُغفر لها؛ وعليها سأقتل الأمير "أندريا" كي أحرق قلب "بيجونيا".

إنّها لا تعرف الرحمة بالتأكيد، صمتت لحظاتٍ ثم أردفت:

- لكن هذا لا يُنفي تورط مملكة الشمال في مقتل الملك، لا زلنا نتحكم بسلاحنا القوي "الثعبان"؛ ولهذا سأمنح لك الفرصة يا "نوح"، كي تُخلص جيش الموتى في الوقت الذي سنأخذ فيه الثعبان. ولكن احذرا؛ لدى الجنود التي سترافقكَ أمرٌ بقتلكَ إنْ لم تؤدِ مهمتكَ، كما سأقتل بنفسي "فهمي".

فسألت في اهتمامٍ:

- تأخذون الثعبان إلى أين؟

قالت في قوةٍ وحزمٍ:

- سنبحر بأساطيلنا بحر "أوشا"، سنشن الحرب على مملكة "لوردلاند".

مريم

غضب الملك "جونكويل" أمام ابنته الأميرة "لويزيانا"، ولم ينتبه إلى وجودها حيث لم يحبذ أبدًا أنْ تراه ابنته هكذا؛ خوفًا من أنْ يفقد صورته أمامها، لم يكن يريد أنْ تأخذ منه طباع التهور، أرادها أنْ تصبح أفضل منه، ملكة مملكة الجان المستقبلية حيث الجمال والقوة والحكمة، لا القوة والحكمة والتهور كما يرى نفسه.

ثم أتى الأمير "أورلوف" ابن أخت الملك راكضًا مهرولًا؛ ليطمئن إلى ما جعل الملك يفقد أعصابه حتى يسمعه مَن في الخارج، فصاح الملك قائلًا:

- الكائنات البشرية الثلاث، منهم مَن مات على أيدي الغربان، ومنهم مَن نجا.

قال الأمير بعفويةٍ:

- إذن، فلنرسل الغربان مرةً أخرى لنقتل مَن نجا.

نظر إليه الملك في غضبٍ وقال:

- المشكلة ليست هنا، المشكلة أنّه بسبب عدم رؤية الغربان لمَن قتلت فنخروا جسمها في عشوائية، والمصيبة الأكبر هي أنّ الغربان خافت من الآخر، ولم تقدر أنْ تعود إليه مرةً أخرى، لقد طارت بأجنحتها بعيدًا لقد فُزعت تمامًا.

انعقد حاجبا الأمير وتساءل:

- إذن، ما العمل؟ إنّ المعاهدة القديمة مع الأرواح تنص على عدم

وطئنا أرض الغابة.

قال الملك بعد ترددٍ:

- يبدو أنّني سأعود إلى "الغُداف" بعد غيابي سنوات.

تحجرت عينا الأميرة التي كانت مستمعةً للحديث من البداية، كانت عالمةً أنّ عودة أبيها إلى "الغُداف" هو الجحيم بنفسه، ولتجنبه لهذا الجحيم قرر أنْ يترك غرابه منذ سنواتٍ عديدة، لكنها رأته والغضب على وجهه إنّه عازم على عودة غرابه "الغُداف" مرةً أخرى.

خرج الأمير "أورلوف" من الحجرة لتخلو بالملك وابنته، التي كان الدمع يملأ عينيها، فانتفض الملك حين رآها تبكي، فدنا نحوها متسائلًا لكنها آثرت الصمت، كأنّ هناك مَن يُلجم فمها، لم يكن سوى نظرتها إلى أبيها الملك، الآن تراه ذاهبًا للجحيم كي يعود به إلى الأرض لتحترق، سألها:

- ما بِكِ أيّتها الملكة؟

استنكرت الأميرة "لويزيانا" بعد صمتٍ طويلٍ قائلةً:

- ملكة؟! أتريدني أنْ أصبح مثلكَ؟

تسمّرت ملامح الملك، لم يعد يعرف ماذا يقول، انعقد لسانه ثم قال في توتر:

- لِمَ ترفض فتاةٌ أنْ تصبح مثل والدها، أليس مثلها الأعلى في الدنيا؟!

قالت بنفس الاستنكار:

- مثلٌ أعلى؟

ثم سالت الدموع على وجنتيها وأردفت:

- أنْ تقتل كائنًا لمجرد أنّه غريبٌ في هذه القارة ولم ترصده الغربان، أيحق لكَ ذلك؟ ماذا لو لم يكن هناك أي خطرٍ منهم؟ ماذا لو كانوا أناسًا طيبين، ولكن لسببٍ ما خارج إرادتهم جعلهم مخفيين من الغربان؟ ماذا لو لم يعرفوا شيئًا عن الغربان من الأساس؟

لقد كان همًّا ثقيلًا أحس به الملك حين سمع قول ابنته، لكنه استعاد هيبته وقال:

- دائمًا هناك ضريبة يدفعها الراعي مجبرًا لمجرد أنّه مَلك، على رغم الشعور بالمُلك سعادة مفرطة، إلّا أنّ ما يتبع هذا الشعور بؤسٌ عاتٍ.

لم أحبذ يومًا أقتل فيه نفسًا، لكن كوني ملكًا فعَلَيّ أنْ أمارس هذا البؤس العاتي الذي يلاحقني كل يومٍ في أحلامي ولن يتوقف أبدًا.

صمت برهةً فاغرورقت عيناه، ثم أردف:

- إنْ كان هناك شيءٌ يهدد مملكتي، وحتى إنْ كان محل الشك في ذلك ضئيلًا جدًا، ليس من الحكمة أنْ أغامر به.

استوقفته ابنته الأميرة غاضبةً:

- والأرواح التي تُزهق، أليست هذه مغامرة تخوضها يوميًا أيُّها الملك؟ أم أنّها بمثابة تسلية لكَ لتنسيكَ حقيقة ما تفعله؟

استعاد هيبته مرةً أخرى، وقال في ألمٍ مخلوطٍ بكبرياءٍ:

- منذ أنْ قامتْ هذه المملكة، ولن يحدث أنْ تخاف الغربان من

شيء؛ لا بدّ وأنّ هذا البشري الغريب خطرٌ على القارة بأكملها، لقد أخبرني أحدهم مِن أصحاب الغربان أنّ هذا البشري يبدو في حركته وركضه وتصرفاته أنّه فتاة مثل التي تم قتلها، وثالثتهم الطفلة.

تساءلت "لويزيانا" في توترٍ وأملٍ ضئيلٍ:

- ماذا بعد؟

صمت الملك لحظاتٍ، ثم نظر في عينيها بتمعنٍ، وقال بعد تروٍّ:

- يجب أنْ تموت هذه الفتاة.

ثم همّ بالخروج وقبل أنْ يختفي طيفه من أمامها سمعها حين قالت في صياحٍ:

- لا أريد أنْ أكون ملكةً في مملكةٍ قامت على سفك الدماء.

لم يجبها، لكنها استوقفته، فوقف عند باب الحجرة ونظر إليها فسألته في دموعٍ:

- والطفلة؟

ظلّ صامتًا لم ينبس ببنت شفة، اغرورقت عيناه مرةً أخرى، فأدركت أنّ الإجابة كانت ثقيلةً ليخبرها بها، فصاحت مرةً أخرى بعد أنْ خرج:

- أكرهكَ يا أبي، أكرهكَ.

***

ظلّ الضباب هائمًا حولي لا أعرف مصدره، لكنني مدركةٌ أنّها من

أفعال الغابة اللعينة، ولا زال الألم يختلج قلبي؛ فما رأيته كان بشعًا للغاية، فتاة تموت بواسطة غربانٍ جارحة مميتة مخيفة، لا يعرف أحدٌ عنها شيئًا، وبجوارها طفلتها التي لطالما حاربت لحمايتها، لقد ركضت حين شعرت بالخوف مني عند علمها بأنّني ساحرة. فلماذا فعلت ذلك؟ لا شيء يجعلها تدافع حتى لو على جثتها سوى حمايتها لطفلتها الملقاة بجوارها في دمائها، لم تكف عيناي عن البكاء، ولم يهدأ قلبي عن الألم، شارفت على ترك جثتهما، تردد بداخلي بين مغادرتي لهذا المكان المقيت الذي لا أعرف سبيلًا للخروج منه، أم عودتي لهما لأدفن جثتيهما.

وكيف ذلك؟ بماذا سأحفر؟ لكن لا أريد أن أتركهما على مرمي العين هكذا، لا أريد أن أتركهما لرياح الغابة المخيفة أو حتى للغربان إن عادت فتستكمل غذاءها على لحم هاتين الجثتين، لا أريد أن أغادر وانصرف عنهما معرضتين لعذاب الأرواح التي تسكن الغابة.

وقفت لحظاتٍ لا أعرف ماذا أفعل، سالت الدموع على وجنتيّ، ولكن حدث ما قطع صراعي الداخلي، ما أنقذني من عذاب صراع النفس، لقد سمعت ما جعلني أتوقف عن التفكير في أي شيءٍ أريد فعله، لقد سمعت ما جعل قلبي يرق رهفًا، سمعت ما كان سببًا في زيادة دموعي، لقد سمعت ذلك الصوت، نعم! إنّه صوت بكاء، إنّه بكاءٌ آتٍ من جوار جثة الفتاة، إنّه بكاء الطفلة!

وليّت نحوها سريعًا بعد أن كنت أتصارع بداخلي موليّةً ظهري لهما، ركضت في لهفةٍ، هرولت في عجلة، لم تكن قدمي تعرف وجهتيهما أو مكان وطأتهما، انطلقت بعشوائيةٍ نحو مصدر هذا

الصوت نحو الطفلة، إنّها ما زالت على قيد الحياة، إنّها تحتاج للإنقاذ.

وصلتُ عندها، ركعتُ على ركبتيّ، مددتُ يديّ، تقطعتْ أنفاسي، انهمرتْ الدموع بغزارةٍ، حاولتُ أمسح أنفي بكتفي، شعورٌ مختلطٌ بالفرحة والعذاب، لقد وجدتُها تصرخ، اشتد بكاؤها حين علمتْ أنّ هناك مَن بالجوار، كأنّها تحاول إخباري أنْ ألقفها سريعًا من وسط الدماء. وبالطبع هذا ما حدث؛ انتشلتها وجلستُ أرضًا بجوار جثة والدتها، أخذتُها بين ذراعيّ أعطيتُها من دفئي، منحتُها أنفاسي، أهديتُها الأمان؛ فشعرتْ به وهدأتْ توقفتْ عن البكاء، نظرتْ بعينين بريئتين نحوي، ثم بالكاد انتبهتْ لابتسامتها الباهتة؛ فبادلتُها إيّاه وأنا شاعرةٌ بسعادةٍ عارمةٍ وفرحةٍ جارفة. كم ارتجف قلبي وترجرج كياني حين فكّرتُ بهذه الطفلة مع ابتسامتها البريئة وهي لا تعلم ما حلّ بوالدتها! كم أنّها محظوظة لأنّها لن تذوق مرارة الفراق، لن تشعر لاحقًا بما مِن المفترض أنْ تشعر به الآن؛ فهي لا تعلم الآن حقًا أنّها كانت ممددةً غارقةً في دماء والدتها، ولو لم تبكِ في اللحظة المناسبة لكانتْ ظلّتْ هنا وحيدةً تحاول البقاء، لا يسمع أحدٌ بكاءها وصراخها حتى تموت من الجوع والخوف.

لكن إرادة الله تشاء أنْ يحدث ذلك فالله حنونٌ لطيفٌ رحيمٌ بمخلوقاته؛ بكتْ قبل مغادرتي لأسمعها وأنقذها. نهضتُ بها ومسحتُ عنها الدماء، ثم نظرتُ حولي لم أعرف ماذا أفعل؟ أين أذهب بها؟ لم أجد سبيلًا سوى أنْ أعود بها إلى ذلك المكان الذي مقتُه منذ ساعاتٍ إلى تلك الشمطاء؛ فهي السبيل الوحيد لإنقاذنا.

ركضتُ نحو الاتجاه الذي يؤدي إلى الكوخ، وصلتُ هناك طرقتُ الباب، فتحتْ لي نظرتْ إلى ما بين ذراعيّ حيث أحمل الطفلة، لقد رقّ قلبها رأيتُ ذلك في عينيها؛ فالأطفال ثُليّن القلوب المتحجرة، رغم أنّنا لم نجد منها عكس ذلك، لكن بسبب وجودها هنا بمفردها في كوخٍ لا يقل عنها رعبًا وسط غابةٍ هي الرعب ذاته، مع كونها ساحرةً فهذا يجعل أي نفسٍ تنفر من ذلك المكان بصاحبه.

في أنفاسٍ متقطعةٍ سألتُها:

- أريد أيّة أداةٍ أحفر بها قبرًا.

قُلتُها ولا تكف عيناي عن الدموع، فدخلتْ لتجلب لي شيئًا؛ فعادتْ حاملةً أداةً لحفر الأرض مددتُ يدي لآخذها فقالتْ:

- سآتي معكِ.

لا يوجد أي سببٍ مقنعٍ أنْ أرفض مساعدتها ولا سيّما أنّني حاملةً طفلة، فكم أريد المساعدة وهي الوحيدة التي أمامي؛ فأومأتُ لها وهرولنا عائدتين نحو المكان الذي ماتتْ فيه الفتاة والدة الطفلة.

وصلنا إلى هناك وبدأتُ بالحفر، بعد أنْ تركتُ الطفلة بين ذراعيّ الشمطاء بجواري والقلق لم يخذلني أبدًا في مهاجرتي، وبعد ساعاتٍ من الحفر والتعب الجسدي والنفسي حملتُ بالكاد جسد الفتاة بلطفٍ مع مساعدةٍ صغيرةٍ من المرأة، ثم قمنا بوضعها في المكان المحفور، وشرعتُ أردم ما حفرتُه حتى توارتْ الفتاة تحت التراب، والألم يعتصرني عصرًا.

***

في كوخها أنظر حولي من كل الاتجاهات، لم أشعر بالارتياح والطمأنينة في هذا المكان، أنفر منه لدرجة الاشمئزاز، لا أطيق حالي كوني موجودةً بهذا المكان مع صاحبته التي كانت بوجهٍ عابسٍ مخيفٍ، رغم أنّها لم تبادر بأي شيءٍ سوى مساعدتها لها، لا أعرف لماذا؟ ربما لأنّها السبب لأنّي أعرف كوني ساحرةً، وبسبب هذه الحقيقة لا أطيقها ربما كرهتُ نفسي بسببها، لا أريد أنْ أتذكّر شيئًا ممّا سبق في حياتي، فلن أتحمل ما أراه في نفسي وحقيقتي الغائبة، ربما لكل هذه الأسباب كرهتُ هذه المرأة الشمطاء.

لم أغفل عن الطفلة النائمة على أحد أرائكها البسيطة المصنوعة من الجريد الذي لم تتركه السوسة في حاله.

- ماذا حدث؟

نظرتُ لها في اختلاجٍ وتذكّرتُ في سؤالها كل ما رأيته حين ماتت الفتاة، لم أكن أعرف بماذا أجيبها، لكنني غضبتُ وقلتُ:

- إنّني أكره هذه المملكة، أكره الملك، أكره الغربان؟

لم تنبس ببنت شفةٍ، كأنّها تعلم تمامًا إنّه لا زال هناك بداخلي الكثير من الكلام الذي أريد البوح به، فنظرتُ بعينين متسائلتين، فأردفتُ:

- لماذا أصحاب هذه الغربان يريدون قتلنا بغربانهم، ماذا فعلنا لهم؟

أجابتْ الساحرة في استنتاجٍ:

- ربما كنتم بمثابة تهديدٍ لهم، هم لا يفعلون ذلك سوى إنْ كان هناك خطرٌ حقيقي يواجهونه.

استنكرتُ في دموعٍ:

- خطرٌ حقيقيٌ؟ كيف يكون هناك خطرٌ من فتاتين بمفردهما ومعها طفلة رضيعة في وسط غابةٍ مخيفة لا يتذكران شيئًا عن حياتهما السابقة، إنّنا غرباء لسنا من هنا، فكيف يكون هناك تهديدٌ في ذلك؟

أجابتْ الساحرة بفتورٍ معقبةً على ما قُلتُه:

- أو لأنّكم غرباء لستم من هنا!

رمقتُها بنظرةٍ جريئةٍ، كانت الأولى منذ أنْ عرفتُها، لكن سرعان ما انهزمتْ، وتحوّلتْ هذه النظرة إلى دمعتين سالتا على وجنتيّ، وقلتُ في وهنٍ:

- لا أعرف ماذا أفعل؟ لا أعرف مَن أنا؟ لا أعرف كيف أواجه تلك الغربان المميتة؟

وهنا، كانت المساعدة الحقيقية التي قدمتها لي، حين دنتْ مني وحثّتني على الخُطى قُدمًا، وإلّا أجلد نفسي فيما مضى، وألّا أغرق في بحر التخلص من عذاب ما حدث، فلا أستطيع أنْ أخرج من منفذٍ قد يكون لي السبيل الأخير في مواجهة ما هو قادم.

فبعد أنْ حكيتُ لها ما حدث، قالتْ لي ما تغافلتُ عنه تمامًا، فلم أنتبه له في خضم ما حدث هذه الليلة، جعلتني أتذكّر أنّ الغربان خافتْ مني حين وصلتُ إلى هناك، ولكن بعد ما فات الآوان، يا ليتني وصلتُ مبكرًا بضع دقائق! فهذا يعني أنّها كانت على صواب حين وصفتنا بأنّنا خطرٌ على الغربان، فلم يسبق أبدًا أنّ الغربان خافتْ من شيءٍ. وأنّ هناك شيئًا بداخلي جعل الغربان السلاح الأعظم في

هذه المملكة تذعر، وهذا بمثابة مُصدق آخر لكوني ساحرةً قويةً لا تُهزم. لقد أدلفتْ الساحرة بداخلي العزيمة، وحثّتني على المقاومة، فإنْ كنتُ خطرًا حقيقيًا على حسب كلامها؛ فهذا يعني أنّ الملك لن يتركني.

وهنا، في هذه الحظة سمعنا صوتًا مخيفًا غير مألوفٍ على أذني؛ إنّه صوت نعيقٍ مرعبٍ حتى الموت، لقد كان نعيقًا حادًا محشرجًا رهيبًا يجعل القلب ينتفض من مكانه، فجحظتْ عيناي ونظرتُ إلى الساحرة متسائلةً، فأجابتْ والخوف في عينيها:

- إنّه "الغُداف".

علمتُ منها أنّه أشرس غرابٍ في المملكة، وأنّ هذا يعني أنّ مَن أتى ليقتلني هو الملك بنفسه، إنّه غراب الملك؛ ففي هذه المملكة العجيبة كل محاربٍ يمتلك غرابًا له، وأنّ لكل غرابٍ اسمًا.

حين علمتُ من الساحرة أنّ هذا غراب الملك بعينه، تعرفه ربوع المملكة من صوت نعيقه، فنما في وجداني روح الانتقام لما فعله في تلك الفتاة التي لم يكن لها قوة. فخرجتُ في عزيمةٍ وإصرارٍ، خرجتُ في العلن دون خوفٍ، خرجتُ وليس هناك سوى الغضب، كنتُ بمواجهته لقد كان أمام بصري معلقًا في الهواء، كان مخيفًا حقًا، أسواد السواد البهيمي، كبيرًا عن الغربان التي سبق ورأيتها، قويًا وعنيفًا ذا جناحين كبيرين، وعينين سوداوين تبث الرعب في الشيطان نفسه، ولكن لم يكن ذلك سببًا في خوفي، بل كان سببًا في نمو روح الغضب بداخلي. لقد نظرتُ له بعينين جريئتين، ثم بسط جناحيه ونعق في وجهي، وكشّر عن أنيابه، وبدأ في الطيران نحوي،

فبدا أنّه لا يخاف مثل بقية الغربان، بدا أنّه لن ينوي سوى على النخر والدم مثل الفتاة والدة الطفلة.

هنا، أغمضتُ عيني، لا زالت روح الغضب بداخلي لكنها اختلطت بالخوف، فمهما شعرتُ بالانتقام إلّا أنّ الروح الإنسانية غالية على صاحبها، لقد انتظرتُ الموت الذي سيصطدم بوجهي بعد أقل من ثانية.

سمعتُ صوت النعيق يستحيل إلى شيءٍ آخر، فتحتُ عينيّ فوجدتُ الغراب معلقًا في الهواء، لكنه في وضعٍ مختلف، لم يكن باسطًا جناحيه، بل هناك شيئًا آخر كان حوله ممسكًا به من رقبته، فلم يستطع الغراب أنْ يُخرج صوت النعيق المخيف السابق، لقد كان ذلك الشيء أسود سوادًا بهيميًا مثله مثل الغرب، لقد كان ذات الضباب الذي رأيته حين ارتعدتُ الغربان السابقة وطارتْ بعيدًا، تساءلتُ كيف ذلك؟ إنّ الضباب من أفعال الغابة، هل ذلك يعني أنّ الغابة لم تكن تريد إخافتي حين ظهر الضباب؟ فنظرتُ إلى الجهة الأخرى فوجدتُ الساحرة الشمطاء مندهشة، وعلى وجهها مرسومة ملامح الفخر؛ فتساءلتُ في دهشةٍ:

- لماذا الغابة تساعدني؟

ثم أشحتُ بنظري عنها وعدتُ للغراب ونظرتُ له في غضبٍ وانتقامٍ، ولم يخطر ببالي سوى رؤية هذا الغراب ميتًا، ولم يمضِ أي شيءٍ من الوقت فوجدتُ الضباب يعمي عينيّ الغراب، ففقد قوته وصار هادئًا ناظرًا نحوي كأنّني أروق له، فطار نحوي مقتربًا، وأخذ ينظر إلى عينيّ في إعجابٍ كأنّني أصبحتُ مالكته، وليس الملك! لقد

فعل الضباب لي أفضل ممّا كنتُ أريده، أو بالأحرى الغابة فعلتْ؛ لقد أصبح "الغُداف" ملكي!

***

شهق الملك "جونكويل" ملك الجان ثم فتح عينيه، كان يعرف أنّه لو استمر في تحكمه في الغراب لبقى أعمى بقية حياته إثر فقدانه لغرابه، لكنه اختار أنْ يفقد سيطرته على الغراب؛ فتركه وحيدًا أمام القوة التي كان بمواجهتها، علم أنّه سيفقد غرابه لقد أنقذ نفسه؛ فصرخ صرخةً ارتجت لها المملكة بأكملها، لقد كانت صرخة هزيمةٍ نكراء.

ثم أتى له الأمير "أورلوف" ولكن ليس ليسأله عمّا حدث، بل ليخبره المصيبة التي كانت أكبر بالنسبة للملك عن فقدانه لغرابه؛ فلقد فقد غرابه في وقتٍ كان فيه أشد الحاجة له، لقد جاءه الأمير وعلى وجهه علامات الضجر، لقد قال للملك:

- مملكة الغرب أعلنتْ الحرب على مملكة الشمال إثر قتل ملكهم على أيدي اللوردلانديين.

أجابه الملك "جونكويل" في غضبٍ:

- إنّني أعلم بذلك، ما الجديد؟

تردد "أورلوف" قليلًا، ثم قال:

- كما فعلتْ مملكة الشرق ذلك.

اندهش الملك، وتساءل:

- لماذا مملكة "نانيوس" تعلن حربًا في وقت مشارفة ذئابهم على الانقراض؟

أجابه "أورلوف":

- لقد أخبرنا المحاربون أنّهم أبصروا بعيون غربانهم، أنّ هناك تنينًا هاجم مملكة الشرق.

جحظت عينا الملك وقال في ذهولٍ:

- ماذا؟ التنانين عادت؟

قال "أورلوف":

- كما أنّ مَن قتل ملك مملكة الغرب هو من مملكة الشمال أيضًا بالإضافة إلى أنّ مملكة الشمال نقضت المعاهدة التي كانت بين الممالك الأربع، وذهبت نحو جزيرة الضباب.

وكانت الصاعقة التي عصفت بكيان الملك، فقال غاضبًا:

- لو لم تعد التنانين لما كانت تفكّر مملكة الشمال في ذلك، لقد أعلنت هي الحرب على المملكتين الأخريين، ولكن أنْ يذهبوا إلى جزيرة الضباب وينقضوا المعاهدة، فهذا إعلان حربٍ على مملكتنا أيضًا، كما أنّ ذلك يؤكد تحكم أحدهم في الضباب الأسود في مملكتنا، يبدو أنّ تلك الفتاة التي بغابتنا من مملكة الشمال.

هنا، أتت الأميرة "لويزيانا" راكضةً إلى القاعة إثر صوت غضب الملك وتساءلت عمّا يحدث، فنظر لها الملك بنظرةٍ خاويةٍ من أي مشاعر، وقال والغضب في عينيه:

- سنشق طريقنا عبر بحر "أوشا" نحو الشمال؛ إنّها الحرب بلا شك.

أيوب

تبًا لهذه الأرض، وتبًا لممالك قارة "أوشانلاند"، وتبًا لنفسي حين استمعتُ لكلام ذلك الرجل المخبول الذي يدّعي أنّه الوريث الشرعي للمملكة، الأحمق "أنطور"، وأخوه الملك الذي أمر بسجني، وها أنا الآن مسجونًا بسبب جريمة التعدي على ذئبٍ، لم أكن أتصور أنْ أقاتل ذئبًا رهيبًا ضخمًا بهذا الحجم، إنّه غير طبيعي هذا الحجم، والغريب أيضًا أنّ لكل محارب ذئبًا يكون له صاحبه ويطلق عليه اسمًا، كم كنتُ أريد أنْ أعرف اسم الذئب الذي كاد أنْ ينال مني، أو حتى أعرف المحارب صاحبه.

استنتجتُ أنّني شخصٌ متهورٌ؛ فلم أشعر بالخوف حين كنتُ بمواجهة الذئب، لكن ما لم يتوقعه هو ما يكسر تهوركَ الجسور.

كم كنتُ أحمق لأصدق ثرهات "أنطور" حين أخبرني أنّ في ذلك سبيلًا لرجوع ذاكرتي، عَلَيّ أنْ أقتل ذئبًا، لكن في الحقيقة كان يريد من ذلك مصدر إلهاءٍ ليفعل شيئًا لا أعلم به.

نظرتُ حولي لم أجد سوى النظر في أربعة جدرانٍ، وبابٍ حديديٍّ به قضبان صلبة، في سجنٍ لن يعرفه حتى شعب المملكة نفسها، في خندقٍ عميقٍ داخل سفوح الجبال.

لقد مرّ اليوم الأول وكأنّه لا يريد أنْ يمضي، ثم اليوم الثاني، وهذه الليلة الثالثة، مرّ ذلك الوقت لم أفكّر سوى في تلك الجميلة التي لم أعرف اسمها، فقط أعرف أنّها الشخص الوحيد الذي رأيتُه منذ أنْ وطئتْ قدماي في هذه الأرض يشبهني، إنّها الوحيدة طويلة

القامة مثلي، ليست بقزمٍ مثلهم، وهذا لا يعني لي سوى شيءٍ واحدٍ، وهو أنّها ليست من هذه الأرض مثلي، كم أنّها جميلة! وكم أريد أنْ أطيل النظر مرةً أخرى عليها؛ لا أعلم لماذا بها شيءٌ يجذبني لها؟ لا أعرف لماذا أشعر أنّني أعرفها؟! إنْ طيفها الخيالي في مُخيلتي كان الصديق الوحيد الذي آنسَ وحدتي في هذه الزنزانة؛ كي ينسيني الألم الذي أشعر به في جنبي إثر عضة الذئب.

سمعتُ بالخارج ضوضاء وصوتًا نسائيًا جميلًا، ثم فُتِح الباب ورأيتُها شاخصةً أمام ناظري، شعرتُ حينها بالألفة ربما لطول قامتها دونهم، ابتسمتُ لها فاستغربتْ، وتساءلتْ فأوضحتُ لها أنْ قد يكون السبب في ذلك هو الشبه الذي بينهم دون شعب المملكة.

حاولتُ أنْ تتظاهر بالجمود، ثم اقترحتُ أن نهرب، لقد فكّرتُ مثلما فكّرتْ فيه، أنْ قد يكون طريقنا واحدًا.

بعد ذلك، ذكرتُ شيئًا به كلامٌ عن نبوءةٍ وخرافاتٍ، وهنا علمتُ أنّ في هذه المدينة يعتبرونها المختارة، كما اعتقد بعضهم في المدينة الأخرى، وكأنّ مصيرنا يصرّ على أنْ يتقابل.

ما سعدتُ له هو تغيير ملامح الجمود التي كانت تصطنعها إلى ملامح الخوف والقلق حين علمتُ أنّ الذئب تمكّن مني، وعضني في جنبي الأيمن، ولكن الخوف الحقيقي دلف داخلي حين علمتُ منها أنّ من يتمكّن منه ذئب في هذه المملكة دون وجود قمرٍ فسيموت قريبًا، كانتْ هذه أول مرةٍ أخاف فيها حين أتيتُ إلى هنا، ليس بسبب أنّني عرفتُ بموتي الحتمي، لكن بسبب أنّني سأموت ولم أعرف هُويتي، من حقي أنْ أعرف مَن أنا قبل أنْ أموت، لا أريد أنْ أموت غريبًا في

أرضٍ غريبةٍ، بهذه الطريقة سأموت نكرةً، لن يحزن أحدٌ عَلَيّ، وأهلي الحقيقيون لن يعلموا عني شيئًا، كم كان هذا يحرق فؤادي بالداخل.

حثّتني أنْ أهرب؛ ففعلت ذلك بعد جدالٍ كبيرٍ بيننا، وتخطينا النفق المؤدي للخارج، ثم صعدنا الجبل، وهنا سمعت صوتًا ليس غريبًا على أذنيّ، فطلبت من سارة الانتظار حتى أتأكد أنّ ذلك الصوت، إنْ كان هو لا بدّ وأنْ أقتله، إنه السبب فيما أنا فيه الآن، هو السبب في موتي المحقق.

لم ألبث حتى وجدتُها بجواري، ووجدتُه هو بشخصه، لكن الغريب أنّه كان بمواجهة أخيه الملك يهدده بالقتل! هنا، علمت أنّ "أنطور" موهومٌ بأشياءٍ قد فهمها خطأً من البداية، أو أنّ هناك مَن جعله يكره أخاه عن قصدٍ، ولا سيّما كان بعيدًا عنه.

ثم حدث بداخلي ما كنت أخشاه، شعرت بهزةٍ اختل توازني لها، شعرت بقُشعريرةٍ تجري في جسدي، كانت الفتاة الجميلة بجواري، لا أستطيع أنْ أقول لها شيئًا حين كانت تشاهد الصراع بين الملك وأخيه لم تنتبه لي، كم أريد أنْ أصرخ، لكني لا أستطيع، هناك شيءٌ بداخلي يمنعني عن أي شيءٍ، أحاول أنْ أصيح بدأت في صوت حشرجةٍ، ثم كانت بدايات صياحٍ، لكن تحوّل الصياح إلى صوتٍ غريبٍ بالنسبة لبشري، لقد استحال الصوت بداخلي إلى عواء .. عواء ذئبٍ، لم أفهم كيف؟! كل ذلك حدث في وقتٍ قصيرٍ للغاية لا يكفي لأي شخصٍ أنْ ينتبه لي، حتى كان العواء فقدت توازني ثم لا شيء!

الظلام فقط، الظلام وملاك الموت كان مرتديًا زيه الأسود، وقلنسوته فوق رأسه، وبداخلها سوادٌ فقط، كأنّ هذا الحاصد بلا

وجه، دون ملامح، لا يفعل شيئًا سوى الحصد .. حصد رؤوس مَن يستحقون الموت، لقد كان صفًا طويلًا أمامي، لكن الحاصد كان سريعًا، كأنّه يريد أنْ يصل لرأسي في أقصى سرعةٍ، كأنّه يجاهد لأنْ يصل إلى الغنيمة الكبيرة .. رأسي.

أردتُ أنْ أهرب لكن لم أستطع، أردتُ أنْ أُحرك ساكنًا، لكني لم أقدر، أريد أنْ أفيق وأفتح عينيّ لربما يكون هذا كابوسًا، لكني أعجز عن ذلك، شعرتُ بقيودٍ قيدتْ روحي قب جسدي، لكن كانت روحي مقيدةً في مكانٍ وجسدي في مكانٍ آخر، كم أرادتْ أنْ تعود روحي لجسدي، لكنها لم تستطع أنْ تقاوم، لا أعرف إنْ كان عقلي يرفض استلام الإشارة ليستلم روحي قبل أنْ يأخذها الحاصد، أو أنّ روحي نفسها سيطرتْ على عقلي ولا تريد أنْ تعود. كأنّها أرادتْ الحرية بعد كل شيء، كأنّها تعبتْ ولا تطيق أنْ تتحمل المزيد، كان هناك صراعٌ بين عقلي وروحي، وكان الضحية بينهما جسدي الذي يريد أنْ يصالحهما ويعودا إليه، لكنه لا يستطيع أنْ يحرك ساكنًا، أخذ دور المتفرج على الأحداث، وأي أحداثٍ .. الصراع بين العقل والروح، وهناك الحاصد يريد أنْ يظفر بكل شيء.

ظللتُ في هذا الصراع، حتى أوشك الحاصد على الاقتراب نحوي، لم يلبث حتى وصل لرأسي، نظر نحوي أطبق على جسدي، لا أستطيع أنْ أفعل شيئًا وكأنّ ليس من حقي أنْ أدافع عن نفسي، منعني من المشاهدة عن الصراع القائم بين عقلي وروحي، ثم كان الظلام.

شعرتُ حينها بشيءٍ غريبٍ يتحرّك بداخلي لم أكن أنا، هناك شيءٌ

آخر استطاع أنْ يتحرّك بداخلي، هناك شيءٌ بداخلي قدر على المقاومة لقد دفع الحاصد عن جسدي، ثم انتفض الحاصد ليس لأنّه خائف، بل لأنّه لم يتوقع ذلك وكأنّ ما حدث للتّو لم يحدث من قبل، لقد رفع نفسه من على جسدي يحاول أنْ يتفادى مَن تحرّك بداخلي، شعرتُ بقوته كأنّه وحشٌ كاسر، ثم سمعتُ عواءً كان عواءً مخيف حتى تحدّث الحاصد في ذهولٍ:

- ذئبٌ!

ثم رأيتُ النور، استطعتُ أنْ أفتح عينيّ، قدرتُ على تحريك جسدي، استعدتُ روحي بعد صراعها مع عقلي، ثم كانت الشهقة العميقة التي استرددتُ بها نفسي، فاستفاقتْ نفسي واستوعبتُ أنّني نهضتُ من مكاني فزعًا، وكأنّني كنتُ في الجحيم وعدتُ منه للحياة مرةً أخرى.

نظرتُ حولي وحاولتُ أنْ أسترجع ما حدث، فتذكّرتُ أشياءً كانت بالنسبة لي ضبابية، علمتُ منها أنّ الحاصد الذي رأيته وأنا نائمٌ كان "أنطور" نفسه يحاول قتلي منذ قليلٍ، وكنتُ أحاول التملص منه لكنني لم أستطع حتى جاءتْ المختارة ومعها الملك، حاولتُ أنْ أتذكّر الحديث الذي دار بين ثلاثتهم.

عدلتُ من موضعي ونهضتُ من مكاني، لكنني أشعر أنّ هناك شيئًا غريبًا بداخلي، قوةً لم أشعر بها من قبل، أريد أنْ أصيح بأعلى ما يمكنني، أريد أنْ أحكم لا أعرف أحكم ماذا؟ لكن أشعر أنّ هناك مَن ينتظر إشارةً مني، كأنّ هناك قطيعًا تائهًا ويحاول الوصول إليّ، يحاولون التواصل معي، مَن هم؟

ثم تذكّرتُ الكابوس مرةً أخرى، وآخر كلمةٍ سمعتُها من حاصد الرؤوس، ثم جحظت عيناي وذُهِلتُ حين فكّرتُ في الأمر، ثم سألتُ نفسي:

- هل أنا الموعود؟ هل أنا ذئب؟!

***

مسحتُ على وجهي وتمعنتُ في يديّ وبقية جسدي؛ كي أعرف ما إذا كنتُ تحوّلتُ إلى ذئبٍ أم لا زلتُ بشريًا؟ ثم أدركتُ أنّني اكتسبتُ صفات الذئب وقوته لا شكله وجسمه.

خرجتُ بالخارج وكانت المفاجأة؛ هناك العشرات من الذئاب البيضاء الضخمة ينظرون نحوي، تملّكني الخوف في البداية، ثم بدأتُ أخبر نفسي أنّني قائدهم. تحوّل الخوف إلى ابتسامةٍ على وجهي، حين تذكّرتُ حين وصفتُ النبوءات بثرهات، وأنّ كل شيءٍ هنا كان الجنون نفسه، حتى تبدّل بي الحال أنْ أكون الموعود في نبوءةٍ سخرتُ منها، ثم تحوّلتُ الابتسامة إلى حماسٍ وارتفاع الأدرينالين الخاص بي حتى تدفقت الدماء في عروقي، نظرتُ حولي وجدتُ كل الجنود تنظر نحوي مندهشين، حتى صاحوا: "المختار" .. "المختار".

تجمّع قطيع الذئاب البيضاء حولي، كانوا في انتظار أمرٍ مني، حتى سرتُ في وسطهم وقدتُهم إلى الخارج، إلى الهواء الطلق، إلى قمم الجبال، إلى ما شعرتُ به، وما شعرتُ به هو موت عددٍ كبيرٍ من قطيعي حرقًا والتهامًا، ماذا! قطيعي؟! نعم، بالفعل قطيعي، فأنا مَن سيوحد القطيع ويعود بالذئاب، ولكن ما الذي قتل نصف الذئاب في

الوقت الذي من المفترض أنْ أوحدهم.

وصلنا إلى مكان وقوع الحادثة، وكانت الصدمة .. إنّه تنينٌ رماديٌ ضخمٌ يطير بجناحيه في الهواء وينفث النيران؛ فأدركتُ أنّ موت الذئاب كان من فعل التنين.

بالكاد انتبهتُ الفتاة التي لا زلتُ مولعًا بها حتى بعد اكتسابي صفات الذئب، وهذا مؤشرٌ يطمئن إلى حدٍّ ما، وبرفقتها الملك غاضبٌ على مصير مملكته في مهب الريح، كان يقول شيئًا عن أنّ التنانين عادتْ، وأنّ مملكةً في الشمال أعلنتْ الحرب على هذه المملكة.

أبصروني واقفًا شامخًا وسط العشرات من الذئاب البيضاء، تحوّل غضب الملك "إيكاي" إلى الدهشة والذهول حتى تبدّلتْ ملامح الهزيمة، التي كانت مرسومةً على وجهه منذ قليلٍ إلى ملامح بثّ الأمل من العدم، لكن الشعور كان مختلطًا، هل أنا المختار، وليستْ تلك الفتاة الغريبة التي تشبهني كما كان يعتقد؟

ولكن حدث شيءٌ آخر مُهيبٌ قطع كل تلك المشاعر، وبعثر الذهول الذي كان على ملامح الجميع، حدث ما جعل قلبي يختلج في مكانه يريد أنْ يخرج من مكمنه لينقذها، هو زئيرٌ شرسٌ كان آتيًا من ذلك التنين الذي شقّ الهواء نحو الفتاة المحبوبة. نظرتُ إليه فوجدتُه مكشّرًا عن أنيابه يريد أنْ يتلهم ويحرق أي شيءٍ في طريقه، وكأنّ وجودي مع ذئابي قد عكّر مزاجه، كان يقترب نحو الفتاة لكنه ينظر نحوي. علمتُ بداخلي أنّه ليس لي قوة أنْ أمنعه حتى وإنْ كنتُ قائد قطيع الذئاب، وإنْ استطعتُ فلن ألحق بها لأنقذها؛ فصرختُ بأعلى صوتٍ أملكه لأحذر به الفتاة، فانتبهتْ ونظرتْ نحو التنين الذي كان

قد وصل عندها، ولكن...

ولكن حدث شيءٌ آخر لا يصدقه أي عقل، لم يفعل التنين أي شيءٍ، بل كان يحاوط الفتاة بجناحيه كأنّه يحميها، ناظرًا نحوي بعينين صفراوين، كيف ذلك؟! مَن تلك الفتاة؟ وإنْ كان كذلك لماذا لم يهجم التنين نحوي لينفث النيران ويحرقني؟! فنظر الملك إلى ذلك الحدث وكان قد عاد غضبه مرةً أخرى صارخًا في صدمةٍ موجهًا حديثه إلى الفتاة:

- هل كنتِ من البداية جاسوسة تابعة لمملكة "لوردلاند" كي تقتلي ذئابنا أيّتها الخائنة؟! إذن، الحرب على تلك المملكة أيّتها اللعينة.

جزيرة الضباب

الجانب الآخر

عام 2227م

وسط الضباب الرماديّ الذي كان من فِعل هؤلاء الفضائيين المسوخ، ركض الجميع نحو البحر، كانت الابتسامة ترتسم على وجوه أولئك المسوخ، فهم يعلمون أنّ نهاية البشر الموت حتمًا، إنْ لم يكن بفعل الضباب والعاصفة، ستكتّب النهاية بواسطة البحر، خائب الظن مَن يثق بالبحر؛ فرغم جمال مشهده إلّا أنّه ذو مزاجٍ متقلب، خلّاب في مظهره لكنه ماكرٌ في غدره، كالأعجوبة في أعماقه، لكنه مخيفٌ في سراديبه، مهدئٌ للنفس لكنه واسعٌ في حيله، حنونٌ بأحضانه، لكنه جبار في انتقامه، إنّه البحر أوفى صديقٍ وأعتى عدو.

كان "فارس" القرصان الذي طمع في مدن أرض الظلام في طريقه ليلحق بالسفن كما يفعل الغير، إنّ روح البقاء غريزةٌ قويةٌ لا يمكن مقاومتها، لكن "فارس" كان فارسًا في هذه المقاومة، كان صراعه مع روحه أثناء ركضه يُثقّل خُطاه؛ لأنّه أدرك أنّ أخاه "عبد الله" لم يكن بجواره، لم يكن يعرف ما هو المسار الصحيح الذي يأخذه؟ هل يقاوم ليلحق بالسفن وينقذ روحه كما يفعل الجميع؟ أم يقاوم غريزة البقاء؛ لينمي بداخله غريزة الدم؟ فيعود وينقذ أخاه خاصةً بعد أنْ رمى نظره للخلف فوجده مصابًا مفروشًا في الأرض، كان يزحف نحو الاتجاه المخالف، كان يقاوم رياح العاصفة الجبارة، فطن "فارس" أنّ إصابة أخيه هي التي أجبرته على العودة في الاتجاه المعاكس، فلم يستطع أنْ يركض، وإنْ فعل فلم يقدر على التسلق في

إحدى السفن؛ فأدرك "عبد الله" بدوره أنّ العودة قد تكون السبيل الوحيد الذي فيه أملٌ قد يكون منعدمًا لينقذ روحه، في محاولةٍ منه كي يحتمي في أرض الظلام، أنْ يعود إلى تحت الأرض؛ حيث كانت إصابته في رِجله التي كُسِرت فيها عظمة، في آخر المطاف كان "عبد الله" هو الآخر ينفذ رغبته التي تُملي عليه .. غريزة البقاء.

تذكّر "فارس" موقف أخيه حين ترك "آدم" مصيره بين يديه، وحينها أظهر الأخ الكبير الرحمة وفضّلها عن الشعور بالنصر أو الانتقام، فكّر "فارس" أنّ الدم هو مَن قرر في النهاية، الدم هو مَن كان له الكلمة الناهية، إنّها رابطة الدم الأخوية التي لطالما كان كسرها عصيب.

وفي الأخير، قرر"فارس" أنْ يستوقف صراعه الداخلي، فوضع حدًا له، في قراره في العودة لأخيه وإنقاذه، فتنتصر عنده غريزة الشهامة والدم على غريزة البقاء، لقد كان المنتصر في هذه الحرب النفسية. عاد ركضًا نحو أخيه الذي على مرمى بصره، حيث يبعد عنه حوالي أكثر من خمسين مترًا، هرول في ذات الاتجاه الآخر ودنا من أخيه، فتفاجأ به أخوه ورسم على وجهه ابتسامة المودة والامتنان، وقال له:

- كنتَ آخِر مَن جاء في عقلي كي يعود لي.

أجابه "فارس" قائلًا:

- كما كنتَ آخِر من أريده أنْ ينقذني منذ ثلاث سنواتٍ.

ضحك "عبد الله" بصوتٍ عالٍ رغم وضعه، وقال:

- ستظل أحمق لعينًا متجمد المشاعر.

ردّ الأخ الصغير:

- هيّا، فذو المشاعر المتجمدة هو مَن سينقذك، أيُّها الرخو.

ضحكا سويًا، ثم نهض به "فارس" وأسنده على كتفيه، حتى بالكاد وصلا إلى أنقاضٍ تكومث إثر العاصفة التي تعصف بهم جميعًا، وبصعوبةٍ دخلا إلى عمق الأنقاض بالأسفل، حتى وجدا نفسيهما ينزلقان لا إراديًا وبسرعةٍ قاسيةٍ إلى الأسفل العميق، فأدركا أنّ غايتهما تحققث؛ فأرض الظلام بعد كل شيءٍ هي ما ستنقذهم من هذه الكارثة رغم الخراب الذي لحق بها.

***

انقضى يومٌ كاملٌ وهما تحت الأنقاض، بعد أنّ عدّل "فارس" عظمة رِجل أخيه وأدخلها في مكانها الطبيعي، وضمدها برباطٍ من قميصه كان قد قطعها منه.

كانا هائمين على أطلال أرض الظلام خارت قوتهما، وشعرا بالإعياء الشديد، كانا يسمعان فيه أصوات الزلازل التي تحدث بالأعلى، كانت الأصوات مخيفة وتثير النفس، فجعلث أعصابهما مضطربة.

لقد مرّ يومٌ دون أنْ يأكلا أو يشربا إلّا القليل، تساءلا كثيرًا في خلال يومهما اللعين عن الوقت الذي يصلح أنْ يصعدا مرةً أخرى إلى سطح الأرض، ولكن غريزة البقاء للاثنين كانت هي القوة التي تحركهما؛ فقررا الصعود بعد انتهاء اليوم، لقد حسباها جيدًا في حالة مكوثهما في الأسفل سيموتان جوعًا، وإنْ صعدا سيموتان

قتلًا ولكنهما فضّلا الموت الشريف، رفضا أنْ يموتا من الجوع تحت الأنقاض دون أنْ يعرف أحدٌ قصتهما، ولا سيّما ظنهما الذي توغل في أعماقهما أنّهما آخر البشر.

بالفعل، إنّهما آخِر البشر في كوكب الأرض، وعليهما أنْ ينتشلا بقاءهما عنوةً من أي عدوٍّ قد يهدد ذلك، قد لا يعود الآخرون من الكوكب الآخر، ولا سيّما أنّ "عبد الله" و"فارس" لا يعرفان أنّهما لا زالا على قيد الحياة في عالمٍ آخر.

- لن أموت هنا، دون أنْ يدوّن أحدهم قصتي في كتابه.

قالها "فارس" فنظر إليه أخوه الكبير ووجّه له ابتسامة أخوية لا تعبر سوى عن الحب، فقال له:

- إنّك تستجدي البطولة أيّها المتهور.

رمقه الصغير بنظرةٍ توحي بفهمه لما يرمي إليه الكبير، فقال:

- تخون البطولة غالبًا الأجدر بها.

رمقه الآخر بنظرةٍ، لكنها توحي أنّ الصغير أصاب هذه المرة في حديثه، فقال له:

- يبدو أنّ المتهور لا يمانع أنْ يرحب ببعض الحكمة.

نهض "فارس"، وقال:

- حان وقت الصعود، يبدو أنّ العاصفة انقشعت.

نهض الآخر وتساءل:

- هل هذا وقت التهور؟

نظر "فارس" له بعمقٍ، وقال:

- أستطيع وبكل أسفٍ أنْ أخبركَ أنّ هذا وقت الحكمة، فلن أجعل عودتي لكَ لإنقاذكَ هي موتي.

ابتسم له "عبد الله" ورأى في نفسه أنْ وجد أخاه أخيرًا بعض العقل، ثم شرع الاثنان يشقان طريقهما إلى الأعلى مستخدمين في طريقهما كل ما يساعدهما في التسلق من مجهودٍ ذاتي مرهق، أو أدواتٍ غير صالحةٍ للاستخدام؛ فالصعود أصعب بكثيرٍ من النزول.

***

دبّث أرجلهما أرض السطح وقفا على ترابها، ينظرون حول... -إن كان ما كان في الأسفل أطلال، فعلى السطح إنّه الخراب ذاته- الدمار، لم يتبقَ شيئًا لينظرا إليه، تم محو كل معالم العالم العلوي، لم يعد هناك عالم علوي لقد دمروا كل شيءٍ، كأنّهم أتوا إلى أرضنا بهدف محو كوكب الأرض من الوجود، والأموات في كل مكانٍ من بشرٍ وآليين.

وبالفعل، نجحوا في ذلك؛ لقد تم محو كل ما يشكل ملامح كوكب الأرض لقد تساوى كل شيءٍ بالأرض، لم يعد هناك شيءٌ لينظرا إليه بالأعلى، لقد بات كل شيءٍ تحت بصرهم؛ عصفت العاصفة بكل شيءٍ، لقد تعمدوا فعل ذلك خروج البشر عنوةً عبر الطريق الذي ليس له عودة، ثم انقشاع كل ما يعبر عن الإنسانية، لم يتم استخدام صاروخٍ واحد لهدم ما تم بناؤه في غضون ثلاث سنواتٍ،

بل استخدموا أساليبهم الخبيثة، لقد صنعوا أجواء الزلازل، وتحكموا في الطقس، وجعلوا في العاصفة الشديدة قوة الترددات والموجات الصوتية، لتدمر كل شيءٍ في طريقها.

ظلّا ينظران حولهما يتأملان فيما بات عليه الأمر، حتى شعرا بالأسف واليأس فقال "عبد الله":

- إنّه دمارٌ ما بعد العاصفة.

صمت برهةً ثم أردف:

- ماذا الآن؟

أجابه "فارس":

- يبدو أنّهم غادروا بعد أنْ تأكدوا من إنهاء كل شيءٍ، علينا أنْ نحمي أنفسنا، قد يكون منهم مَن لا يزال موجودًا.

ثم أردف:

- السؤال هو .. إلى أين نذهب؟

فكّر "عبد الله" وهو ينظر حوله:

- لقد أصبح الأمر فوضويًا، لم تعد هناك حدود لمعرفة إجابة لهذا السؤال؛ ولذلك ليس هناك سوى مكانٍ واحدٍ يجب الذهاب إليه.

تساءل "فارس":

- أين؟

نظر "عبد الله" نحو الشرق، وقال بعد تفكيرٍ عميقٍ:

- إلى البحر.

اندهش "فارس" ممّا سمعه، واستنكر في سخريةٍ:

- نعود إلى حياتنا السابقة، ولكن كيف؟

نظر "عبد الله" حوله إلى بقايا العالم العلوي الملقاة هناك وهناك، وقال:

- يبدو علينا أنّنا سنستغل هذا الدمار لصالحنا، ونصنع لأنفسنا قاربنا الصغير.

***

انقضى يومان آخران كانا مليئين بالعمل والتعاون والمحبة بين الأخوين، ولكن كان الأخ الكبير يعمل بصعوبةٍ، فهو يعمل بقدمٍ واحدة، فالأخرى لا يزال الكسر فيها ولم تلتئم العظمة بعد، كانا يقتاتان ويسدان جوعهما بالقليل كالأسماك على شاطئ البحر، أو ممّا لا يزال تنتجه الأشجار الواقعة التي أوشكت على الموت من ثمارٍ قليلة أوشكت على فقدان قيمتها بسبب الأرض التي تدمرت، كما أنّ هناك لا يزال يوجد بعض المصادر التي تسد الأفواه الفارغة في الأسفل بأرض الظلام، لكنها منتهية الصلاحية. وهذا لن يشكّل فارقًا بالنسبة لهما، تقبلا ذلك على أنْ يموتا جوعًا وحيدين في كوكبٍ لم يعد به أحد فتموت ذكراهما.

انتهيا من صناعة مركب؛ ليعيشا فيه على سطح البحر ويمارسا حياتهما السابقة، كان ذلك هو الحل الأمثل لهما؛ فممارسة شيءٍ يبرعان فيه أفضل من الحياة في أرضٍ أصبحت قاحلةً، تموت فيها

الأشجار والنباتات يومًا بعد يومٍ.

باتا مستعدين لمغامرتهما وشدا مركبهما، وأخذا معهما كل ما يلزمهما من أشياءٍ لا تكفيهما يومين بانتظار مصيرٍ لا يعلمان عنه شيئًا، سيشقان طريقهما نحو المجهول، فقال "فارس" لأخيه:

- لا أعرف لماذا أشعر كأنّنا سنفعلها للمرة الأولى.

أجابه "عبد الله":

- لأنّ جميع المرات السابقة كنتَ تفعلها باختيارك وبكامل إرادتكَ. أمّا هذه ستفعلها مُجبرًا للمرة الأولى؛ فالعادة المرغوبة تصبح مُبغضة حين تستحال إلى فِعلٍ جبري.

ردّ "فارس":

- معك حقٌّ؛ دائمًا تكره النفس ما يُفرض عليها، بعد أنْ فعلته بكل حبٍّ حين كان اختيارًا.

في الصباح الباكر، ركبا مركبهما وشقّا طريقهما نحو البحر مبحرين نحو المجهول الذي يخافان منه، وبعد أنْ مرّ منتصف النهار، وأصبحت الشمس عمودية عليهما، نظر "فارس" إلى الأعلى نحو الشمس محاولًا أنْ يحجب أشعة الشمس الساطعة من على عينيه، ثم رسم على وجهه ابتسامة سخريةٍ، فانتبه أخوه لذلك وسأله:

- علام تضحك؟

أجاب:

- كنا ننعم بدفئها في الشتاء، وبفائدتها في الصيف دون أنْ نعلم أنّ

هناك شعبًا كبيرًا يحارب من أجلها.

نظر "عبد الله" إلى ما كان ينظر إليه أخوه، وعقب بعد أنْ عرف أنّ الحديث على الشمس:

- والآن، لم يعد هناك وجود لهذا الشعب، فأصبحت الأرض بلا حياة؛ ولذلك أصبحث هي بلا فائدة.

قال "فارس":

- أهذا يعني أنّك تعتقد أنّهم لم ينجوا؟

نظر "عبد الله" نحو البحر وقال:

- إنّه البحر يا "فارس"، إنّك تعلم جيدًا أنّه الصديق الأكثر غدرًا، إنّه يفعل ذلك في حالة هدوئه، فما بالك حين يكون منزعجًا! إنّهم لم يتعودوا عليه حتى وإنْ كان معهم شعبنا قراصنة البحر، فما رأيته من ضبابٍ كثيفٍ، أعقبه عاصفةٌ مدمرة، فلن يجعل البحر يكف عن الانتقام ممّا حاول تعكير صفوه ... لن ينجوا.

أومأ "فارس" لأخيه، ثم نظر إلى المركب الصغير الذي يقلهما في بحرٍ واسعٍ مخيفٍ، وما بحوزتهما من قتاد لا يكفيهما حتى يعيدا نفسهيما ويصبحا أكثر استعدادًا لحياة البحر؛ فالأمر هنا مختلف، فسأل:

- وهل سننجو؟

أجاب "عبد الله":

- أعلم أنّ الأمر الآن مختلفٌ؛ فسفينةٌ كبيرةٌ بها قضبان وبها طاقم

عملٍ من قراصنة البحر، وعتاد يصمد لأشرس العواصف البحرية ليس مثل مركبٍ صغير مكشوفٍ وسط بحرٍ هائل به القليل من كل شيءٍ قليل. ولكن علينا أنْ نحاول؛ فغريزة البقاء هي المحرّك الأساسي والعامل المحفز الأقوى لأفعالنا.

صمت "فارس" برهةً من الزمن كأنّه يفكّر فيما قاله أخوه، وكيف سيحاول بالقليل من كل شيءٍ قليل، ثم باغتته فكرةٌ في عقله، فقال في لهفةٍ:

- يبدو أنّنا سننجو أكثر من ذلك، لقد فكّرتُ في المكان الذي يستطيع أنْ يؤينا ويلبي لنا احتياجاتنا.

انعقد حاجبا "عبد الله" وتساءل:

- أين؟

أجاب "فارس" في فخرٍ:

- الجزيرة .. الجزيرة التي ذهب إليها آدم، الجزيرة التي كان بها كهف التنانين.

ابتسم "عبد الله" وقال في فخرٍ هو الآخر:

- هذا أخي الذي لطالما لا يعرف طريقًا للاستسلام.

ثم شقا طريقهما وشرعا يجدفان نحو الاتجاه الذي توجد به الجزيرة؛ فهما يعرفان مكانها جيدًا من خلال السنوات الثلاث التي قضوها مع شعب "آدم" في الترميم والبناء، حتى وصلا إلى وجهتهما بعد أنْ أسدل الليل ظلامه، وفرش القمر ضوءه الخافت.

بعد التجديف لمدةٍ كادت تصل إلى خمس عشرة ساعة، وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها أحدٌ على الإطلاق، لقد كانت كالصدمة التي عصفت بعقولهما، فظلا متسمّرين مكانهما يحاولان أنْ يستوعبا ما يراه أمامهما، إنّهما لم يبصرا شيئًا على الإطلاق، لم يعد هناك وجود للجزيرة!

آدم

عام 505 ب.ت

لم يصدقوا ما شاهدوه، مهما كانت رغبتهم فيما كان يأملونه فعند تحقيقها لا يصدق أحدٌ. وهم الآن يشاهدون سلاحهم القوي الذي به كانت مملكتهم أقوى ممالك القارة، سلاحهم القوي يعود مرةً أخرى لقد عادت التنانين من الانقراض، كأنّها بُعِثَت من جديد.

هذه كانت صدمتهم بأنّهم آمنوا بانقراضها، لم يعتقدوا أنّه سيأتي اليوم الذي سيرون فيه التنانين مرةً أخرى، لقد استغرق ذلك منهم خمسة قرون، لقد صرخ العرّاف "أكاسيا" رغم إصابته قائلًا:

- لقد صدق الملك قبل أنْ يلفظ أنفاسه الأخيرة، لقد ظهرت حقًا أولى علامات النبوءة.

ردّت الملكة "لوسيا" في حكمةٍ وقالت:

- النبوءة لم تذكر شيئًا عن التنانين، ثم إنّني أحفظ كلمات النبوءة عن ظهر قلب، فليس في كلماتها ما يتجسد أمامي، ليس هناك مَن نُبع من الأرض، ولم أرَ النازل من السماء، كما أعتقد ألّا وجود للقمر في هذه الأيام.

كانوا يتحاورون فيما بينهم ولا زالت الصدمة في ملامحهم، ينظرون نحوي بذهولٍ غير مصدقين ما رأوه، فما شاهدوه قطع عنهم ما كان يتحاورون من أجله، لقد شاهدوا الحدث الذي جعلهم أكثر صدمةً، الأمر غير القابل للتصديق، حتى ولو ظلّوا خمسة قرونٍ أخرى لن يصدقوه، كما الحال معي التنين بجواري أنتظر النيران

التي ستنفث من جوفه؛ كي يحرقني أو يلتهمني، ولكن ما حدث عكس ذلك، لقد وقف على رجليه بالأرض بجواري أو أنا الضئيل الذي بجوار جسده الضخم المخيف، وجناحاه اللذين بسطهما حولي وكأنّه يحميني؛ فاندهش كل الحاضرين، لقد فُتِحت الأفواه حتى آخرها، وتوقفت الأنفاس جميعًا في شهيقٍ طويلٍ، وجحظت العيون حتى كادت تخرج من مقلاتها غير مصدقين ما حدث أمامهم؛ فاقتربت الأميرة "فريسيا"، وفي تعجب قالت:

- مَن أنتَ؟

وليّت نظري لجانبي بالأعلى على التنين الأسود، ثم أشحت نظري عنه ووجّهته إلى الأميرة وأجبت:

- لقد أخبرتُكم بالفعل أنّني لا أعلم هُويتي، ولا أتذكّر شيئًا.

قالت ولا زال الاندهاش على وجهها:

- لقد كسرتَ نصل سيفٍ مصنوعًا مِن أقوى المعادن في القارة بأكملها، إنّه معدنٌ لم يستطع أحدٌ كسره من قبل بيديه المجردتين، ثم كررتها مرةً أخرى حين كنتَ تدافع به عن نفسكَ منذ قليلٍ، بعد أنْ ركضتَ في محاولةٍ لإنقاذي في سرعةٍ لم يسبق رؤيتها، لقد كنتَ خلف كل الجنود، وكدتَ أنْ تصل لي قبلهم جميعًا، وقبلها صرختَ صرخةً جعلت الأرض تهتز تحتنا جميعنا شعرنا بذلك، ولكن أوقف زئير التنين كل شيء.

صمتت برهةً، أشاحت بنظرها، ووجهته نحو الآخرين، ثم أعادت النظر نحوي ونحو التنين وأردفت:

- ثم ظهر تنينٌ في المكان الذي كنتَ فيه، بعد أكثر من خمسة قرونٍ من انقراضها، تنينٌ موجودٌ في جزيرة الضباب منذ قرونٍ خمس، أحدٌ لا يعرف عنه شيئًا، ظهر حين ظهرتَ أنتَ، ظهر محاولًا حمايتكَ .. حمايتكَ أنتَ وليس حمايتنا نحن كما يُفترض، يقف بجوارك كأنّه صديقكَ.

فلتخبرنا أيُّها الغريب مَن أنتَ؟

وقف الجميع مشدوهًا مستمعًا لحديث الأميرة، كأنّهم انتبهوا للتّو لما تقوله، ولكن كنتُ أتمنى أنْ أجد الإجابة لأجيب تلك الجميلة صاحبة القلب الأبيض، الذي من المفترض ألّا تكون من هذا العالم، ظللتُ صامتًا لم أنبس ببنت شفة، بحثتُ بداخلي جيدًا لم أجد شيئًا كي ألبي طلبات أذنيّ الأميرة فيما تريد أنْ تسمعه. وهنا، استغل المستشار "تشيني" هذا الصمت وضغط به على كل الحاضرين؛ كي يخلق بذلك منفذًا لنفسه:

- لقد أخبرتُكم أنّه ساحرٌ؛ فمنذ ظهوره انقلبنا على بعضنا البعض، لقد تحكم في عقولنا جميعًا حتى التنين!

لقد بدا أنّ التنين لم يعجبه ما قاله المستشار للتّو، فزأر في غضبٍ تجاههم، حتى شعرتُ بالهواء القوي الذي لفح جبهتي بجواره، زأر دون أنْ ينفث النيران، لقد جعلهم يرتجفون ويرجعون للوراء، ثم ما فعله كان الجنون نفسه بالنسبة لي؛ لقد أخفض رقبته وجعل رأسه قريبًا من مستوى الأرض ونظر نحوي، لم أفهم ما فعله، وماذا يريد مني، فاقتربتُ "فريسيا" وبدتْ أنّها عالمةٌ بسلاح مملكتها، حتى وإنْ لم تعاصره لقد قرأتْ الكثير عنه، فقالتْ في ذهولٍ:

- إنّه يريدكَ أنْ تمتطيه، لقد اختاركَ التنين أنْ تكون صاحبه!

استغربتُ ما قالته، لقد كان جزءًا بداخلي لم يصدق أمر راكبي التنانين حين علمتُ بأمور هذه المملكة، ولكن ها هو الآن يتحقق كل شيءٍ أمامي؛ فشرعتُ أنْ أفعل ذلك، خاصةً أنّ التنين لا يزال ينتظر أنْ أفعل ذلك؛ فركبتُ متسلقًا على أحد جناحيه الذي فرشه أرضًا أمامي تحت قدمي، ثم أخذتُ في التسلق حتى أصبحتُ على ظهره، لقد كان شعورًا مختلطًا أنْ أرتفع في الهواء وبجانبي جناحان منبسطان يرفرفان في الهواء، وأخذ التنين يرتفع بي حتى أصبحتُ أشاهدهم جميعًا تحت مستوى نظري! إنّني أشعر بالسعادة، والخوف، الكبرياء والقلق حقًا صدقتُ أمر الكبرياء الذي يجمح بداخل كل مَن ركب تنينًا.

لقد كان الجميع مذهولًا إلى أبعد حدٍّ، لا زالتْ الأفواه مفتوحةً، والأنفس متوقفةً، والعيون جاحظةً.

هنا، تقدّم قائد الجيوش "موليس" مندهشًا، وفي ذكاءٍ مستغلًا ما يحدث وقال في حزمٍ وقوةٍ:

- بصفتي قائد جيوش المملكة مع عدم وجود ملك على العرش، ووجود خائنين من الأسرة الملكية نفسها، وكما ينص قانون المملكة أنْ يعود الأمر إلى قائد الجيوش حتى يكون هناك ملكٌ شرعيٌ على العرش؛ ولذلك آمر أنا "موليس" قائد جيوش مملكة "لوردلاند" وحامي الشمال القبض على المستشار الخائن "تشيني".

وفور سماع الجنود لذلك، سارعوا في تنفيذ الأمر وتم القبض على "تشيني" وأتباعه، ثم نظر البقية نحو الملكة الخائنة الأخرى والتي

تم اكتشافها على أيدي شريكها، ينظر الجميع نحوها إلى إنّها خائنة زوجها .. قاتلة الملك.

ثم أردف قائد الجيوش:

- كما أترك أمور المملكة إلى الأيدي الأحق لذلك، حتى يتم تنصيب ملكٍ حقيقيٍّ إلى الوريث الوحيد في الوقت الراهن، حتى يعود الآخران، أترك المملكة في أيدي الأميرة "فريسيا".

كنتُ أشاهد ما يحدث عن كثبٍ، وبدا قائد الجيوش يروق لي بعد أنْ كان الرجل الذي لا يتمنى شيئًا في حياته سوى موتي. ثم تبعه العرّاف "أكاسيا" وقال:

- لم أكن أقصد في كلامي التنين أيّتها الملكة، كما أنّني عالمٌ بأنّه ليست هناك علامات من كلمات النبوءة تجسدث أمامنا سوى علامةٍ واحدة.

انتبه الجميع لحديثه بما فيهم أنا؛ فأردف موجهًا نظره نحو الأعلى حيث موضعي على ظهر التنين ومشيرًا بكلامه إلَيّ:

- قد يكون هو الذي به عادث التنانين، لكن ننظر إليه الآن بجوار التنين أقوى سلاح من الأسلحة الأربع، لقد اختاره التنين وبدونه لن نستطيع أنْ نتحكم فيه كما فعلنا منذ خمسة قرونٍ، إنّه وقتٌ كفيلٌ لأنْ يجعلنا نُمحَى من ذاكرة التنانين. قد لا يكون هذا الغريب هو الموعود الذي تتكلم عنه النبوءة، لكنه المفتاح لكل شيء.

***

كل شيءٍ لم يعد كما كان، لقد أبحرتُ معهم إلى الجزيرة كسجينٍ،

وعدتُ معهم إلى أرضهم كأهم شخصٍ في المملكة، لقد أبحرتُ البحر عائدًا على ظهر تنينٍ، أرى كل العالم أسفلي، كما شاهدتُ معالم المملكة وربوعها، رأيتُ جمال قلاعها وأسوارها الصلدة. كانوا فرحين مهللين بعودة التنانين، حتى لو كان تنينًا واحدًا فهو قادرٌ على محو مدنٍ بأكملها بمفرده.

كل هذا لم أكترث له، لقد عدتُ معهم لسببٍ وحيد هو ما كان شغلي الشاغل وما يؤرق فكري، إنّه ذلك الطفل الذي تحدّثت عنه الأميرة "فريسيا" حين أخرجتني من السجن.

ولكن وسط هذه الفرحة كانت هناك بعض النفوس التي تحمل الضغائن؛ كقائد الجيوش والعرّاف اللذين لا ينفكان من نظرتهما للملكة "لوسيا" أنّها خائنة قاتلة.

كما هناك نظرة الملكة لابنتها، كانت نظرةً تحمل الكثير من السعادة المختلطة بالحزن؛ فسعدتُ لابنتها لأنّها تراها كما تمنت، حتى إنْ كانت القائد المؤقت ليس هذا سوى البداية، وحزينة لأنّها تقلق من الصورة التي أخذتها ابنتها عنها، وما القرار الذي لم يقدر قائد الجيوش على اتخاذه وعلى الأميرة أنْ تفعله، ما مصير الملكة قاتلة الملك؟

أرى كل هذه الأشياء في عيونهم ونظرات بعضهم لبعض، أمّا عن نظراتهم نحوي فهُم يرونني كالمنقذ القوي الذي سيمحو أعداء مملكتهم، يرونني المفتاح لنبوءتهم بعد أنْ كادتْ أنْ تُنسى بسبب سلطة الملوك محاولين تحجيمها، ولكن بموت الملك الأخير والد "فريسيا" حين لفظ أنفاسه الأخيرة قائلًا أنّ النبوءة حقيقية، وأنّ

أولى العلامات ظهرت، وبسبب ذلك الجميع يبحث عن أولى العلامات التي رآها الملك الراحل، وأنا في نظرهم مَن سيقدر أنْ يجمع علامات النبوءة.

لقد تغيّر كل شيءٍ بموت الملك ووجودي هنا؛ حاول الجميع أنْ يُرضي غرائزي ومتطلباتي، ولكن لم أرد سوى شيءٍ واحدٍ، وهو معرفة ذلك الطفل؛ فطلبتُ من الأميرة رؤية جميع الأطفال الذين تم تجنيدهم منذ أسبوعين. لقد فعلتْ ذلك وطلبتْ من قائد الجيوش أنْ يجمع كل الأطفال، وبعد مرور يومٍ كان جميع الأطفال على مرمى عيني، فسألتُ الأميرة:

- كيف ستتعرف عليه إنْ كنتَ لا تتذكّر شيئًا

أجبتُها في ألمٍ وأملٍ:

- أتمنى ألّا يكون مثلي فاقدًا ذاكرته، فيتعرف عَلَيّ هو، آمل في ذلك جدًا.

ثم تقدمتُ بضع خطواتٍ، وسرتُ في وسطهم أنظر إلى كل طفلٍ منهم؛ آملًا أنْ يخرج طفلٌ من صفوفهم، ويقول لي... لا أعرف ماذا يقول؛ فأنا لا أعلم هل له صلة قرابة بي؟ أم أنّه لا يعرفني من الأساس، وأنّ كل ذلك وهمٌ سيتبخر مع الوقت؟ حقًّا هذا أسخف وأصعب شيءٍ، وليس سوى الذاكرة هي أغلى شيءٍ لدى الإنسان؛ فالذكريات هي ما تجعلنا بشرًا، وهي السبب في استمرار الحياة، الذكريات هي ما تشكّل مستقبلنا وتبني علاقتنا، الذكريات ما تجعل لحياتنا معنى، أمّا أنا الآن لا أنكر لحظةً واحدةً أنّ حياتي ليس لها أي معنى، ولا أعلم لماذا أحيا؟ وما الهدف الذي أسعى وراءه؟!

لقد تحطم أملي حين أنهيتُ المسير وسط صفوف الأطفال دون أن يخرج أحدهم ويقول لي أي شيءٍ، كلهم كانوا بوجوهٍ خاويةٍ من أي شيء. نظرتُ نحو الأميرة "فريسيا" التي رأيتُ عينيها المغرورقتين، فقالتْ لي في ندم:

- الوحيد الذي يعرفه مات، قتله المستشار ليضمن بألّا يشِي به.

نظرتُ إلى الأسفل آسفًا، ثم أغمضتُ عينيّ ورفعتُ وجهي إلى الأعلى، كأنّني أنادي على القادر على كل شيء، الخالق الذي يعلم ما بداخل كل إنسان، الذي يعلم ما أشعر به الآن من حرقة في قلبي لا أعرف سببها. فتساءلتُ:

- إنْ كان هناك طفلٌ كان بمثل ملابسي، وإنْ كنتُ أنا لست من أرضكم، إذن لا بدّ وأنْ يكون هناك أشخاصٌ غرباء مثلي، وبالتالي سيكون هناك أطفالٌ أخرى غير هذا الطفل كانوا يرتدون مثل ملابسي الغريبة عنكم.

ثم سمعنا ذلك الصوت الصغير الوديع، الذي توقفتْ كل الآذان لتستمع إليه حين قال:

- كان هناك طفلٌ معنا، لكنه ليس هنا الآن، لا أعرف إلى أين أخذوه.

دنوتُ منه وسألته في لهفةٍ:

- مَن الذين أخذوه؟

أجاب وكان الجميع متلهفًا لما سيقوله:

- لا أعرف، لكنهم بدوا أنّهم غرباء ليسوا من هنا، إنّنا كبرنا هنا

وعرفنا هيئة شعبنا، كان قائدهم شخص أصلع قوي البنية. كان يرمقنا بنظراتٍ غريبةٍ، لقد تسللوا خفيةً وأخذوه، ولقد شعرنا بالخوف فلم يقدر أحدٌ منا أنْ يقول شيئًا.

هنا جحظت عيناي مثل كل مَن كان حاضرًا؛ الأميرة، وقائد الجيوش، والعرّاف، هنا علمنا جميعًا أنّ كل هؤلاء الأطفال الذين يمتثلون أمامنا من أطفال المملكة من شعب هذه الأرض، وليسوا بغرباء مثلي.

كما جال في فكري حين قال هذه الطفل أنّ قائدهم رمقهم بنظراتٍ غريبة إنّه واحدٌ تنطبق عليه هذه المواصفات، لقد كان يرمقني بنظراتٍ غريبة أيضًا حين كنتُ معه في السجن، فكم شعرتُ حينها أنّه يعرفني جيدًا.

فقلتُ في قلقٍ:

- هناك مسجونٌ كان معي في السجن، بدا كأنّه على علمٍ بكل شيءٍ؛ أشعر أنّه هو مَن أخذ هذا الطفل.

سأل قائد الجيوش "موليس":

- كيف وهو مسجونٌ؟

فقال الطفل شيئًا لم ولن يصدقه أي عقلٍ:

- إنّهم أشخاص أشداء، يستطيعون أنْ يكسروا الحديد، ويدمروا أي شيءٍ أمامهم.

هنا الجميع نظر نحوي، كأنّهم يقولون إنّ أولئك الأشخاص مثلي،

يستطيعون أنْ يكسروا الأشياء الصلدة، لقد فكّرتُ في ذلك أيضًا.

فسأل العرّاف "أكاسيا" في حكمةٍ:

- متى حدث ذلك؟

أجاب الطفل:

- منذ وقتٍ قصيرٍ.

فقال قائد الجيوش:

- لذلك السبب أحدٌ منا لا يعلم بهروبهم حتى الآن.

فأمرتْ الأميرة في حزمٍ:

- اذهبوا إلى السجون وتيقنوا من ذلك بسرعةٍ، وانشر أيُّها القائد جميع الجنود في ربوع المدينة، لا أحد يخرج منها.

تيقنتُ من شكي حقًّا، لقد أصبتُ في ما فكّرتُ فيه، إنّ ذلك الرجل يعرف هُويتي، ويبدو أنّه عالمٌ بأمر الطفل، وهذا يدل على أنّ الطفل له صلة قرابةٍ بي. ولكن لماذا يفعل ذلك بي؟ ما الذي اقترفته في الماضي يجعل لي أعداء؟

هرولنا إلى السجن وكانت الأميرة وقائد الجيوش، أمّا العرّاف اختلى في غرفته يمارس طقوسه المقدسة محاولًا أنْ يعرف أي شيءٍ، وكانت الصاعقة لقد رأينا عددًا من جثث جنود المملكة مطروحةً أرضًا، وأنّ ذلك الشخص لم يعد له وجود، ثم أبصرتُ ذلك الرجل الذي كان يسرد لي تاريخ المملكة، لقد كان بجُرحٍ غائر، دنوتُ نحوه فقال لي في صوتٍ مبحوحٍ متألمًا من جراحه:

- لقد كان يعرفكَ منذ البداية ولم يكن بمفرده، لقد كان هنا بعض الأشخاص معه، وترك لكَ رسالة.

انتبهنا جميعنا، وأنا لا أملك سوى نظراتٍ متسائلةٍ، فأردف:

- لقد قال أنّه لن يترك قومكَ، ستموتون جميعًا هذه المرة.

جحظت عيناي، وتوقفت أنفاسي، ثم نهضتُ من مكاني، وتساءلتُ بصوتٍ مسموع:

- هل لي قوم؟ وهنا؟

ثم جاء أحد الجنود وقال ما لم من المفترض أنْ يقال، ليس في هذا الوقت العصيب؛ لقد قال الجنود بما يهدد أمن المملكة كلها، لقد قال في خوفٍ:

- أرسلنا النسور والصقور كالعادة لمعرفة ما إذا كان هناك عدوٌّ يقترب نحونا.

تساءلت الأميرة:

- ماذا بعد؟

تردد الجندي قليلًا، ثم قال في خوفٍ متزايد:

- لم تعد النسور أو الصقور فقلقنا، وفكّرنا أنّ هناك مَن يتربص لنا حول المملكة؛ فأرسلنا كشافتنا لتأكيد شكنا، فعادت الكشافة وأخبرتنا أنّ هناك تحركاتٍ من الاتجاهات الثلاث نحونا، هناك قواتٌ كثيرة من الممالك الثلاث الأخرى.

قال قائد الجيوش في استنتاجٍ:

- لا بدّ أنّ ذلك بسبب ذهابنا إلى جزيرة الضباب؛ فبهذا نقضنا المعاهدة، ولكن كيف علموا كلهم في ذات الوقت، أهناك خائنون وسطنا؟

تساءلت في اهتمامٍ:

- أي معاهدةٍ التي نقضتموها؟ وما سر جزيرة الضباب هذه؟

تبادلا النظرات فيما بينهما، ولم يجيبا بشيءٍ؛ فأدركت أنّه سِرٌّ بالفعل ولا يريدون أن يعلم به أحدٌ غريبٌ ليس من أرضهم؛ فنظرت نحوي الأميرة وقالت لي في أسفٍ ما اختلج له قلبي:

- إنّني آسفةٌ لأنّني سأضطر أن أتمهل في أمر هذا الطفل في الوقت الراهن؛ فهناك قوات الممالك الثلاث الأخرى يعلنون الحرب علينا، وحان الوقت كي تقود ذلك التنين وتأتي معنا.

امتقعت وقلت معترضًا:

- لماذا أدخل في حربٍ ليست حربي؟ وأترك أمر قد يكون هو كل ما أملك هنا.

امتقع وجهها أيضًا قائلةً:

- إنّها حرب الممالك، تعاد للمرة الثانية، كادت المرة السابقة أن تمحي شعوبًا كثيرة من الممالك الأربع، ثم ستصبح في نظر شعب مملكتنا الخائن، بعد أن كانوا ينظرون إليكَ إنّكَ المنقذ. لن تخرج من هنا حيًا من غضب شعب مملكة "لوردلاند"، كما الحال مع الطفل.

وقبل أن أجيب حديثها المرعب، كان قد جاء العرّاف، وسمع ما

قالته الأميرة وبدا أنّه انتهى من خلوته وطقوسه، ولكن هناك شيءٌ آخر أثارني لقد كان القلق على وجهه، جاء يلهث قائلًا في لهفةٍ إلى الأميرة:

- ليست حرب الممالك التي يجب أنْ تقلقي بشأنها.

انعقد حاجبا "فريسيا" وتساءلت:

- ماذا تقصد؟

قال في ترددٍ وقلقٍ وفي نظراتٍ غير ثابتةٍ ما جعل قلبي يتزعزع من صدري:

- نحن على مشارف حربٍ ستمحو قارة "أوشانلاند" من على وجه الأرض بشعوبها، بأطفالها، بملوكها ستبيد الجميع!

سارة

خائنة؟ أنا لست كذلك، كيف أكون خائنةً؟ ولماذا؟ ومن هؤلاء أو أولئك لكي أكون جاسوسةً لأحدهم ضد الآخر؟ ما هذا العالم من الأساس؟ مِن أين هذا التنين الرمادي ذو العينين الصفراوين؟ ولماذا يحميني بجناحيه؟ لقد اقتُلِع قلبي من مكانه ذعرًا وفزعًا فور رؤيتي لتنينٍ يظهر من خلفي، كيف تنينٌ من مملكةٍ أخرى يعرفني؟! مَن أنا؟

غضبتُ وقلتُ بصوتٍ حادٍّ:

- لم أخن أحدًا، ولا أعرف تلك المملكة التي تحكي عنها.

زمجر الملك "إيكاي"، وصرخ بصوتٍ قويٍّ دون أنْ يبالي بوجود ذلك التنين الرمادي الذي يحميني بجناحيه:

- اقبضوا عليها.

تحرّك جنوده فور سماع أمره، وهنا نظر التنين إليهم وشعر بالخطر الذي يحدّق بي؛ فرفع رأسه المهيب إلى الأعلى ونصب جسده، وبسط جناحيه عليه، وزأر بصوتٍ رهيبٍ جعل القلوب تُقتلع من مكانها، فنظرتُ إليه ووجدتُه على أهبة الاستعداد كي يطلق ناره من جوفه، تزعزع قلبي من مكانه، خفتُ بل ازددتُ رعبًا، لا أريد أنْ يحرق التنين كل هؤلاء الجنود وملكهم، كما أنّ هناك على الجانب الآخر كان ذلك الغريب الذي اختلج له قلبي حين أدركتُ أنّ التنين سيحرق كل مَن يمثل خطرًا عَلَيّ، ولا أعرف حتى الآن لماذا أهتم لأمره؟! ذلك الغريب الذي تفاجأتُ حين رأيتُه واقفًا وسط قطيعٍ من الذئاب ينتظرون إشارته، لقد كان هو الموعود منذ البداية ولستُ أنا،

كم سعدتُ من أجل إخلائي من تلك المسئولية! وكم أشفق على ذلك الغريب رغم أنّني أراه على قدرٍ من المسئولية؛ فلقد أصبح الذئب العائد من الموت الموعود صاحب النبوءة.

لقد مرّ كل ذلك في أقل من ثانيةٍ، وتملّكني الخوف من شعر رأسي حتى أخمص قدميّ، لم يتبقَ للتنين شيئًا حتى يطلق عنانه ويحميني من أولئك الجنود، صرختُ لا إراديًا، وكأنّ التنين سيفهم ما قُلته، صرختُ بكل خوفي:

- لاااااااا.

وكانت الصدمة لي قبل أنْ تكون للجميع؛ لقد توقف التنين في آخِر لحظةٍ ولم يطلق نيرانه! لقد أعاد نيرانه بداخل جوفه مرةً أخرى ونظر نحوي ثم هدأ، كان ذلك بعد أنْ رجع جنود الملك من الأمر خوفًا على حياتهم من براثن هذا التنين، لم أكن أتوقع ذلك؛ لقد رأيتُ أمام عينيّ منذ لحظاتٍ أنّ كل هؤلاء جثثٌ محروقة، لكنهم لا زالوا بشرًا بلحمٍ ودمٍ.

لقد رجع التنين عن قراره تنفيذًا لكلمتي، ولا أعرف كيف ذلك؟! كيف أسيطر على تنينٍ دون أنْ أعرفه أو يعرفني؟! كيف يفهمني التنين من الأساس؟! يا له من عالمٍ غريبٍ بممالك عجيبة، وحكاياتٍ مجنونة لكل مملكة.

نظر إليّ الملك بنظرةٍ توحي بعدم الحيلة، وكونه ملكًا فلا يقبل بذلك، ولأنّني أريد أنْ أعرف مَن أنا، ولأنّني لا أعرف إلى أين أذهب فقررتُ البقاء حتى وإنْ كنتُ لا أرغب بشيءٍ سوى مغادرتي هذه الأرض، بوجودي هنا فلن أتعرض للجنون، أين سأذهب بمفردي بتنينٍ

عائد بعد انقراض؟! فسيكون غنيمةً لأي مملكةٍ أخرى، وأكون أسيرةً من جديدٍ، فنظرتُ إلى التنين فبادلني ذلك ونظر في عينيّ فقلتُ:

- لا أعلم مَن أنا؟ ولا أعرف لماذا تفعل هذا بي؟ ولكن لا أريد أنْ يطاردك أحدٌ بسببي، اذهب واتركني غادر وطِر حرًّا إلى مكانكَ الأصلي.

أخرج التنين صوت أنينٍ سمعته عن قرب، كأنّه لا يريد أنْ يتركني، كأنّه يعرفني أشد المعرفة إنّه ضخمٌ مهيبٌ، لكنه يشعر أيضًا، مَن أنا كي يلبي تنينٌ كلامي؟ ما هو ماضيّ؟ ثم نصب التنين جسده مرةً أخرى وبسط جناحيه للأعلى، وبكل غرورٍ رفع نفسه إلى الأعلى وشق الهواء وغادر بعيدًا متجهًا شمالًا، كان الملك وجنوده والغريب ينظرون نحوي مندهشين ممّا يحدث أمامهم، فنظرتُ إلى الملك ودون أنْ أنبس ببنت شفةٍ مددتُ مستسلمةً ذراعيّ بقبضتين، أشرتُ لهم أنّني جاهزةٌ للاستسلام؛ فزاد اندهاش الملك، ثم نظر لجنوده وأومأ لهم فدنوا نحوي وقيدوني، هنا تقدم الغريب وقال للملك ناظرًا نحوي:

- لا أريدكَ أنْ تؤذيها.

كم أحببتُ ذلك، رَنا الملك إلى الغريب وقال له:

- لقد جعلَتنا نعتقد أنّها الموعودة، في حين كنتَ أنتَ صاحب النبوءة من البداية، سامحني على معاملتي لكَ.

غضبتُ عند سماع كلمات الملك، فلن أقبل باتهامي بشيءٍ لم أفعله، وكدتُ أنْ أرد على هذه التصريحات، فوجدتُه يدافع عني قائلًا:

- إنّها لم ترد ذلك من البداية، لقد أخبرتني هي بذلك، ثم إنّكم مَن زعمتم أنّها المختارة ليست هي التي جاءت إليكم، إنّني أهتم لأمرها ولا أريد أنْ يتم المساس بها.

صمت الملك قائلًا، ثم نظر إلى الذئاب التي في رهن إشارة الغريب، ثم قال:

- لقد قتل تنينها نصف ذئابنا، لكنكَ عدتَ في الوقت المناسب، فبكَ ستأتي الذئاب الضالة وستتوحد الذئاب كقطيعٍ واحد قوته في وحدته، قطيعٍ لن يُهزم.

ثم نظر نحوي وأردف:

- النساء قادراتٌ على أنْ تجعلكَ تؤمن بشيءٍ، تريدكَ أنْ تُسلِّم به من البداية، ولكن لن أجعل انتقامي يُفقدني ما بحثتُ عنه سنوات عمري.

***

سجينةٌ في الزنزانة التي كان بها ذاك الغريب من قبل، محبوسةٌ في مكانه لقد تبدّل الحال، أسمع من حوارات الجنود التي تمر من أمام باب الزنزانة أنّ الملك أمر بتجهيز الجنود، وآلات الحرب، والعتاد، وجميع ما يلزم لمسيرةٍ قد تستمر أسابيع إلى مملكة الشمال. ولا سيّما أنّها رحلةٌ برية وسط الجبال، والغابات، والتلال، والطرق الصعبة حتى يصلوا الطرق الخضراء في جنوب مملكة "لوردلاند" حيث بحر "أوشا"، ومنها إلى الأراضي البيضاء، لطالما امتاز الشمال بالجليد في وسط المملكة وشمالها.

لقد انقضى خمسة أيامٍ من الأصوات الصاخبة التي تسبق سفر آلاف البشر من مكانٍ لآخر، وإنّهم ليسوا بشرًا فقط إنّما جنود حربٍ، وعتاد، وآلات، وذئاب، إنّها مملكة الأقزام، حقًّا مملكةٌ مجنونة! لو لم يتحوّل ذاك الغريب إلى ذئبٍ ليكون هو صاحب النبوءة لما كانت تفعل المملكة هذا الصخب، لكان الملك خائفًا على مملكته وشعبه وعلى تحقيق انقراض الذئاب، لكن أصبح الأمر غير ذلك؛ فجاء مَن سينادي على جميع الذئاب من كل حدبٍ وصوبٍ ويوحد قطيعهم.

مرّ أسبوعٌ ثم هدأ الجو، وأصبح القليل عند الممر، وعادت الهمسات بعد أنْ كان الصخب، عمّ الهدوء الأجواء. لا أفعل شيئًا سوى انتظار ذلك الحارس الذي سيدخل من باب الزنزانة ثلاث مراتٍ يوميًا حاملًا الأكل.

لقد عاد بي التفكير مرةً أخرى كوني وحيدةً هنا، ليس لي مثيل، ليس سوى أنا المختلفة بعد أنْ كان معي آخر مثلي غيرهم، لقد ذهب الذئب العائد من الموت معهم إلى الحرب، إنّه هو الذي سيكون منقذهم. رغم قصر قامتهم، وصغر أحجامهم، إلّا أنّهم مخيفون، وجوههم التي تحمل الكثير من الشعر الكثير يفزعني، رغم إنّ منهم مَن يملك قلبًا طيبًا.

تقوقعتْ وحيدةً في الزنزانة أتأمل في اختلافي الذي يكاد أنْ يكون أمرًا مزعجًا لي، كوني المختلفة الوحيدة بينهم لقد أصبح هذه الأمر يجعلني أشعر بالوحدة، والجنون، والعزلة، ثم الضجر.

ولكن حدث ما حال دون ذلك، حدث ما لم يكن في الحسبان، ما لم أتوقعه أبدًا، لقد صُدِمتْ حين فُتِح باب الزنزانة، ورأيته واقفًا ناظرًا

نحوي، ذُهِلتُ حين أبصرتُه لأنه ليس من المفترض أنْ يكون هنا، لقد رأيتُه طويلًا عن بقيتهم مثلي، لقد كان منقذي وليس منقذ مملكة "نانيوس"، هو ذاك الغريب واقفًا أمامي يقول لي:

- هيّا سنطلق سراحكِ.

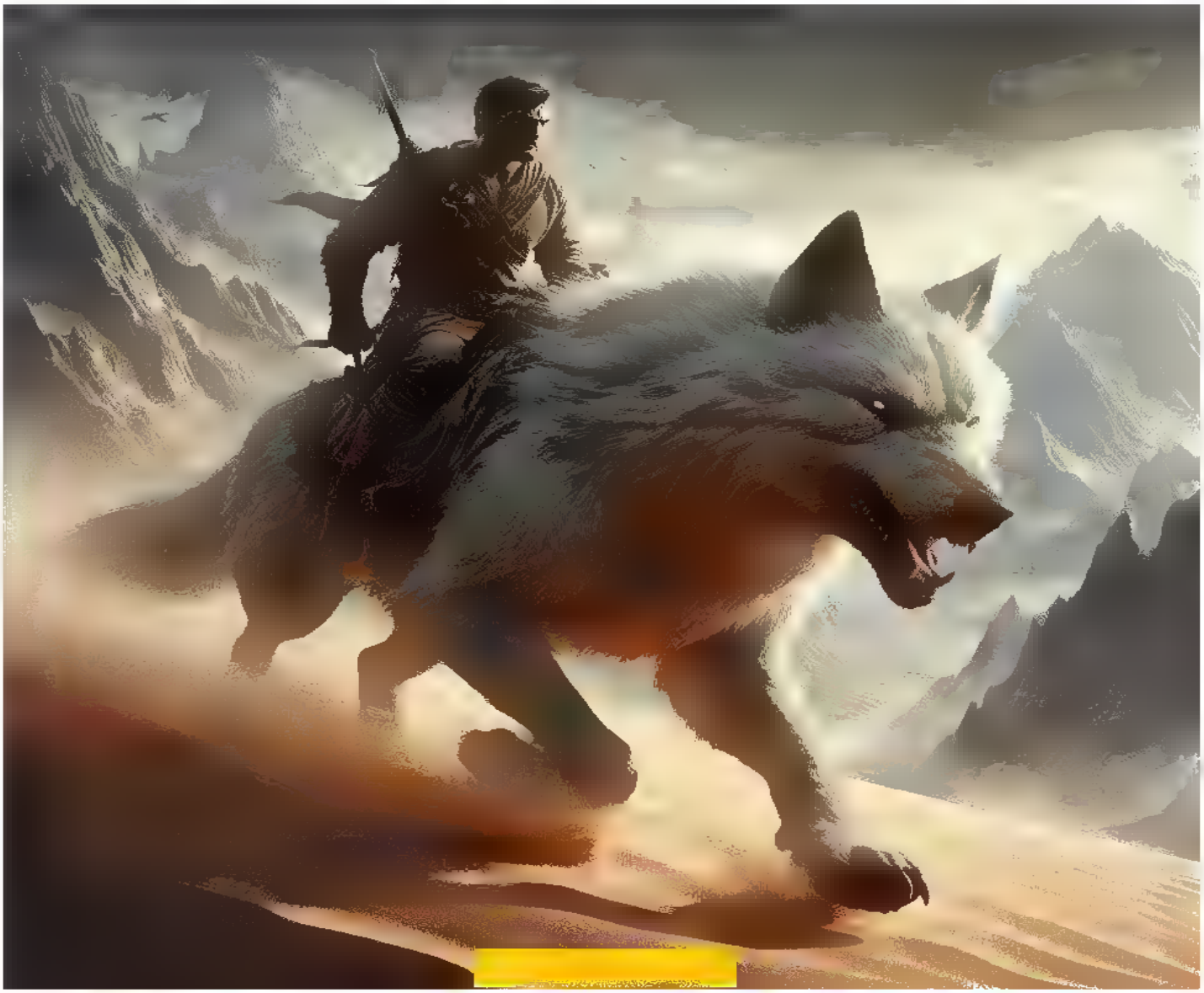

أيوب

رغم أنّني حاملٌ المفاجأة، كوني واقفًا وسط العشرات من الذئاب التي تنتظر إشارةً من قائدهم الذي سيوحدهم، لكن الصدمة حقًّا كان فيما رأيناه جميعًا حين ظهر هذا التنين الرماديّ الضخم الذي كان يقف بجوار تلك الفتاة الغريبة المحبوبة، والجنون حقًّا فيما فعله بعد ذلك لقد حاوط الفتاة بأحد جناحيه كأنّه يحاول حمايتها، ناظرًا نحونا مكشرًا عن أنيابه الحادة، ولا سيّما أنا؛ لأنّي الوحيد الذي يمثل خطرًا عليها، فأنا أملك الذئاب.

ولكن.. كيف ذلك؟! كيف يفعل تنينٌ هذا؟! أعلم بأمر مملكة الشمال وتحكمهم في التنانين، ولكن كيف مع هذه الفتاة؟ أم هي ليست من أرضي؟ وأنّها حقًّا جاسوسة من مملكة "لوردلاند" كما يزعم الملك "إيكاي" ماذا؟! هل هذا يعني أنّها من شعب هذه القارة؟ وأنّها كانت تكذب بأمر فقدانها لذاكرتها مثلي؛ كي تستدرجني وتأخذ مني ما يفيدها لتكسب الحرب لصالح شعبها؟ كنتُ واقفًا هائمًا في بحر أفكاري وشكوكي ولا أعلم ماذا أقول، كنتُ صامتًا أحاول أنْ أقنع نفسي أنّ هذه الفتاة لم تكن تفعل ذلك، لا أريد أنْ أصدق هذا، أريد أنْ أصدق بما سمعته منها الآن بما زعمتْ به أنّها ليستْ خائنةً وأنّها ليستْ من أي مملكةٍ، ظللتُ هكذا حتى قال الملك بصوتٍ حازم:

- اقبضوا عليها.

هنا، انتفض التنين وانتصب وتأهب بعد أنْ فتح فاه وتوهج جوفه، جحظتْ عيناي، الآن سنصبح جثثًا محروقةً بسبب ما تفوه به هذا الملك الغشيم، ولكن ما حدث غير ذلك؛ لقد رأيتُ ما لا يصدقه عقلٌ،

لقد تحكمت فيه فور قولها كلمة "لا". كيف تفعل ذلك؟! من أين لها هذه القوة؟ بالكاد أعرف أتحكم في الذئاب، وهي وبكل بساطةٍ تجعل التنين بضخامته وشراسته يخضع لها! إذن، هي حقًا من مملكة الشمال، تلك الشعوب الوحيدة التي تستطيع أنْ تتحكم في التنانين.

نظرتُ نحو الملك قليل الحيلة الغاضب الذي تمت خيانته، المطعون في ظهره مِمَن حسبها صاحبة النبوءة، لقد غطى ذلك سعادته حين أصبح أخيرًا الموعود حقيقيًا وتحاوطه الذئاب كما كان يأمل. ولكن ما فعلته الفتاة جعل كل ما حسبته قطعًا من الورق مبعثرًا متطايرًا.

حقًا تبًا لكل شيءٍ، تبًا للعقل حين يفكّر كثيرًا، وتبًا للقلب حين يريد أنْ يصدق ما يتمناه، تبًا لكل شيءٍ، لقد دنتُ نحو التنين وأخذتُ تحدّثه كأنّه يفهمها، فأطلق التنين أنينًا ليعبر عن حزنه، لا أعرف كيف ذلك؟ ثم مدتْ يديها مستسلمة تحت الجنود على القبض عليها بعد أنْ طار التنين بعيدًا.

كم أريد أنْ أنقذها بعدما فعلتُ ما فعلته، كم أحببتُ الجزء الذي بداخلي ويريد أنْ يصدق أنّ هذه الفتاة بريئةٌ من كل شيءٍ؛ فكسرتُ صمتي أخيرًا وقلتُ للملك:

- لا أريدكَ أنْ تؤذيها.

غضب الملك، فكان يحاول أنْ يقنعني أنّها خانتنا جميعًا، وأنّها أرادتْ أنْ نصدق أنّها الموعودة، فدافعتُ عنها دون أن أشعر، وحاولتُ أنْ أصحح له ما يحسبه، وأنّ هي لم تأتِ إلى هنا مدعيةً إنّها صاحبة النبوءة بل شعب المملكة فعل ذلك وكان في مقدمتهم الملك، ثم نظرتُ إلى الفتاة ورأيتُها تبصرني بنظراتٍ توحي بالامتنان

والمودة، كم أحببتُ ذلك.

***

أمر الملك بالتجهيزات، كما قام قائد الجيش "كارفا" بتحفيز جنوده وتأهبهم للحرب، فما فعله تنين مملكة الشمال في ذئاب مملكة الشرق كان حقًا إعلانًا للحرب علينا، لم يتردد الملك لحظةً في خوض هذه الحرب، ولا سيّما بعد أنْ ظهر أخيرًا صاحب النبوءة، فبعد أنْ تيقّن من أمر توحيد جميع الذئاب في قطيعٍ واحدٍ ليحارب من أجل المملكة كما في الأيام الخوالي، لقد قدمتُ له يد المساعدة في الاستعدادات اللازمة، وجمع الأسلحة والعتاد، لقد كان جيشًا مهيبًا حقًا رغم قصر قامات جنوده، جيشًا من الأقزام مخيفًا بذقونهم الكثّة، وأسلحتهم الغريبة كالفأس، والبلطة، والرماح، والدروع الثقيلة التي لا يستطيع أحدٌ رفعها سواهم، لقد عاشوا حياتهم في التدريب من أجل لحظات مجدهم.

وسط كل هذا الصخب قال لي الملك ما جعلني أتوتر قليلًا، فحتى لو كنتُ ذئبًا في أسلوبي في المقاتلة، لكني لا زلتُ إنسانًا وأشعر بالخوف حين يلزم، لقد قال:

- عليكَ أنْ تنادي على إخوتكَ.

نظرتُ نحوه بنظراتٍ متسائلةٍ:

- إخوتي؟!

أجابني:

- إخوتكَ الذئاب الضالة التي لا تعيش هنا.

حقًا لا أعرف ذلك، لم يكن من المفترض أنْ أكون أنا الذئب موحد قطيع الذئاب، فما حدث حدث من قبيل الصدفة، كوني الآن موحد الذئاب ولا شك في ذلك، ولقد صارت النبوءة حقيقيةً وآمنتُ بذلك بعد أنْ كنتُ أزعم أنّها خرافات. ولكن حقًا لا أعرف ماذا أفعل؟ ومتى أفعل؟ وكيف أفعل؟ ترددتُ وظهر القلق على وجهي فانتبه الملك واستنبط:

- تتوحد الذئاب وتتآلف مع بعضها البعض من خلال لغتهم الخاصة بهم، إنّه أشبه بالنداء، إنّهم يشعرون ببعضهم، سيشعرون بكَ، سيسمعونكَ، سينصتون لكَ، سيطيعونكَ، ليس عليك سوى النداء، النداء هو لغة التواصل بينهم .. إنّه العواء.

أومأتُ ولا زلتُ لا أعرف كيف ذلك، فتبًا للذئاب أيضًا، وتبًا لموحد الذئاب، ثارتْ أعصابي وهذا ما انتبهتُ له مؤخرًا، يبدو أنّني شخصيةٌ منفعلة، ويبدو أنّني كنتُ أفعل في الماضي الخاص بي الذي لا أعلم عنه شيئًا. كما بداخلي شكٌ أنّني كنتُ شخصيةً لا يحبذها الكثير؛ فأنا لا أطيق نفسي الآن. فكم أريد قَتل كل هذا الشعب ولن أبالي له برهةً من الزمن، بداخلي أريد ذلك بشدة، ولكن ما يمنعني أنّني وحيدٌ هنا في أرضٍ ليست أرضي، ووسط شعبٍ ليس شعبي، كنتُ هائمًا في بحر الجنون، كما أنّني لا أريد أنْ أظهر في مظهر القاتل الشرير في نظرها.

لقد انقضى أسبوعٌ من الاستعدادات والتأهب حتى أصبح كل شيءٍ جاهزًا، لتبدأ الرحلة البرية التي قد تأخذ أسابيع، ولكن هؤلاء الأقزام يملكون من الأحصنة ما يسد البحر. كما أنّ الفرسان الأقوياء يمتطون

الذئاب البيضاء الضخمة التي صارت بهيئةٍ مقاتلة، تكشر عن أنيابها، كل واحدٍ منهم على ذئبه الخاص به، ويصفونها أنّها أضعف ممالك القارة، فإنّي لهم ببقية الممالك؟

تفاجأت بذئبٍ ضخمٍ، بدا أنّه الأكبر حجمًا، كان يقترب نحوي مكشرًا عن أنيابه وكأنّه يريد أن يلتهمني، فنظر نحوي الملك وهو على ذئبه بعد أن انتبه أنّني أرتعب من الذئب الآتي، فقال:

- ستعتاد على الأمر.

ثم أشار على هذا الذئب وقال:

- إنّه الذئب الوحيد الذي ليس له مالك، ولتعلم ذلك فهذا بسبب تمرده القوي، إنّه عنيدٌ حتى السماء، لم يقدر عليه فارسٌ حتى الآن على ترويضه، إنّه أقوى ذئاب المملكة، كما أنّه في ريعان شبابه.

حقًّا ما قال الملك جعلني أخاف أكثر؛ فتساءلت:

- وماذا يريد مني أقوي ذئبٍ في المملكة؟

ابتسم الملك، وقال:

- إنّه يريدكَ أن تكون صاحبه.

لم أصدق في البداية، ثم وجدته يقترب نحوي أكثر محاولًا أن يكون لطيفًا؛ فانخفض لي فأدركت صحة ما قاله الملك، فامتطيته. حقًّا إنّه شعورٌ جميل، كما أريد أن أشعر بالغرور بجانب شعوري الآن أنّني أملك القوة بين يديّ، قال الملك:

- اسمه "أوراس".

أجبته في فخرٍ:

- جميل أنْ يكون له اسم.

قال:

- ستتواصلان مع بعضكما وسيكون بينكما اللغة الخاصة بكما، ستفهمان بعضكما، سيشعر بكَ وستشعر به.

هنا، تذكّرتُ ما فعلته الفتاة مع تنينها الرماديّ.

***

لقد كان جيشًا من المدينتين "دورفلاند" و"وولفلاند" مكونًا من مائة وخمسين ألف جندي، وخمسة آلاف حصانٍ، وما يقرب من ألفي ذئب، وعددٍ كافٍ من المجانيق.

وقبل بداية الأسبوع الثاني كنا قد أخذنا طريقنا نحو الشمال، لقد استعاد "أنطور" مكانته في المملكة؛ فهو الوريث الوحيد والشرعي لمملكة "نانيوس"، وهو الشخص الثالث بجوارنا في قلب الجيش، كما يقودنا قائد الجيش "كارفا". لقد اعترف الجميع بذلك، لقد سامحه أخوه على أخطائه، كم أُعجبتُ بحكمة الملك في بعض المواقف، ونفرتُ من رعونته في مواقف أخرى، سألتُ الملك:

- ماذا لو عاد "تاهو" في غيابنا واستغل الشعب في ثورةٍ عند عودتنا؟

نظر الملك باطمئنانٍ وقال:

- هناك توجد "كلارا".

ابتسمتُ إعجابًا وتقديرًا لتلك العلاقة التي بين الملك وابنة عمه، ومنها فكّرتُ في العلاقة التي بيني والفتاة، لا أفهم كُنيتها، هل هذا حبٌ؟ أم أنّه مجرد انجذابٍ لشخصيتها؟ قد يكون فراغًا عاطفيًا؟ أو بسبب شعوري بالوحدة، ما إنْ عدتُ لحياتي القديمة لم أعد أهتم لأمرها، ولكن هل سأستطيع؟ إنْ كنتُ لا أطيق رحلتي مع جيشٍ في أرض إلى حربٍ ليست لي أية علاقة بها.

اشتقتُ إلى الأيام السابقة كوني الغريب السجين التي تأتي فتاةٌ لتنقذه، هناك حربٌ بداخلي هي التي أريد أنْ أنتصر فيها لا حرب بها ذئاب وتنانين. إنّها حربٌ بين ما أريده وما يُملى عَلَيّ. وبعد صراعٍ كبيرٍ، نظرتُ نحو الملك وقلتُ له بعد أنْ قررتُ في نفسي ماذا أريده:

- سأذهب لأطمئن على الجنود في الخلف.

رجعتُ مع ذئبي "أوراس" وأنا فوق ظهره، ووصلتُ بعد الكثير من الوقت لمؤخرة الجيش، ثم وليّتُ نظري للخلف نحو ما يُملَى عَلَيّ، وقررتُ أنْ أتركه لأفعل ما أريده، فلن أظلم نفسي وأجلد ذاتي وأصف أنّ هذه أنانية، لكنه انتصارٌ مع نفسي على نفسي وإنْ كان الجميع يصفها بالأنانية، فليس لديّ أية مشكلةٍ كوني شخصًا سيكوباتيًا.

دنوتُ نحو "أوراس" وهمستُ في أذنه لعله يشعر بي كما زعم الملك، وقلتُ له:

- هيّا لنترك حربًا بها الكثير من الخراب؛ لننقذ ما يُطيّب القلب، هيّا لنترك مصير مملكةٍ بشعبها لننقذ حبيبتي.

ثم ركض بي "أوراس" عائدًا نحو المدينة، نحو الجبال .. الجبال الحمراء، حيث السجن .. الزنزانة، حيث قُرّة عيني الفتاة، عَلَيّ أنْ أنقذها يجب أنْ أحررها كم فعلت بي، قد يكون الأمل في ذلك قد يكون مصيرنا في عودتنا إلى حياتنا السابقة مرتبطًا بكوننا معًا، ثم فكّرتُ برهةً وأخبرتُ نفسي أنْ قد يكون السبب وراء عودتي ليس في رغبتي بعودتي إلى حياتي السابقة، بل لأنّني أريد أنْ أكون معها لأنّني أحبها.

وصلتُ إلى وجهتي، وهجمتُ على ما تبقى من الجنود ومعي الذئب، ثم سرقتُ المفاتيح وفتحتُ الزنزانة ورأيتُها...

رأيتُها جالسةً وحيدةً ليس لها قوة، تتحدّث عيناها وكأنّها كانت على أمل أنْ يأتي أحدهم ليحررها، وكأنّها كانت تنتظرني، لمعتْ عيناها ونظرتْ نحوها، نهضت فقالت في عينين مغرورقتين:

- لم أتوقع أنْ تكون هنا وليس مع الجيش، لكني أردتُ ذلك بشدة.

ركضتُ نحوي ولا إراديًا بسطتُ ذراعيّ فارتمت في أحضاني وانهمرتْ بالبكاء، ولكن حدث ما استوقفنا؛ لقد سمعنا أصوات خُطى بالخارج، فهرولنا لنتخفى عن الأنظار قبل أنْ يصل صاحب الخُطى إلى هذا المكان، ولكن كان قد فات الآوان؛ لقد كانت هناك وسط العشرات من الجنود ذات شخصيةٍ قوية رغم طيب قلبها الذي علمتُ به، إنّها "كلارا" ابنة عم الملك التي تحبه دون راجع، ثم دققنا النظر فأبصرنا المستشار "تاهو" برفقتها، ويداه خلف ظهره كأنّه واثقٌ من نفسه ماذا؟ كيف؟ لماذا برفقتها؟ فتساءلتْ الفتاة بجواري:

- هل كانت "كلارا" برفقته من البداية، وإنّني أخطأتُ بظني بها

الخير؟

تسمّرنا حيث نقف، وقبالتنا "كلارا" والمستشار ومعهم الجنود، فبادرتْ هي بالحديث موجّهةً إيّاه إلَيّ:

- أرى أنّك تخون ملكَك أيُّها الموعود.

لم أجبها بل صرختُ باسم "أوراس"؛ فركض الذئب من بعيدٍ لقد سمعنا كلنا زمجرته، لقد كان خلفهم، فهُم بيننا والذئب، نظرتُ "كلارا" خلفها نحو الذئب ثم عادتْ تنظر إلَيّ، فقالتْ الفتاة الغريبة:

- ظننتُكِ حقًّا تحبين الملك.

ضحكتْ "كلارا" وقالتْ:

- ليس هناك شخصٌ على وجه الأرض يستطيع أنْ يزعزع الحب الذي أكنُّه للملك.

اندهشنا، كيف ذلك؟! فما الذي نراه؟! لقد أوهمنا بصرنا، لقد كانت يديّ "تاهو" خلف ظهره مقيدةً، وإنّها كانت آتيةً إلى هنا برفقته لتزجّه إلى السجن بنفسها، فلم يكن يهدأ لها بال حتى تقبض عليه لتجعل أعداءها تُصب عينيها، فأمسك به الجنود في ربوع المملكة عند سفوح الجبال، فنظرتُ نحو الفتاة وقلتُ:

- لن يخيب ظنكِ أبدًا.

ثم قالتْ "كلارا" ما لم نتوقعه على الإطلاق، توجهت بالحديث إلى الفتاة:

- كنتُ آتيةً لكِ لأحررَكِ.

تساءلت الفتاة في ذهولٍ:

- ولكن لماذا؟!

أجابت "كلارا":

- لقد سمعت أنّكِ السبب في جعل الملك يعيد التفكير في أمر سجني والظن بي سوءًا، لقد أتى إلى هنا حيث كنت سجينةً، لقد اعترف لي بذلك، لقد أتى بي لأغفر له، فكونه ملكًا ليس له حيلة سوى تنفيذ ما يمليه عليه واجبه، ولكن في النهاية كنتِ أنتِ الصائبة.

ابتسمت الفتاة الحبيبة وأعربت عن سعادتها لسماع هذا، فقلت لها:

- ولهذا أريدكِ أن تعملي أنّني فعلت ما يمليه عَلَيّ قلبي.

وهنا، نظرت الفتاة نحوي في عينين لامعتين، وابتسمت في حمرة وجنتيها، فانتبهت "كلارا" وقالت:

- كونكَ غريبًا عن هنا فهذا ينقذكَ، لكن السبب الحقيقي الذي أتيت به لأحررك هو ما تملكان أيّها الغريبان.

أطالت التحديق بنا، ثم استكملت:

- أنتَ الذئب العائد من الموت الذي بكَ ستأتي الذئاب من كل حدبٍ وصوبٍ، ولكن هذا ليس كافيًا، لطالما غرِقَت مملكة الشمال بدهائها في الحروب، وحين يكون لديها سلاحها الأقوى "التنانين"، فليس هناك أية قوةٍ على وجه الأرض تستطيع أن يكون ندًا لها سوى بقوةٍ مماثلةٍ لهذا السلاح، لقد صنعت لكما ملابس تليق بكما على مقاسكما

من الجلد، تصلح لما هو آتٍ لكما؛ ولذلك أريدكَ أنْ تستعيدي تنينكِ الرماديّ أيّتها الفتاة، اذهبي من هنا برفقة صديقكِ، آمل أنْ تبحثان عن التنين وتذهبان وراء الملك؛ فمصير مملكتنا في أيديكما، أنتما مَن ستنقذان المملكة، وأنتما مَن ستجلبان النصر لنا.

سارة

- نحن؟!

استنكرتُ حين قالت لنا "كلارا" إنّنا مَن سننقذ المملكة، إنّنا غريبان ولسنا بأقزامٍ، لسنا من أهل هذه المملكة، ومهما فعلنا فلن نتساوى مع شعب المملكة نفسه الذي لن يتردد في أنْ يقدم ضحاياه لصالح الصعود بالمملكة، ولكن نحن؟ ارتديتُ ملابسي الجديدة، ثم غادرنا المدينة، وأخذنا عتادنا وقصدنا الشمال حيث طار التنين منذ أكثر من أسبوعٍ عندما همستُ له، سألت الغريب لا نعرف كيف نفعلها؟ وكيف سنجد تنينًا بجناحين يطير في الهواء؟ أي عاقلٍ سيفعل هذا الجنون؟ فقال لي الغريب وهو يسير بجواري في الطرق الصعبة التابعة لمملكة "نانيوس"، وبرفقتنا يسير الذئب "أوراس":

- لقد تحقق مبتغانا نحن حران بمفردنا، فلننطلق إلى ما وراء هذا العالم لعلنا نجد ضالتنا.

انعقد حاجباي، وبدا على وجهي الانزعاج، فتساءلتُ:

- ماذا تقصد؟

أجابني:

- ماذا أقصد؟ ألم نأمل أنْ نترك هذه الأرض المجنونة ونبحث عن هُويتنا؟

سألته في انزعاجٍ:

- وكيف سنفعل ذلك؟ إنّنا في عالمٍ ليس عالمنا، كيف تضمن أنّك

لن تذهب إلى أرضٍ أخرى أكثر جنونًا من "نانيوس" وهذا العالم على مشارف حرب.

غضب الغريب وقال:

- ولهذا السبب نريد أنْ نبعد، ما لنا من حربٍ ليست حربنا، أليس من حقنا أنْ نعرف هُويتنا؟ انظري حتى الذئاب لها أسماء، ونحن لا نعرف اسمينا، أي عدلٍ هذا؟

بداخل أعماقي أدرك حقًّا أنّ لديه الحق فيما يقوله منذ البداية، ولكن أراه يفكّر بطريقةٍ أنانية، أريد حقًّا أنْ أعرف مَن أنا، ولكن ليس بتلك الطريقة، لا بدّ وأنْ يكون هناك معرفة بكل شيءٍ، ونحن هنا في هذا العالم وسط سلاسل من الجبال، لا نعرف إلى أين نذهب؟ وماذا نفعل لننفذ مبتغانا؟ حاولتُ على قدر استطاعتي أنْ أقنعه بذلك حتى أذعن قليلًا، بدا منزعجًا، فقلتُ:

- حسنًا، لا أريد أنْ أكون بمفردي، فوجودكَ بجواري يشعرني بالأمان، ولا أريدكَ أنْ تكون متهورًا، لا أنكر صحة كلامكَ، وأدرك جيدًا أنّ النفس البشرية ضعيفة، وشعورها بالأنانية في بعض الأحيان، ولكن علينا أنْ نفعل خطوتنا التالية بحرصٍ وثباتٍ ولا مجال للخطأ.

ابتسم قليلًا، وبدا عليه الهدوء؛ حقًّا إنّه سيكوباتي، لقد قال لي:

- حسنًا، لا أنكر أنّني شعرتُ بالإطراء؛ ولذلك سأترك الأمر بيدكِ، ولكن إنْ لم نجد التنين خلال يومين سأكون القائد.

لم أجد مفرًا من ذلك سوى بقبول هذه الهدنة بيننا؛ ولذلك لن

أعطي له الفرصة لأترك الأمر بين يديه، فلو حصل ذلك فلن يعيش في أي عالمٍ سواه، ولن يقبل بأحدٍ بجواره سواي بالإكراه. ولكن رغم ذلك فحقًا أشعر بالأمان معه، ولا أريده أنْ يتركني، سأصارح نفسي وأخبرها أنّها تنجذب له رغم حب الذات الذي بداخله؛ فليس أحدٌ منا كاملًا.

ثم امتطينا الذئب وركض بنا تجاه الشمال حيث الطرق الوعرة مرةً أخرى، لقد انقضى يومٌ وبقي يومٌ، لا بدّ وأنْ أجد هذا التنين لا أعرف كيف سأفعلها، فبعد أنْ يمر هذا اليوم دون أنْ أجده سأواجه الجنون حقًا.

أسدل الليل ظلامه وذهبنا للنوم، بعد أنْ أكلنا بما تنتجه هذه الأرض القاحلة من ثمارٍ قليلة، فلا زلنا في أراضي مملكة الشرق، وهناك الذئب يربض بالجوار بعد أنْ اطمأن على صاحبه أنّه نام، ظللتُ أفكّر كيف سأجد هذا التنين الرماديّ اللعين؟ ثم فكّرتُ فيما سيحدث تاليًا لو وجدتُ التنين، هل سنحارب؟ هل أصاب ذلك الغريب حين قال أنّها ليست حربنا، أنّها ليست أرضنا؟ هل علينا أنْ نشارك في سفك الدماء؟

ولكن ماذا لو كان وجودنا هنا مصيرنا الذي يجب أنْ نخوض في طريق؟ ما تفسير عودة الغريب من عند أعتاب الموت؟ لقد تحوّل إلى ذئبٍ؟ لماذا هو خصيصًا بعد قرونٍ خمسة من الانتظار لتحقيق ذلك؟ هل هذا من قبيل الصدفة؟ وإن كان؛ فما تفسير وجود تنينٍ بعد انقراضه لأكثر من خمسة قرونٍ؟ وبعد كل هذه الأعوام يظهر لي ليحميني، لِمَ أنا بعد كل هذا الزمن؟ بالتوازي مع الذئب. ماذا لو

كان هناك غيرنا من قومنا مبعثرًا في هذا العالم؟ ماذا لو كان منهم في الممالك الأخرى؟ ماذا لو كان أحدهم في مملكة الشمال التي سنحاربها؟ هل سنشارك في قتل قومنا دون أنْ ندري؟ ولكن... ولكن ماذا لو ليس هناك سوانا؟ ماذا لو لا شيء ممّا فكّرتُ به حقيقيًا؟ هل سنكون سببًا في هزيمة مملكةٍ بحالها وانقراض شعبٍ كاملٍ بواسطة تنين؟ في وقتٍ كان بأيدينا نحن الاثنان أنْ نوقف هذا، لن أتعايش بعدها مع ذاتي ولن أستطيع أنْ أتخطى ذلك.

***

أشرقت الشمس بعد ليلٍ طويلٍ ونومٍ قليلٍ، لقد وجدته مستيقظًا، نظر نحوي مبتسمًا وقال:

- أمامكِ يومٌ.

نهضتُ من مكاني وقلتُ:

- ولن أتخاذل في أنْ أضيع الوقت.

تعجب من همتي، واندهش من حماسي، ثم أكلنا وذهبنا على ظهر "أوراس" نشق طريقنا، حتى انتهينا أخيرًا من سلسلة الجبال الحمراء التابعة لمملكة الشرق، وأصبحنا في أرضٍ مكشوفة. وهنا، فكّرتُ أنْ قد يكون ما أفعله خطأً، وليس هذه الطريقة الصحيحة، ولكن ما هي الطريقة الصحيحة؟ ولا ألبثُ أنْ أنتهي من تساؤلي حتى سمعنا ذلك الزئير المهيب المخيف؛ لقد فُزعنا جميعنا، ارتجف الذئب رغم هيبته وقوته وضخامته، ولكن كان معها حق "كلارا" حين قالت الذئاب ليست كافيةً، ليست ندًا لهيمنة التنانين. لقد فزع الذئب

وانزعج فأسقطنا غير قاصدٍ، اكتسب جسمانا قوة دفعه لنا، فارتمينا أرضًا معرضين للتخبطات والصدمات، حتى اصطدمت رأسي بأحد الصخور الصغيرة الملقاة أرضًا، فسالت الدماء من جبهتي مسحت بيدي عليها فتلطخت بالدماء، وحين اعتدت توازني وقبل أن أنهض دنا نحوي سريعًا ذلك الغريب وساعدني في النهوض، ووجدنا الذئب مكشرًا عن أنيابه يحاول أن يركض ليهجم لكنه يتردد، كان ناظرًا إلى الأعلى حيث التنين كان واقفًا على قدميه باسطًا جناحيه، إنّه هو نفسه التنين الرماديّ، ولكنه لم يهاجم دققت النظر فوجدت الدماء تسيل من أحد جناحيه المثقوب، ثم أدركت أنّ التنين كان منزعجًا لذلك ظهر بغتةً، لقد عاد من مكان ذهب إليه وتعرّض هناك إلى هجومٍ؛ فأخبرت الغريب ذلك ثم تساءلت:

- إنّه أتى من ناحية الشمال، هذا يعني أنّه أصيب في الشمال، ولكن من المفترض أنّ الشمال وطنه، لماذا يتعرض لهجومٍ هناك؟

لا توجد إجابةٌ واضحةٌ، وبالطبع لن نعرف من التنين، ذهب الغريب ليهدئ من روع الذئب، ثم تقدمت أنا نحو التنين، فمددت ذراعي بمودةٍ فنظر نحوي فبدأ يهدأ هو الآخر من انزعاجه، وجهت نظري نحو ذلك الثقب بجناحه كي أدقق النظر، فتساءلت بصوتٍ مسموعٍ:

- لماذا يهاجمكَ شعب موطنكَ؟

وكأنّه فهم ما قُلته فأخفض من جناحه مقتربًا به نحوي، كأنّه يريد مني أن ألقى نظرةً عن قربٍ، حتى أصبح ذلك الثقب أمامي مباشرةً، كان ذلك الغريب والذئب ينظران في اندهاشٍ، مددت ذراعي ومسحت على جناحه بيدي الملطخة من دماء رأسي فلامست دماء

التنين، وهنا تلاقى الدمان دمي ودمه، وفوْر هذا التلامس قد تغيّر كل شيءٍ؛ لقد أغمضتُ عينيّ لأصفّي ذهني، وأشاهد ما أراه أمامي، وكأنّني أشاهد ما حدث للتنين، لقد أراد التنين أنْ يريني ماذا حدث، ويبدو أنّ ذلك تم عن طريق تلامس الدمين. وشرعتُ أرر في عينين مغمضتين ماذا حدث، وهنا كانت الصاعقة لقد رأيتُ ما الرعب حقًّا، لقد فتحتُ عينيّ سريعًا في فزعٍ جاحظتين، فلاحظ الغريب ذلك واقترب سريعًا نحوي وتساءل:

- ماذا؟

لقد قلتُ في رعبٍ بعينين جاحظتين:

- الحرب التي تحدّثنا عنها ليستْ هي الحرب التي من المفترض أنْ نخوضها.

ثم صمتُ برهةً وأردفتُ في نفس الخوف:

- هناك شرٌّ عظيمٌ آتٍ.

نوح

أشاهد عن كثبٍ تجهيزات جيش مملكة الغرب التي استغرقت أكثر من أسبوعٍ، حقًا إنّه جيشٌ قويٌ مكونًا من أكثر من ثمانين ألف جندي، بالطبع أعلم أنّه أقل جيش من جيوش القارة من حيث عدد المجندين، لكن لديهم أسطولهم الذي يمثل قوتهم الحقيقية، إنّهم يملكون أكثر من ثلاثة آلاف سفينة كبيرة ولا توجد مملكة لديها مثل هذه الأسطول. كما لديهم سيوفهم الحادة المصنوعة من الفولاذ القوي، يحملون آلاتهم الحربية على سفنهم، بالطبع لا يملكون مجانيق، لكن لديهم الأقوى سلاحهم المدمر الثعبان ذو الثلاث رؤوس، الذي علمت باسمه مؤخرًا "جولونغول"؛ إنّه "جولونغول البرونزي". تساءلت عن كيف يتم نداؤه؟ كيف يجعلونه يأتي ليساعدهم؟ فأخبرتني الملكة "نيميسيا" عن وجود بوق حين ينفخون فيه يكون الصوت الخارج بمثابة النداء له؛ فيأتي إليهم ليساعدهم حين يحتاجونه، إنّه بوقٌ كبيرٌ لونه برونزي مثل لون "جولونغول".

عند شاطئ بحر "أوشا"، حيث اجتمع الفرسان والجنود من جميع مدن مملكة "كونغار" وأهمها الثلاث المدن الأكبر الأساسية "إيل"، و"كاليستون"، و"سيربن"، وبعد أن ألبسوني الملابس الحربية الخاصة بمملكتهم، كان واقفًا بجواري "فهمي" ناظرًا نحوي فقال لي في سخريةٍ:

- يا ليتني أتذكركَ كي أصنع لكَ لحظة الوداع!

نظرت له ولا أجد ما أقوله يناسب الموقف، فأردف بنفس

السخرية:

- أه، نسيتُ أنّكَ آلي، فلا تعلم معنى الوداع.

تنفستُ الصعداء، إنّها نفس روح الدعابة السخيفة التي يملكها مثله ابن أخته "آدم"، حقًّا إنّها عائلةٌ مجنونة، وقد يكون هذا هو السبب الذي جعلني أحبهم، نعم، أقول كلمة حب، وسأقولها حتى تنتهي أيامهم من الحياة أو ينتهي عصرنا نحن الآليون، فارتباطي معهم جعلني أفهم أشياء كثيرة عن الشعور، بالطبع لا أشعر بما يشعرون به، لكني أفهم ما يعني هذا الشعور، وأدرك تمامًا متى وكيف يفعلونه، ولهذا قلتُ له:

- يا ليتكَ تتذكرني كي تعرف مَن أنا بالنسبة لكم، كما كنتَ ستعلم أنّني أفهم شعوركم جيدًا.

قال لي ولكن في جدية:

- كيف ستفعلها؟

أجبته:

- حقًّا لا أعرف يا رجل، كيف لآلي مصنوعٍ من التكنولوجيا المتقدمة عليه أنْ يؤمن بتحرير جيشٍ من المفترض أنّه مات منذ قرون؟!

نظر نحوي ثم ضحك عاليًا بشكلٍ ساخر، ولكن هذه المرة ضحكتُ معه لأنّ هذا أمرٌ غريبٌ وعجيبٌ إلى أبعد حدٍّ، ثم انتهينا من هذه السخرية وقال:

- لا تكن سببًا في إنهاء حياتي في أرضٍ ليست أرضنا بعالمٍ ليس عالمنا، عليكَ أنْ تنفذ مهمتكَ يا "نوح"، وتحرر جيش الموتى المزعوم. علينا أنْ نحرر قومي وقومكَ من هذا العالم الملعون.

أشحث نظري نحو بحر "أوشا" أفكّر مليًا فيما سأفعله، حتى جاءتنا الملكة "نيميسيا"، وشاركتنا الحوار وقالت لي:

- مصير مملكةٍ بأكملها بشعبها متوقفٌ عليكَ يا "نوح"، هذه الحرب لم تكن مشكلتي، أعلم حقًا أنّني سأكسب هذه الحرب لطالما "جولونغول" تحت سيطرتنا، لكن إذ لم يتم تحرير جيش الموتى سنفقد هذه السيطرة، وستهلك المملكة من على وجه الأرض؛ لا بدّ وأنْ تتحقق النبوءة.

حقًا لا أريد مثل هذا الكلام حاليًا، لكن أبصرتُ ما جعل أغيّر وجهة اهتمامي، لقد رأيتُ الأمير "أندريا" الشاب، الابن البكر للملك الراحل فتساءلتُ:

- ألم تعزمي على قتل هذا الأمير؟

فأجابت في حكمةٍ ماكرةٍ، أو مكرٍ حكيمٍ؛ إنّها شخصية مركبة ليس لها مدخل:

- نحن بحاجةٍ لكل جنديٍّ وفارسٍ يستطيع حمل السيف ليدافع عن هذه المملكة، أمّا أمر موته فهو حتميٌ لا مفر منه، لكن ليس الآن. كما أنّه يجيد القتال حين يتشارك إيّاه مع الأمير "أفاريس"، فهما يشكلان ثنائيًا لا يستطيع أحدٌ هزيمته، لطالما حاربا معًا من أجل هذه المملكة. ولولا قتال "أندريا" الجيد لما كان في الجيش من الأساس.

ثم رُفِعَتْ الأشرعة، وشقت السفن طريقها نحو البحر حاملةً على متنها جيشها وعتاده وآلاته، وأخذوا معهم البوق كي ينادوا على "جولونغول" حين يصلوا إلى المنتصف. كان في مقدمة الجيش الأمير "أفاريس" وبجواره الأمير "أندريا" برفقة قائد الجيوش، وظلّ في المدينة المستشار كي يمارس أمور السياسة الخاصة بالمملكة في غياب الملكة، بالإضافة إلى مراعاته للأميرين الصغيرين؛ فأحدهما سيكون ملكًا للملكة.

أمّا أنا، فظللت على الشاطئ وبرفقتي كتيبةٌ من خمسين جنديًا من أكفأ المحاربين، وقائدهم صارم الوجه، وفي انتظارنا سفينةٌ متأهبةٌ لتبحر بنا إلى وسط البحر، إلى المجهول، إلى الأعماق، إلى حيث لا نعرف أين قد يكون جيش الموتى كامنًا، أين قد يكون محبوسًا؟ لنحرره، وإن وجدناه فكيف سنحرره؟ لقد تم وضعي في هذه المهمة بالإكراه، إنّني مجبرٌ على فعل هذا الشيء، وعَلَيّ أنْ أقبل لكي أنقذ "فهمي"، أو سأكون مسجونًا في أحد سجون الملكة إلى الأبد.

ثم سمعنا صوت خُطى آتيًا من الخلف؛ فنظرنا إليه وكانت المفاجأة، أبصرت ما جعل مهمتي أكثر قبولًا، لقد كان خلفنا آتيًا إلينا العشرات من الآليين الذين أعرفهم حقًّا، كان أكثرهم من الآليين المرتدين التابعين لي، والبقية من الآليين الذين صححوا وجهة نظرهم بعد الحرب الأخيرة منذ أكثر من ثلاث سنوات في كوننا. فتهيأ الجنود كي يهاجموا هؤلاء الغرباء الذين يأتون مجتمعين وكأنّهم سيهاجمون، لكني أوقفتهم وأقنعتهم أنّهم تابعين لي، وأنّ بإمكانهم المساعدة في مهمتنا.

ثم علمتُ منهم على غير مسمع للجنود الآليين إنّهم لا يزالون محتفظين بذاكرتهم مثلي، وإنّهم علموا بأمور الغرباء الذين أتوا فتم زجهم في السجن، فبدلوا ملابسهم، وساروا كأنّهم من شعب المملكة، حتى أبصروني حين خرجتُ إلى هنا. وبعد مرور ساعاتٍ قليلة، صعدنا جميعًا على متن السفينة رافعة أشرعتها، وبدأت رحلتنا عبر البحر.

وبعد وقتٍ طويلٍ في عرض البحر منتظرين سماع صوت البوق، الذي به سنعلم أنّ "جولونغول" ترك مخدعه تحت البحر وذهب لتلبية النداء. انتظرنا في ظلام الليل حتى خرج ذلك الصوت من البوق الكبير، لقد كان صوتًا مهيبًا مخيفًا في وسط الظلام، عاليًا جبارًا تكفي قوة موجاته الصوتية لشق مياه البحر حتى يصل لأذان "جولونغول"، وبعد نفخ البوق ثلاث مراتٍ حدث اضطرابٌ في أمواج البحر تحتنا، فاختل توازن السفينة، وظلّت تتمايل فوق مياه البحر المتلاطمة، لقد حدثت حركةٌ رهيبةٌ تحت الأعماق؛ فأدركنا أنّ "جولونغول" تحرّك بالفعل من الأعماق وشرع يشق طريقه نحو الشمال، فهدأ الاضطراب في مكاننا وظلت الأمواج تتمايل تباعًا نحو الشمال. لقد هدأت الأجواء، ثم نظر الجميع نحوي، وكأنّهم بانتظار أنْ أقول لهم شيئًا، ولكني لا أعرف ماذا يريدون مني؟ وماذا يجب أنْ أقول؟ وما الذي سأفعله؟ ظلّ هذا السكون وقتًا كافيًا ليبادر أحدهم بالحديث، فكان قائد كتيبة الجنود الكونغاريين، فقال:

- ما هي الخطة؟

لم أنبس ببنت شفةٍ، فأردف:

- يجب أنْ ننفذ المهمة، قد رأيتَ البحر بنفسك حين تحرّك "جولونغول"، فما بالكَ حين يهاجم، لكَ أن تتخيل إذا فقدنا السيطرة، سيُهلك شعبًا كاملًا.

عليك أنْ تفعلها قبل أنْ يعود؛ فهذه الحرب لن تطول، ستدمر الملكة مملكة الشمال في غمضة عينٍ ثم ستأتي سريعًا.

تقدمتُ قليلًا في ترددٍ، ثم قلتُ بعد تفكيرٍ عميقٍ:

- حسنًا! لا أعرف كيف أقولها، ولا أعلم كيف نتحدّث بلغتكم، لكن أريدكم أنْ تعلموا أنّني لا أؤمن بالنبوءات، ولا أصدق أنّ هناك جيشًا ميتًا بالفعل في أعماق البحر يريد أنْ يتحرر، ولا أعتقد أنّكم أصبتم حين رأيتموني أدمر الحديد، فظهر هذا لكم كعلامةٍ من علامات نبوءتكم المزعومة، ولكن إنْ كان هناك مَن يحتاج للتحرر فهو قومي وقوم صديقي "فهمي"؛ فإن كان هذا الطريق الوحيد الذي به سأحررهم، فلن أتخاذل أقل القليل، ولذلك سأفعلها لا أعرف كيف؟ ولكن سأحاول بكل طاقتي ومعرفتي.

هنا، خرجتْ الصيحات والهتافات من أفواههم، والحماس كاد يفجر عروقهم، لقد ارتفع الأدرينالين لديهم، وبداخلهم كل الاستعداد ليرموا بأنفسهم إلى التهلكة؛ فهذا ما أدركته حين أبصرتُ تحفيزهم، وكأنّني كنتُ المُلهِم، وما قُلتُه كان بمثابة الشرارة الأولى ليندفع بها كل ما هو كامنٌ بداخلهم من إخلاصٍ وولاءٍ لمملكتهم وشعبهم وملكتهم.

ولكن ورغم هذا إلّا أنّ أحدًا من الكونغاريين لن ينزل تحت المياه، فهم لن يستطيعوا الصمود في المياه وقتًا طويلًا؛ فهُم لا يمتلكون ما نمتلكه نحن في أنظمتنا الإلكترونية، فلقد جهزنا أجسادنا، وطورنا

نظامنا للسباحة تحت المياه؛ فتتدفق المياه بداخلنا دون أنْ نتضرر، وأعتقد إنْ لم نكن فعلنا ذلك في خلال السنوات الثلاث لترميم العالم، ما كنا سننجو من هذا المأزق الذي بانتظارنا. تأهبنا للنزول، ولذلك طلبتُ منهم ألّا ينزلوا معي، وقبل أنْ أنزل مع فريقي الجديد استوقفنا القائد ناظرًا نحوي بجديةٍ قائلًا:

- إنْ لم تنفذها فلدينا في هذه السفينة من المواد المشتعلة ما يكفي لإشعال النيران وسط المياه الغزيرة لمسافاتٍ طويلة، ستحبسون تحت المياه دون رجعة، وسنعود لقوم صديقكَ لنقتلهم جميعًا، كما سيموت صديقكَ على يد الملكة أشدة موتة.

بالطبع سيقول هذا حتى وإنْ علم بكوننا آليين، لكنه لن يفهم ما يستطيع فعله الآلي تحت المياه، لن يفهم الأجهزة النفاثة التي نتزود بها للدفع بنا مسافاتٍ طويلة جدًا تحت المياه، أو حتى من الأسفل للأعلى فنصعد بقوةٍ هائلةٍ دون أنْ تمسنا هذه النيران التي يعتقدون أنّها كافيةٌ لتحبسنا تحت المياه، ولذلك قُلتُ له:

- سأفعلها من أجلهم، ليس من أجل مملكتكم الحمقاء.

هنا انتهى الحوار، وغطسنا تحت المياه، وظللنا نسبح للأسفل حتى الأعماق. صار كل شيءٍ أزرق مموجًا، هناك الشُّعب المرجانية، والأسماك، والكائنات البحرية الغريبة التي أول مرةٍ أراها، حقًّا إنّ عالم البحار عالمٌ عجيبٌ إلى أبعد حدٍّ، مخيفٌ وجميلٌ، عميقٌ ومكشوفٌ، لا يصلح للحياة لكنه به حياة.

نظر أحدهم وقال لي متسائلًا:

- ماذا الآن؟

ثم سأل آخر:

- أين جيش الموتى؟

ثم ثالث:

- أليس من المفترض أنّهم تحللوا من أثر المياه المالحة، فلم يعد لهم وجود.

فكّرتُ في تساؤلاتهم مليًا، وفي الحقيقة ليس لديّ أية إجابةٍ مباشرة وواضحة بصدد هذا الأمر، لا أعرف ماذا الآن؟ ولا أدري أين قد يكون الموتى؟ وأعتقد بالفعل أنّهم تحللوا فلم يعد لهم وجود.

وهنا، حين ظللتُ أفكّر في تساؤلاتهم جال في فكري أنّهم بالفعل لم يعد لهم وجود، ولكن ماذا لو كان ليس لهم وجود من البداية؟ ماذا لو لم يكن لهم مكانٌ من الأساس؟ بمعنى آخر ماذا لو كانوا أراوحًا محبوسة؟ نعم، إنّها مجرد أرواح محبوسة هنا وتريد أنْ تخرج، وأعتقد أنّها معذبةٌ، معذبةٌ كونها بعيدةٌ عن أجسادها، وأنّ أحدهم ألقى سحرًا ما أو لعنةً نفاهم إلى هنا، فلا تريد سوى العودة إلى أجسادها، وقد يكون الثعبان "جولونغول" لا يعرف بهذا الأمر من الأساس وأنّه لا يحرس شيئًا، إنّما هي ليست سوى أسطورة حُكَيَت ليؤمن بها أصحاب هذه الأرض؛ كي لا يفكر أحدٌ في إبطال هذه اللعنة لتعود الأرواح إلى أجسادها.

وبناءً على هذا، فقد يكون صاحب اللعنة ليس من هذا المكان، أو بمعنى آخر قد يكون من مملكةٍ من الممالك الثلاث الأخرى، ولكن إنْ

كان هذا صحيحًا فما هي المملكة التي قد تفعل هذا؟ ثم تذكّرتُ ما علمته هنا بخصوص قارة "أوشانلاند" وممالكها الأربع، وأنّه ليس هناك سوى مملكةٍ واحدةٍ هي التي تعلم بأمور السحر، وهي مملكة الجنوب "فوريس"، حقًّا مَن يستطيع أنْ يفعل شيئًا مثل هذا القبيل هم الجان.

نتيجةً لذلك، وإنْ كان الأمر لعنةً ونُفي إلى أعماق البحار، ولو كنتُ مكان هذا اللعين لفكّرتُ في أعمق مكانٍ بأسفل هذا البحر، ففعلتُ نظام الإحداثيات الخافية بنظامي الإلكتروني، وبحثتُ عن هذا المكان المزعوم، فوجدتُ أنّ أعمق مكانٍ في البحر على بعد عشرين كيلو مترًا من مكاننا؛ ففعّلنا نظام النفاثات تحت الماء لتدفعنا بقوةٍ وبسرعةٍ إلى هذا المكان. ففي غضون أقل من ساعةٍ، وصلنا إلى أعمق مكانٍ، استوقفتُ برهةً أتأمل فيما أشاهده أمامي، إنّه مكانٌ مظلم حتى العَمى، مكانٌ مخيفٌ إلى أقصى ما يصل إليه عقلنا الذكائي؛ فقررنا التوغل إلى الأسفل إلى العتمة، وهنا ولأول مرة أستطيع أنْ أقول أنّني لا أتمنى أنْ أكون بشريًا، لو كنتُ ذلك لتملّكني الخوف والفزع وعدتُ بعد هروبي من هذا المكان. ولكنني آليٌّ، فكم أريد أنْ أحث "فهمي" بهذا الأمر لامتيازي عنهم في كوني لا أملك مشاعر، ففي بعض الأحيان تكون نعمتكَ هي أنّكَ لا تملك مشاعر؛ فهذا يتيح لكَ الفرصة كي تحكم بعقلانيةٍ وتقرر بإرادتكَ ما يريده عقلكَ دون صراعٍ مع قلبكَ، لن يكون هناك ضغطٌ. حقًّا فإنّ المشاعر الإنسانية شيءٌ معقدٌ إلى أقصى درجات الإرهاق.

فعّلنا نظام الأشعة فوق البنفسجية؛ لتنير لنا مع مهمتها الأساسية وهي إظهار الأشياء التي تختفي وراء المعالم التي تراها العين

المجردة، ولكن عند وصولنا إلى هذه النقطة سرعان ما خرجت بغتةً ظلالٌ سوداء كالدخان تحيط بنا من كل جانب، كانت سريعةً ومباغتةً لا أعرف ماهية هذه الأشياء، لو كنتُ بشريًا لوصفتها بالأشباح، ثم أخذتْ الظلال السوداء تتلاعب من حولنا دون أنْ تهاجم وكأنّ هناك مَن يحرّكها عن عمدٍ قاصدًا أنْ يخيفنا فنعود، ثم خرج صوتٌ مهيبٌ محشرجٌ له ترددٌ يأتي إلى أذاننا كموجات المياه، قال هذا الصوت في غضبٍ:

- لما لا تعودون؟

انتبهنا جميعًا، فصحتُ:

- أين أنتَ؟ اظهر لنا لنعرف مَن أنتَ؟

صمت الصوت لحظاتٍ، ثم قال:

- أنا مَن أريد أنْ أعلم مَن أنتم؟ إنّكم أول مَن لا يخاف من هذه الظلال السوداء، أريد أنْ أعرف لماذا أنتم مختلفون عن مَن سبقكم؟

أجبتُ:

- أعلم أنّ هناك مَن حاول قبلنا ليأتي إلى هنا، لكن ممّا رأيته الآن فأنتَ لم تعطِ لنفسكَ الفرصة كي تعرف لماذا أتوا؟

عاد الصمت مرةً أخرى، ثم قال الصوت:

- لا أريد أنْ أسمع مبرراتكم، ولا أهتم بالسبب الذي جعلهم يأتون، كونهم وصلوا إلى هنا فهُم تخطوا على ملكية غيرهم.

صمتُ أنا هذه المرة أفكّر مليًا فيما سأقوله، ثم تحدّثتُ:

- سأخبركَ لماذا نحن مختلفون إذا كشفتَ عن هُويتك.

هنا، لم يصمت الصوت كالعادة بل قال في غضبٍ:

- هل تضع شروطكَ في مكانٍ لا يحق لكَ فيه أي شيء؟! إنّك هنا غازٍ، والغزاة لا يستحقون سوى الموت.

أجبتُ بعد تفكير:

- إنْ كنتَ تريدنا موتى لِمَ دار هذا الحوار بيننا؟

عاد الصوت لصمته، لكن لم أعطه الفرصة ليتحدّث، فأردفتُ:

- ثم إنّك لماذا ترانا غزاةً؟ قد نكون المنقذين.

قال الصوت:

- لا يوجد إنقاذ يأتي من البشر.

هنا، ابتسمتُ وأدركتُ أنّ نجاحنا في هذا الأمر دون جميع مَن سبقنا هو اختلافنا عنهم، لو كنا بشرًا لكانت النتيجة نفسها مثل كل مرة، ولثاني مرة تأتي فوائد عدم الشعور؛ فهذا ما جعلنا لا نخاف من الظلال السوداء، وبناءً على ذلك نجحنا دون غيرنا، فأجبتُه:

- لأنّنا لسنا ببشرٍ.

كالعادة الصمت ثم التحدُّث:

- ماذا تقصد؟ إنّكم بشريون بكل تأكيد.

أجبتُه في مُكرٍ:

- هل سيسير اتفاقنا؟

قال الصوت بعد أنْ ضحك بسخريةٍ:

- من المفترض أنّكم تتحدون جميعًا؛ لتحاربوا مَن يهدد بقاءكم أيُّها البشريون.

أجبته:

- أخبرتُكَ أنّنا لسنا بشريين.

ضحك بنفس الطريقة ثم قال:

- لا يهم، ولا أكترث، لكنه سيكون الانتقام الذي لم نفعله بأنفسنا.

تساءلتُ:

- انتقام؟!

أجاب الصوت:

- الذي سيجلب لنا حقنا.

سألته:

- ومَن الذي أخذ حقكم؟

ضحك عاليًا مفتخرًا وقال:

- أخبرنا مَن أنتم؟ وكيف أنّكم لستم بشريين؟ وسآتيك بما تطلبه.

ابتسمتُ قليلًا، وأُعجِبتُ بخداع صاحب ذلك الصوت، لقد لعب اللعبة وقلب الطاولة، وجعل الأمر بيده، ولكن في ماذا ستكون الخسارة، بالطبع وافقتُ وأخبرته بسرنا كوننا آليين لسنا من هذا

العالم، وقد اهتم بما أقوله حقًا وأخذ يتساءل وأجيبه كما تغير أسلوبه، وبدأ يحبذ الحديث معي، وتحوّل من مقته لنا لفضوله الشديد، وأعتقد أنّ ما كان وراء تغيره هو حين علم أنّنا لسنا من هذا العالم؛ ولذلك استنتجث أنّ البشر الموجودين في هذا العالم قد سببوا له الأذى، فصارحثه بذلك فأُعجب بدهائي؛ ولذلك نجحث أخيرًا في أنْ أقنعه أنْ يخبرنا بهويته، فوافق وظهر لنا ظلّ أسود كبيرٌ، ثم ظلالٌ كثيرة حوله، وسرعان ما تحوّلث هذه الظلال إلى كائناتٍ هيكلية لونها أبيض، كان المنظر رغم روعه إلّا أنّه أكثر جمالًا، لقد كانت كائناثٌ لها ملامح البشر في كل شيءٍ ما عدا أنّها عبارةٌ عن هياكل عظمية في صورةٍ وهمية تتجسد أمامنا كحقيقية، علمث أنّها الأرواح ذاتها المقصودة، وأنّهم سجناء هنا نتيجةً للعنةٍ تم إلقاؤها عليهم من قبل ساحرٍ عظيمٍ من مملكة الجان كما توقعث، فحكى ليَ صاحب الصوت الذي ظهر وهو كان قائد هؤلاء الأرواح ما حدث لهم وعن قصة قتلهم على أيدي الجان قبل أنْ تتأسس مملكة "فوريس"، وحينها لم يكن يعلمون أنّهم الجان من فعلوا هذه اللعنة، أدركوا ذلك بعد زمنٍ كبيرٍ، ولحبسهم هنا لم يستطيعوا أنْ يفعلوا شيئًا، ثم شعروا بالندم حين علموا أنّ كل مَن أتى قبلنا هنا كان يحاول تحريرهم، ولولا عدم ثقتهم في كل البشر لكانوا أحرارًا منذ زمنٍ؛ فسأل الروح القائدة:

- كيف ستحررننا؟

هذا هو السؤال الوحيد الذي لم أعرف إجابةً له حتى الآن، لقد حققث ما فشل الآخرون في تحقيقه، فكّرث مليًا، وفيما كان تفعله هذه الأرواح فيمَن سبقونا إلى هنا، وسبب فشلهم أنّهم لم يصمدوا

حتى النهاية ليدور الحوار الذي دار بيني وبين الروح القائدة، يبدو أنّني وجدتُ الحل وتساءلتُ في صوتٍ مسموع:

- ماذا لو أنّ إبطال السحر المطلسم عليكم هو وصولنا إلى هذه النقطة.

تساءلتْ الروح القائدة:

- ماذا تقصد؟

أجبتُه:

- أقصد إنّ إبطال لعنتكم هي ظهوركم لغيركم ووضع الثقة فيه وموافقتكم أنّنا نحرركم؛ فهذا هو الشيء الذي لم يحدث من قبل معكم ولذلك لم تتحرروا منذ آلاف السنين.

وفور قولي لهذه العبارة، توهجتْ منهم أنوارٌ بيضاء جميلةٌ وأخذتْ في الصعود إلى الأعلى، ورأيتُهم وكأنّهم شعروا بارتياحٍ عظيمٍ بداخلهم، فنظرتُ نحوي الروح القائدة وقالتْ:

- لقد حققتها أيُّها الآلي، لقد تحررنا.

نعم، إنّه الفخر والانتصار الذي يقرأه نظامي الإلكتروني الآن، فسألته قبل أنْ يذهب الطيف ويتحرر:

- ماذا كنتَ تقصد بعبارتكَ حين قُلتَ إنّنا لا بدّ وأنْ نتحد لنحارب مَن يهدد بقاءنا؟

فأجاب بالفاجعة الكبيرة التي ستظل تلاحقنا حتى ينتهي العمر، أو تنتهي كل العوالم، لقد قالتْ الروح:

- هناك حربٌ عظيمة ستمحي قارة "أوشانلاند" من الوجود.

مريم

لم تنفك تلك الساحرة الشمطاء عن النظر نحوي في تفاخر، طوال الوقت كانت منفرجة الأسارير كأنّها وجدت أخيرًا الكنز الذي ظلت تبحث عنه سنواتٍ طويلة، لا أعرف ما المعجزة في أنْ أهزم غرابًا كبيرًا عن الحجم الاعتيادي.

في الحقيقة، لم أكن أنا، لم أفعل شيئًا، لقد كان الضباب الأسود، وهذا الضباب كان من أفعال الغابة مثل: الأصوات، والرياح، والأرواح، لم تنفك من قولها لي:

- لم تكن الغابة، لقد كنتِ أنتِ.

وفي كل مرةٍ أجيبها في غضبٍ:

- لستُ ساحرة، وصفكِ لي ساحرة هو السبب في قتل تلك الفتاة، لولا قولكِ هذا ما كانت تركض الفتاة بمفردها وسط ظلام الغابة.

ثم بكت الطفلة فتقطع حوارنا الحاد، كأنّها تمنع مشاحنة قد تؤذي إحدانا، ولكني أفهمها بطريقةٍ أخرى، وكأنّني مسئولةٌ عنها تبكي .. جائعة .. خائفة .. بعيدة عن والدتها، كأنّها تمنعني أنا عمّا أفعله تجاه الساحرة من مقتٍ، كأنّها تخبرني أنّها تريد أنْ تبقى هنا في هذا الكوخ؛ فهنا تأكل وتشعر بالأمان وتحس بالدفء، لا تريد أنْ تخرج إلى الغابة وأهوالها، فهذا ما جعلها تفقد والدتها. فأستسلم وأجعلها تصدق ما تزعم عليه تلك الشمطاء، رغم وجود جزءٍ صغيرٍ بداخلي يظل كل ليلةٍ لمدةٍ تخطث الأسبوع يستمع لما تقوله، وليس سوى سببٍ واحدٍ فقط يجعل هذا الجزء الصغير ينمو كل يومٍ،

وهو عدم تذكري لشيءٍ، عدم معرفتي بهُويتي، قد أكون الساحرة الشريرة وليست هي؛ فهي لم تفعل شيئًا شريرًا، لم تفعل سوى تقديم المساعدة لنا، قد أكون الشريرة التي لا تريد المساعدة من الأخيار.

مصادر الإزعاج لم تنفك طوال هذه المدة التي عشتها والرضيعة في الكوخ، فهناك بالخارج الغراب الأسود المخيف، فلم يمل عن نقر الباب يوميًا محاولًا الدخول، ذلك الذي ما زلت أراه مصدر تهديدٍ لي رغم هزيمتي له، رغم المحاولات الفاشلة التي تصدر من الشمطاء، إنّها تحاول أنْ تقنعني أنّ الغراب صار ملكي إلى الأبد. لقد شعرت حقًّا حين هزمته أنّني صرت ملكته وهزمت بذلك ملك مملكة الجان، ولكن بعدها عاد شعوري بالخوف منه مرةً أخرى وكأنّ الملك لم ولن يتركني في حالي، وسيحاول بالسحر إعادة الغراب له؛ لطالما اشتهرت هذه المملكة بممارستها للسحر.

ثم هزمني الملل، وتمكّن مني الفضول، وتعمقت بداخلي محاولات الساحرة وثرثرتها المستمرة التي بدأت أفكّر بها مؤخرًا، ولا أنكر أهم شيءٍ حبي للذات، لقد أحببت حقًّا كوني صاحبة هذا الغراب "الغُداف"، حبذت كوني المسيطرة على عقله، هويت كلامها حين تخبرني أنّني هزمت ملك مملكة الجان، أقوى ملوك قارة "أوشانلاند".

حتى بدأ الأسبوع الثالث منذ وجودي هنا في هذه الأرض، كانت مدةً مليئةً بصراعات داخلية، والتردد والشك أراهن أنّها أسوأ أيام حياتي رغم عدم معرفتي بحياتي السابقة، فما كان يجعل الأيام تنقضي حتى لو ببطءٍ، هذه الرضيعة فاقدة والدتها التي شعرت تجاهها بالمسئولية وكأنّها ابنتي وكم أحببت ذلك، لقد كانت البراءة

والوداعة والجمال في عالمٍ مليءٍ بالسحر والقوة والسواد، أكاد أقول أنّني أنا مَن أشعر بالأمان معها وليس العكس.

خرجتُ من غرفتي البسيطة المصنوعة من القش إلى البهو الصغير وسط الكوخ المصنوع من الجريد؛ فوجدتُها تصنع مقاديرها الخاصة به من الأعشاب الطبيعية والزهور، فقلتُ لها:

- لقد كان الضباب من صنع الغابة.

فنظرتْ نحوي بهدوءٍ، ورسمتْ ابتسامةً خفيفةً على وجهها، كأنّها مَن انتصرتْ، فقالتْ لي:

- لماذا جئتِ لتقولي لي هذا الأمر خصيصًا؟

حدّقتُ بها دون أنْ أنبس ببنت شفةٍ، في الحقيقة خرجتُ أسألها ليس لأسألها وأتعارض معها وأثبتُ لها خطأها، بل سألتُها لأنّني أريدها أنْ تتحدّث وتقول ما بداخلها، ما تراه حقًّا وتشعر به، لقد كنتُ أحاول أنْ أجد في ذلك أي شيءٍ يجعلني أصدق كل الثّرهات التي استمرتْ تتحدّث بها طوال أسبوعين، فأردفتْ هي:

- سأقول لكِ لماذا فعلتِ ذلك.

ظللتُ محدّقةً بها منتظرةً ما يكمن بجُعبتها، فقالتْ:

- لأنّكِ تأملين أنْ تكوني أنتِ هي صاحبة هذه القوة، تتمنين أنْ تكوني أنتِ جالبة الضباب التي هزمتْ أعتى ملوك هذا العالم؛ لأنّك شعرتِ بداخلكِ أنّ هذا الضباب نابعٌ منكِ لا من الغابة.

صمتتْ برهةً ثم استطردتْ:

- الغابة لم تساعدكِ ولن تساعدكِ، أنتِ غريبةٌ بالنسبة لهم وأرواح هذه الغابة لا يرحبون بالغرباء، لقد كنتِ مَن جعلتِ هذه الأرواح تسمح لكِ أنْ تمارسي سحركِ في غابتهم، وتهزمي "الغُداف" .. قد تكون هذه رغبتهم، أكاد أجزم أنّهم كانوا بانتظار مَن يستطيع هزيمتهم لأنّهم لن يستطيعوا هم بسبب نفيهم في أعماق البحار؛ وكنتِ أنتِ.

لقد سمعتُ ما يكفي، واستمتعتُ لما كنتُ أحتاجه، فكّرتُ قليلًا ثم نظرتُ لها في حسمٍ وقلتُ لها:

- أريد أنْ أتأكد من أنّ الغراب في حُكم سيطرتي فعلًا.

نهضتْ من مكانها، وهنا بالتحديد استوقفتْ عمّا تفعله، كأنّها كانت بانتظار استماع ما قُلته للتّو، وقالتْ:

- سنخرج لأول مرةٍ من الكوخ منذ أسبوعين، وأراهنكِ أنّ الغراب بانتظاركِ بالخارج على إحدى الأشجار.

***

في منتصف النهار، لقد كان واقفًا على قدميه غارزًا مخالبه في إحدى فروع الشجرة، كم أنّه مخيفٌ بسواده القاتم وعينيه السوداوين! يتلفّت يمينًا ويسارًا، حتى أبصرني فبسط جناحيه وطار نحوي حتى ظلّ في الهواء معلقًا أمام ناظري يتمعن فيّ؛ أطلتُ النظر في عينيه حتى شعرتُ بشيءٍ غريبٍ، خفتُ وفُزِعتُ حين أدركتُ إنّي أفقد بصري رويدًا رويدًا، هناك شيءٌ غريبٌ في عينيّ، لم أغمض جفنيّ لكني لا أرى، إنّه ظلامٌ كدت أنهار حتى فتح السواد

قليلًا، وتدفق بصيصٌ من النور عبر الظلام الذي كنتُ أراه، ثم بدأتْ الرؤية تتضح شيئًا فشيئًا، ولكن ما هذا؟! هل انتقلتُ من مكاني دون أنْ أشعر؟ ماذا؟! هل صرتُ فوق إحدى الأشجار؟ نظرتُ أسفلي ومددتُ يدي لكني لا أرى شيئًا؛ فقط أرى مخالب لقدمي الغراب لا وجود لجسدي، وإذ شعرتُ بجسدي لا زال موجودًا مكانه، وأدركتُ أنّني أرى بعينين الغراب، حقًّا التحدُّث بالشيء لا يشابه تجربته على الإطلاق، ولا يقترب منه حتى، رغم علمي بماهية ما أقدمتُ لفعله، إلّا أنّه حين جربته أخذتْ وقتي حتى استوعبته.

لقد كانت الرؤية أوضح، ليس هناك شيءٌ يعوق رؤيتي، الفراغ .. إنّه الفراغ أمام ناظري، وكل ما يتم رؤيته كان أسفلي، الرؤية هنا جميلة، وكل ما أراه أصبح له مشهد شاعري لم يكن موجودًا في رؤيتي الاعتيادية البشرية، إنّني أرى كل شيءٍ، يا له من عالمٍ أراه أسفلي! الأشجار، والنهر، والبحر من الجهة الأخرى، النافورة أيضًا هناك، إنّها غابةٌ بيضاء جميلة خلّابة لا تستحق هذه اللعنة، أكاد أجزم أنّ من شدة سواد وظلام الغابة بالليل مع بياضها نهارًا؛ فتلك الأرواح تتعذب بشكلٍ بشعٍ في سجنهم في أعماق البحار، لا بدّ وأنّهم يشعرون بالحزن والألم القاسي حتى يحوّلوا هذا الجمال إلى رعبٍ، ثم فكّرتُ أن أطير لكي أرى كل شيءٍ من فوقه وإذا بالغراب يفعل ذلك، فأدركتُ أنّ الاتصال بيني وبين الغراب يتم عبر الترابط العقلي؛ فحين فكّرتُ بالطيران لكي أجوب المنطقة بأكملها، نفّذ هو ذلك دون أنْ أخبره، فهو ليس ترابطًا بصريًا فقط لكنه عقليٌ أيضًا.

وما الغريب في ذلك؛ فالعقل هو المتحكم الرئيس الذي يعطي الأوامر لبقية الجسد، وبسبب الترابط بيننا كانت هذه النتيجة إنّه

شعورٌ مذهلٌ.

فطار الغراب يجوب المنطقة كلها، رأيتُ معالم وتفاصيل الغابة، استمر الغراب في التحليق واستمرتْ دهشتي بما أراه، وولعي بما يحدث. بل وأكثر من ذلك، لقد فكّرتُ أنْ أجوب بخارج المنطقة، ولم ألبث حتى وجدتُني أرى مخارج الغابة، ثم ما بعد خارج الغابة، إنّها معالم حقًّا جميلة، ومبانٍ مزخرفةٌ، وقلاعٌ شامخة، ومنازل رائعة، وأعلام الغراب الأسود على خلفيةٍ رماديةٍ قاتمةٍ أعلى كل منزل، لقد رأيتُ أولئك الجان أسفلي، ما كنتُ أتوقع أنْ يكون الجنيّ وسيمًا لهذه الدرجة، إنّهم يمتلكون شعرًا فضيًا وملامح شقراء، وأجسادًا رشيقةً، ووجوهًا فاتنةً سواء نساء كانوا أو رجال.

وكان هنا حلٌّ للغز الذي عشتُ طوال هذه المدة، وجدتُ الإجابة التي أبحث عنها حين وطئتْ قدماي هذه الغابة، كيف أخرج من هذه الغابة الملعونة، تذكّرتُ حين ظللتُ أدور في دائرةٍ خلال ليلةٍ كاملةٍ وكدتُ أصل للجنون، ولكن امتلاكي لأقوى غرابٍ في هذه المملكة جعلني أرى ببصره، وذلك أدى إلى أنْ أجد الإجابة، لقد عملتُ أخيرًا كيف أخرج من هذه الغابة.

إنّني أشعر بالسعادة، لكنها كانت مؤقتةً حين شعرتُ بشيءٍ آخر يدخل عقلي بين ترابطي مع الغراب، هناك صوتٌ آخر يتداخل بالكاد أسمعه إنّه صوت بكاء، بكاء طفلةٍ رضيعةٍ، ثم شعرتُ بشيءٍ آخر هناك مَن أمسك بذراعي وظل يصيح بكلمة " كفى .. كفى".

وهنا، عادتْ الظلمة، وانقطع التواصل بيني وبين الغراب لم أرَ شيئًا؛ فقدتُ بصري مرةً أخرى، ثم دار عقلي وحدث شيءٌ بعينيّ، بعده بدأ

ينقشع الظلام، فعاد بصري ولكن هذه المرة الرؤية البشرية، فأجفلت ثم انتبهت أنّ الصوت كان لبكاء هذه الطفلة، وأن الساحرة الشمطاء هي مَن كانت تنادي، فقالت لي في وجهٍ قلِقٍ:

- عليكِ أنْ تتعلمي كيف تتحكمين بذلك حتى تدركي متى تفعلين ذلك ومتى تعودين؛ فتقررين انقطاع الاتصال.

فسألتها في قلقٍ:

- ماذا يحدث لو تم عكس ذلك؟

أجابت:

- الكثير من الأشياء مثل فقدان بصركِ إلى الأبد، أو يتم اصطياد الغراب من أي طائرٍ جارحٍ آخر أكبر منه فيقتل، فتموتين أنتِ أيضًا.

أجفلت ثم أومأت في خوفٍ، ثم قُلت:

- هل سيعود "غُداف"؟

ابتسمت الشمطاء وقالت:

- لقد تحوّل الأمر من الخوف منه إلى الفضول ثم إلى الشغف به.

كم أكره كونها قد تمكنت مني وكانت هي التي على حق، انتبهت لبكاء الطفلة المستمر بين ذراعيّ المرأة فأخذتها منها وعدنا إلى الكوخ، وقبل أنْ أدخل بالداخل رميت نظري إلى الخلف بالأعلى حتى أعلم ما إذا عاد؟ فوجدته بجناحيه المبسوطَين يشق الهواء عائدًا إلينا؛ فابتسمت فَرِحةً ثم دلفت إلى داخل الكوخ لكي أسد جوع هذه الطفلة البريئة.

***

انتظرتُ حتى أسدل الليل ستار ظلامه، حتى أخبر المرأة أنّني سأغادر وأخرج من هذه الغابة؛ ليس من العدل أنْ تكبر الطفلة في هذه الغابة، لا بدّ وأنْ تخرج، يجب أنْ أعود بها إلى مكاننا الأصلي الذي لا أعرفه إنْ كانت هذه المملكة أم مملكةً أخرى، أم عالمًا آخر غير هذا.

خرجتُ والرضيعة بين ذراعيّ، وودعتُ الساحرة بعد أنْ قالتْ لي أغرب شيءٍ سمعته منذ وجودي هنا، لقد قالتْ:

- هذا العالم يحتاجكِ.

نظرتُ في عينيها وكم شعرتُ بالطريقة التي تخبرني بها، لقد كانت جديةً وفي منتهى الاحتياج، لقد أحسستُ أنّ ما قالته نابعًا من أعماق قلبها، لقد ظهر هذا في عينيها؛ فأجبتُها بعد أنْ بكتْ الطفلة:

- لا أرى أحدًا يحتاجني أكثر من هذه الرضيعة.

وهنا، ودعتني وتمنتْ لي السلامة وأخذتُ الطفلة وقصدتُ وجهتي إلى خارج الغابة، وإذا بالغراب "غُداف" يأتي من العدم خلفي، ويطير ليصبح أمامي كأنّه يريني الطريق أو يتأكّد بنفسه من سلامة الطريق.

وقبل أنْ تتم الساعة من المغادرة، عادت الأصوات الليلية مرةً أخرى، إنّها صوت الرياح الهوجاء، ولكن سرعان ما تحوّل هذا الهجيج إلى حرجف، لقد شعرتُ بالبرد الشديد حين اشتدتْ، أدركتُ أنّها رياح الشتاء، لكنها أشد وأكثر برودةً وعصفًا، ضممتُ الطفلة أكثر لأدثرها بالدفء بين أحضاني، ولكن دون جدوى، لقد اشتد صوت بكائها

وشعرتُ بالخوف.

نظرتُ حولي لا أعرف أين أذهب، أريد أنْ أتوارى، ولكن لا مخبأ من هذه الرياح، لقد هزّتْ فروع الأشجار من مكانها، كادتْ أنْ تُعدم الجاذبية بيني وبين الأرض التي أقف عليها.

شعرتُ بالذعر، وتساءلتُ لماذا تساعدني الغابة تارةً وتهاجمني تارةً أخرى؟ لماذا تلعب هذه الأرواح معي؟ نظرتُ للأعلى فلم أجد "الغُداف" بجواري لقد طار بعيدًا خائفًا نحو الشمال، ركضتُ نحو شجرةٍ واتكأتُ على جذعها، ولكن دون توارٍ من هذه الرياح. ولكن ما حدث بعد ذلك كان الرعب بعينه؛ لقد ظهرتْ من العدم ظلالٌ سوداء مخيفة، إنّها لست ذلك الضباب الذي رأيته مرتين منذ وجودي في هذه الغابة، قد كانت تشبه أشباحًا سوداء، وكأنّها الأرواح الملعونة تتجسد أمامي على هيئة ظلالٍ سوداء تريد أنْ تقترب مني في ترقب.

أغمضتُ عينيّ ذعرًا وتساءلتُ ما إذا كانت هذه الأرواح أبطلتْ اللعنة الملعونة بها وحرروا أنفسهم وجاءوا إلى هنا إلى أرضهم؟ أم هناك شيءٌ ما حدث جعلهم يغضبون إلى هذه الدرجة فيطلقون جام غضبهم عَلَيّ لمحاولتي الخروج من أرضهم بعد أنْ آوتني أكثر من أسبوعين؟ ثم فتحتُ عينيّ وتساءلتُ ما إذا كان هناك مَن نزل إلى أعماق البحار ليحاول أنْ يحررهم؟ كما هو مزعومٌ في نبوءتهم التي علمتُ بأمرها من خلال حكايات المرأة الشمطاء. قد يكون ما يحدث هذه هي المحاولات الفاشلة من تحريرهم فغضبوا إثر ذلك؟ لا أعرف حقًا، لم أستطع أنْ أفكّر جيدًا، إنّها أصوات حرجف الرياح مختلطةً

بصوت بكاء الطفلة الحاد، ورؤية تلك الظلال السوداء المخيفة.

لم أستطع التحمل أكثر من ذلك؛ شرعتُ في الركض بعيدًا مهرولةً لا أعرف وجهتي، لا أفعل شيئًا سوى النظر حولي في خوفٍ من تلك الظلال حتى صرختُ بأعلى صوتٍ أملكه، لا أملك أية قوةٍ، وتركني الغراب، ففكّرتُ في الضباب الأسود وتذكّرتُ كلام الساحرة الشمطاء أنّه من فعلي أنا وليس الغابة، تساءلتُ لو كان ذلك حقيقيًا بالفعل، إنْ كنتُ أنا جالبة الضباب فكيف أفعلها؟

ظللتُ أهرول وأهرول حتى تعثرتُ؛ فاختل توازني وسقطتُ، لقد سقطتُ في أبشع مكانٍ في هذه الغابة، في المكان الذي كان أكثر فزعًا، أدركتُ حينها أنّني لا زلتُ في منتصف الغابة، ولم أتقدم خطوةً واحدةً في تلك الساعة التي قضيتُها والغراب في طريق خروجي من الغابة، لقد سقطتُ في النافورة المليئة بالدماء، سقطتُ والطفلة في تلك البركة الحمراء، وصلتُ لأقصى درجات الفزع، شعرتُ بالموت القريب، وجدتُ نفسي على تلك الحافة السوداء، حافة الموت!

أحسستُ بالبلل الذي غطى جسدي ووجهي، لم أترك الطفلة لقد أمسكتُها ورفعتُها للأعلى فوق كفيّ حتى لا تمسها الدماء، رفعتُها للأعلى وأنا تحت الدماء حتى لا تغرق، جعلتُها بعيدًا عن ذلك.

وبعد برهةٍ من الزمن، شعرتُ أنّ ذلك البلل لم يكن ما توقعتُه، أو كان ثم تحوّل لشيءٍ آخر، لقد كان لزجًا ثم شيئًا فشيئًا لم يكن ذلك، لقد كان بللًا عاديًا كالماء.

فتحتُ عينيّ كأنّني عدتُ من تلك الحافة السوداء، ورفعتُ رأسي من البركة، ونظرتُ إلى النافورة فوجدتُها تضخ المياه بدلًا من الدم،

نظرتُ إلى جسدي، إلى البركة حولي، لقد كان الماء في كل مكانٍ، لا وجود للدم كما كان موجودًا عند سقطتي. نهضتُ من سقطتي مبتلةً بالماء والطفلة على كفي، نظرتُ حولي في كل مكانٍ، لقد اختفى السواد الذي كان يطلي الغابة، لم يبقَ سوى سواد الليل العادي، اختفى كل شيءٍ كان مفزعًا في هذه الغابة، وتحوّلت الدماء إلى ماء، والعشب الأسود إلى أخضر، والمعالم المخيفة إلى اللون الأبيض والأشكال الجميلة؛ لقد دبت فيها الحياة من جديد في الغابة في منتصف الليل، وهذا أمرٌ غير اعتيادي. فأدركتُ حينها أنّ هناك مَن نجح أخيرًا وحرر تلك الأرواح الملعونة، هناك مَن نزل إلى أعماق البحار وأبطل السحر الذي نفى هذه الأرواح هناك. سعدتُ لذلك، وبان كل شيءٍ بعدها، وأصبح كل شيءٍ هادئًا، وهدأ بكاء الطفلة وخرجتُ من النافورة الجميلة التي أصبحت أكثر الأماكن رونقًا.

هممتُ في طريقي كي أخرج من الغابة، لقد أصبح كل شيءٍ واضحًا، ليست هناك أصواتٌ ولا ظلالٌ ولا رياحٌ ولا أعتقد أنْ يكون الأمر كما كان، فها أنا أرى الطريق واضحًا أمامي، شرعتُ في السير قرابة الساعة حتى لاحت من بعيد المباني والقلاع وكل شيءٍ رأيته بعيني الغراب في ظهر اليوم السابق.

ولكن لم تكتمل السعادة؛ لقد أبصرتُ الظلام يحوم حول عينيّ، وهناك شيءٌ غريبٌ بهما، إنّه نفس ما حدث لي حين أبصرتُ بعيني الغراب، لقد كان الظلام الدامس ثم الرؤية رويدًا رويدًا في مكانٍ آخر لستُ موجودةً فيه، لكن كانت الرؤية هذه المرة فوق البحر، رأيتُ جيش الجان يبحر نحو الشمال بأساطيل كبيرة، لقد اشتروها من مملكة الغرب تلك المملكة الوحيدة التي تملك الأساطيل البحرية، لقد

كان جيشًا مهيبًا، وعدد الجنود يصل إلى ما يقرب من خمسمائة ألف جندي، فأملك معلومةً أنّ مملكة "فوريس" هي أكثر الممالك امتلاكًا في عدد الجنود؛ فجيشها أكبر جيشٍ في القارة، وأسلحتهم المتقدمة التي أراها بحوزتهم، وسيوفهم ورماحهم المصنوعة بشكلٍ خاص يميزهم عن بقية جيوش الممالك الأخرى؛ فسيوفهم لها لسانان في المقدمة كل لسانٍ في اتجاهٍ معاكس عن الآخر، ورماحهم التي بها حراشيف كثيرة على مدى طولها عدا المقابض التي يمسكونها به إنّه في منتصف الرمح، دروعهم الطويلة الذهبية المصنوعة من المعدن الخاص، وملابسهم الحربية الذهبية، إنّهم متجهون نحو الشمال ويبدو أنّهم على مشارف حربٍ كبيرة، وهناك في منتصف الجيش رأيت الملك "جونكويل" وبجواره أحد الأمراء سمعته يقول له "أفاريس"، هنا أدركت أنّني أسمع بأذني الغراب كما أرى بعينيه.

ثم طار الغراب بي إلى الشمال، شق الهواء متجهًا إلى أقاصي الشمال، طرتُ فوق مملكة "لوردلاند" ثم أكملنا نحو الشمال، ثم بدأ اللون الأبيض يلوح في الأفق، إنّه الجليد في كل مكانٍ، لم ينفك الغراب من شق الهواء بجناحيه نحو الشمال، فرأيت الجبال البيضاء، ولكن رأيت أمامها ما أفزع قلبي وجعله يتزعزع من مكانه، فما رأيته كان أسوأ شيءٍ شاهدته، إنّه أشد رعبًا من تلك الغابة وما كان يحدث فيها. إنّ ما أبصرته كان بمثابة الحرب التي ستدمر جميع ممالك قارة "أوشانلاند".

الجانب الآخر

عام 2227م

لا زال الأخوان "عبد الله" و"فارس" يتساءلان غير مصدقين ما يرانه، كيف لم تعد الجزيرة موجودة؟ كيف لمكانٍ كبيرٍ في به أشجارٌ ومجرى مائي وكهفٌ كبير به تنانين لم يعد موجودًا؟ هل تختفي الأماكن؟ وإن كانت تختفي، فكيف ذلك؟

لقد كانت جميعها تساؤلاتٍ بين الأخوين، فقال "فارس":

- هل أنا مجنونٌ، أم نعيش الجنون؟

نظر له "عبد الله" في هدوءٍ كعادته وقال:

- في الحالتين؛ فنحن مجانين.

ساد عليهما الصمت لفترةٍ من الزمن لا يعرفان ماذا بعد! يفكّران في مصيرهما الذي لم يصمد في مركبٍ صغيرٍ بمجدافين وسط بحرٍ واسع، والمكان الوحيد الذي قد يكون لهما منفذٌ ليحاولا البقاء فيه على قيد الحياة لم يعد موجودًا.

سأل "فارس":

- هل سنموت؟

ربّتَ "عبد الله" على كتفه، ثم نظر نحو الغرب حيث البر الذي تركاه، الذي لم يعد على مرمى بصرهم وقال:

- ما تركناه خلفنا نعرف ماهيته، ولكن ما أمامنا فهو مجهولٌ لم نعد

نعلم به بعد هذه العاصفة.

تحدّث "فارس":

- هل سنعود؟

قال "عبد الله":

- العودة أو الموت.

فردّ "فارس":

- تقصد الموت القريب أو البعيد.

أدركا أنّه ليس هناك سوى العودة؛ فإنْ كانت نسبة بقائهما في وسط البحر منعدمة، فهناك أملٌ ضئيلٌ في ذلك عند عودتها إلى البر، فهما لم يجوبا الأرض، وفكّرا في أنْ قد يكون هناك أراضٍ لم تمسها الموجات الصوتية المدمرة. لقد عادا مُجدفين يشقان طريقها وسط البحر إلى الغرب على هذا الأمل الضئيل؛ ربما يستطيعان أنْ ينقذا نفسيهما، ووسط هذا نظر الأخ الصغير إلى أخيه وقال ساخرًا:

- إنْ كنا نحن الاثنان آخر البشر، وإنْ صمدنا لفترةٍ طويلةٍ فهذا يعني أنّ الجنس البشري سينتهي بعد عدة أعوامٍ حتمًا.

ابتسم "عبد الله" وقال له بنفس سخرية أخيه:

- هل تسمح لي أنْ أضيف على الأمل الضئيل الذي نملكه أملًا آخر منعدمًا؟

أجابه "فارس":

- لا تأمل ذلك، حتى وإنْ كانت هناك فتاتان في هذه الأرض لم يلحقا بالسفن، أو تمكنا من البقاء على قيد الحياة بطريقةٍ ما فلن يقبلا بنا على الإطلاق.

ضحكا سويًا غير مبالين بالحال الذي هُما فيه، لا يكترثان سوى بالمزاح في أحلك أوقاتهما، وهذا ما تعلمانه من حياة البحر التي عاشاها سابقًا؛ لقد قضيا ما تبقى من ليلتهم الطويلة، وأشرق عليهم أول شعاعٍ للشمس وهما لا يزالان يبحران، حتى وصلا إلى البر وبدأ النهار يولي عنهما، ترجلا ثم ربطا المركب بحبلٍ في وتدٍ صنعاه عند وصولهما. وقبل أنْ يغادرا الشاطئ اصطادا من السمك ما يكفيهم لأسبوعٍ قادم، ثم بعد أنْ انتهيا نظرا إلى بعضهما متسائلين دون أنْ ينبسا ببنت شفةٍ، حتى كسر "عبد الله" الصمت الذي أصبح لغتهما، بقوله:

- قد يكون الغرب المنقذ لنا.

تنفس "فارس" الصعداء؛ لأنّه يعلم أنّ الغرب كان في يومٍ ما كان مصدر قوة الآليين، وليس هناك بشرٌ على الإطلاق، فقال له في تهكمٍ:

- بذلك ستموت فكرة الفتاتين اللتين قد نجدهما لننقذ الجنس البشري.

ثم بعد مسيرة يومٍ من السير نحو الغرب باحثين في طريقهما عن أي آلةٍ من آلات التنقل أو مركبةٍ لا زالت تعمل؛ كي تقلهما إلى الغرب، لكن لا شيء ظلّ على ما هو؛ لقد تدمر كل شيءٍ، لم يتبقَّ شيئًا صالحًا للاستخدام.

جاء الظلام معلنًا عن ليلته الخامسة وقمره الذي طلّ بدرًا وهما في هذا الكوكب المهجور، لقد كان الظلام الذي يتخلله ضوء القمر الخافت فلم يعودا ينظران شيئًا واضحَ المعالم، وأثناء سيرهما وقد خارت قوتهما مع الأكل القليل، انبثق نورٌ شديدٌ، قد أعمى بصرهما لمدة ثوانٍ، وحين وضحت الرؤية، شاهدا شيئًا غريبًا اندهشا ولم يصدقا ما كان أمامهما، كيف ذلك؟ ومن أين؟ ولماذا هذا الوقت بالتحديد؟ ومتى حدث ذلك؟ تساؤلاتٌ كثيرةٌ جالت في أفكارهما، لقد أبصرا مركبةً فضائيةً كبيرةً مفتوحةً على مصراعيها، ومنها انبثق النور ومن أمامها عشرة أشخاصٍ مرتدين بِدلًا فضيّة اللون بخوذةٍ على الرأس، إنّها بدلًا تشبه تلك التي كان يستخدمونها في الزمن القديم حين كانوا يسافرون إلى الفضاء، لكنها ليست هي، فهذه أكثر تطورًا، ويبدو نوعًا ما أنّها بدلًا عسكريةً أو خاصةً بهم حين قيامهم بالأعمال الشاقة، كانوا مُقنّعين من رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم، لا يظهر منهم شيءٌ على الإطلاق، فلم يعرف "عبد الله" و"فارس" مَن هم؟ وهل هم بشرٌ؟ أم فضائيون مثل الذين دمروا كوكبهما منذ خمسة أيامٍ؟ أم آليون ؟ ظلّ يتساءلان في نفسيهما، يتبادلان النظر فيما بينهما، حتى تقدم رئيس هذه الكتيبة التي تتكون من عشرة أشخاصٍ، ويبدو أنّه أعلى رتبةً؛ فزيه الفضيّ كان أكثر رسوماتٍ وعليه الكثير من الميداليات ليس مثل البقية، ودنا نحوهما وقال من وراء بدلته في صوتٍ خارجٍ من مكبر الصوت الموضوع في بدلته:

- هل أنتما بشريان؟

تبادل النظر "عبد الله" و"فارس" فيما بينهما مندهشين، ثم أجاب

الأخير في غضبٍ وتهكمٍ:

- من المفترض أنّنا مَن نسألكم هذا السؤال.

فعاد القائد الفضي يسأل:

- أين كنتما؟

فأجاب "فارس" بنفس الأسلوب:

- من المفترض أنْ نسألكم من أين أتيتم؟

عاد القائد يسأل في جديةٍ:

- هل ذهبتما إلى الجزيرة؟

هنا، انتبه الاثنان إلى هذا السؤال وتغيّرت ملامحهما، وتقدم "عبد الله" وسأل هو هذه المرة:

- ماذا تعرفون عن الجزيرة؟

لم يجب القائد، بل نظر خلفه نحو جنوده الفضيين، ثم عاود النظر نحو الاثنين وأجاب:

- لقد اختفت هذه الجزيرة.

سأل "فارس" في اهتمامٍ:

- هل تعرفون ماذا حدث للجزيرة؟

أجاب القائد دون تردد:

- هذه الجزيرة لم تكن لعالمكم من البداية.

جحظت عيونهما مندهشين فتساءل "عبد الله":

- ماذا؟

أجاب الفضيّ:

- إنّها لعالم آخر اسمها جزيرة الضباب، ولكن بسبب سفر أحد البشريين منذ خمسة أعوامٍ على هذا الكوكب عبر الزمن، فحدث خطأ جسيمٌ في الخط الزمني، وتصادمت الأكوان ببعضها، ونتج عن ذلك ظهور معالم غريبة ليست في أماكنها واختفائها من أماكنها الأصلية.

تبادل الاثنان النظر بينهما وقال "فارس":

- اسمع، ليس نحن مَن تتحاور معهما في هذه الأمور، لقد كانت حياتنا على البحر فقط، فمَن كان سيفهم ذلك ليس لهم وجود؛ لقد مات كل مَن في هذا الكوكب كما ترى.

قال القائد:

- كلا، هناك عددٌ كبيرٌ لا زال حيًا، لكنهم في عالم آخر.

لم ينفكا من الاندهاش المرسوم على وجهيهما، فسأل "عبد الله":

- أتعرفون كيف يعودون؟

صمت القائد لحظاتٍ، ثم قال:

- لن يعودوا.

غضب "فارس" وقال:

- ما هذا السخف؟

أسكته أخوه الكبير، ثم نظر إلى القائد في تمعن بنظرةٍ ثاقبةٍ وسأله:

- مَن أنتم؟ وماذا تريدون؟

لم يجب القائد الفضيّ، فتقدم "عبد الله" أكثر ودقق النظر في عيني القائد المختبئة خلف القناع، ثم أردف متسائلًا:

- من أين أتيتم؟

ظلّ الفضيّ ناظرًا نحوهما قليلًا، ثم نظر إلى الأعلى وقال:

- أتينا من السماء.

حرب الممالك

مملكة "سوفيرج"

عام 505 ب.ت

آدم

لم تهتم "فريسيا" لما قاله العرّاف "أكاسيا"، لقد كان اهتمامها يصب على تلك الحرب الآتية على مملكتها دون أنْ تعلم سبب قيام الممالك الثلاث عليهم في ذات الوقت. لقد استعد الجيش اللوردلاندي، وشُدَتْ المجانيق، وحُدَتْ السيوف، وجُهِزَتْ الخيول، وصُلِبَتْ الدروع، ورُفِعَتْ أشرعة السفن ليحمي أسطول المملكة تجاه البحر؛ فهذا هو الاتجاه الذي ستضرب منه مملكة "كونغار"، لقد كانت ولا زالت مملكة الشمال متمرسةً في الحروب، وعدوًا مخضرمًا لأي غازٍ، ولها استراتيجياتها الحربية البارعة، إنّه جيشٌ عنيدٌ قويٌ صلدٌ يصمد حتى آخر الأنفاس.

لقد رأيت كل ذلك بعينيّ، ولقد غادر الجيش بأميرته وشدوا الرحال نحو جنوب المملكة، لقد تم الاتفاق أنْ لن تنتظر مملكة "لوردلاند" حتى يأتيهم العدو، لقد اقترحت عليهم أنْ يحاربوا بعيدًا عن شعبها، بعيدًا عن ربوع المملكة؛ فكان الرحيل نحو حدود المملكة نحو مدينة "ميجر" الجنوبية التي يكون ابن قائدها هو خطيب الأميرة "فريسيا" الأمير "ساتي"؛ وذلك كي يجذبوا العدو بعيدًا عن المملكة والعاصمة. ولقد وافقوا على ذلك خشيةً من خسائر الحرب التي قد تمس شعب المملكة وأرضها، ولكن كل هذا كان في كفةٍ وذلك التنين كان في كفةٍ لوحده، الجميع مطمئنٌ لأنّهم أصبحوا يملكون سلاحهم القوى الذي لا يتحكم فيه أحدٌ سواي؛ ولذلك فأنا بالنسبة لهم مفتاح النصر،

كما أنّ الجيش اللوردلاندي في هذا الأمر سيمتلك عنصر المفاجأة؛ فالممالك الأخرى لا تعرف بعودة التنانين، هذا ما قالته الأميرة "فريسيا"، لكني حاولت أن أحثهم على التأكد في ذلك الأمر؛ فالحرب لا تخلو من الخديعة، وقد يكون هناك خائنون أو جواسيس لكن دون جدوى، فاندلاع حرب ثلاث ممالك تجاه واحدٍ جعلهم يرتكبون بعض الأخطاء التي لا يرونها، وكوني لست منهم فأنظر إلى الأمر من الخارج، فأرى بوضوحٍ أكثر منهم، ولا أريدهم أن تتم هزيمتهم؛ فهذه المملكة وبعد كل شيءٍ تعرفني الآن بالمنقذ، قد أكون عبدًا بالفعل لدى واحدةٍ من هذه الممالك إذا هُزِمنا في هذه الحرب.

ألبسوني ملابس حربيةً ثم بدأ الترحال، وكان قائد الجيش هو مَن يقودهم إنّه الفارس "موليس"، يبعد سفرهم نحو جنوب المملكة أقل من أسبوعٍ، وبناءً على كلام الكشافة، فتحركت جيوش الأعداء منذ أقل من أسبوعين، فليس أمامهم سوى عشرة أيامٍ حتى يصلوا إلى الشمال؛ ولذلك سينتظرهم الجيش اللوردلاندي هناك ما يقرب من خمسة أيام.

لقد رأيت قوة الجيش وأنا بالأعلى، أحلّق فوقهم راكبًا التنين، ثم وليت بنظري خلفي نحو العاصمة "هيل" وأتذكّر أيامي القليلة التي قضيتها هنا؛ ولذلك فكّرت فيما تركته خلفي في هذه الأرض، إنّه ذلك الطفل الذي قد يكون من عالمي، قد يكون له صلةٌ بي، ومَن ذلك الشخص الأحمق الذي يمتلك قوةً مثل قوتي؟ ولماذا يأخذونه؟ فكّرت في ذلك واختلج قلبي حين وجدتني أترك حياة هذا الطفل البريء وأخرج إلى حربٍ راكبًا تنينًا أسود، ولا أعرف إن كنت سأعود أم لا؟ مَن الأحمق الذي يفعل هذا؟ لا أريد أن أكون ذلك الأحمق، ثم

نظرتُ أمامي ووجدتُ الجيش المهيب القوي، وما يملكه من أرواحٍ عديدة تترك مصيرها على أكتافي، فهُم يشعرون بالأمان والسند لأنّني معهم بهذا التنين، هناك صراعٌ داخليٌ مميتٌ مقيتٌ إلى أبعد حدٍّ لا أعرف أين الطريق الصحيح؟

عدتُ بالنظر للخلف ولا أعرف لماذا يختلج قلبي في كل نظرةٍ نحو العاصمة، وكأنّني أترك قطعةً مني في هذه الأرض، إنّه شعورٌ كجُرحٍ تتركه سكينٌ في قلبٍ ينزف، لم أتحمله وبالطبع لن أتحمله؛ ولذلك أخذتُ قراري.

سآخذ التنين معي وأعود به نحو العاصمة "هيل"؛ يجب أنْ أجد هؤلاء الأشخاص الذين يخطفون ذلك الطفل.

***

وصلتُ إلى حيث كنتُ، ولم أجد سوى التنين الذي سيساعدني في ذلك، سأحلّق فوق المدينة نهارًا وليلًا حتى أجد هؤلاء الأشخاص، لا زلتُ أتذكّر وجهه، لقد كان يحدّق فيّ كثيرًا حين كان مسجونًا معي.

ولكن أثناء قيامي بذلك بعد ساعتين، أبصرتُ العرّاف "أكاسيا" يلوّح لي من بعيدٍ حين كان يقف عن شرفة بيته، فنزل بي التنين أرضًا وترجلتُ وطار التنين بعيدًا ليربض، وذهبتُ إلى منزل العرّاف واستقبلني، فدخلتُ بيته وكان القلق على وجهه، فتساءل:

- لماذا عدتَ؟

أجبتُه:

- لن أترك الطفل في أيدي هؤلاء الحمقى.

ثم تطرق بالحوار بعيدًا وقال:

- كنتُ آمل أنّك تليّن عقل الأميرة وتجعلها تعيد النظر فيما رأيته.

قلتُ له:

- اسمع، لا أعرف ما إذا كان عَلَيّ أنْ أؤمن بما رأيته في رؤيتكَ أم لا، لكن ما أعرفه حقًّا أنّني لا أستطيع أنْ أساعدكَ؛ لطالما هناك أسرارٌ لا يجب البوْح بها.

أبصرتُ القلق والتردد مرسومين على وجهه، فأنقذتُه من ذلك الموقف؛ لأنّ في الحقيقة لا أكترث سوى لأمر ذلك الطفل، فقلتُ له:

- حسنًا، اتركني أنفذ مهمتي التي عدتُ لأجلها، لا بدّ وأنْ أجد هذا الطفل.

وشرعتُ في مغادرته فاستوقفني ما قاله:

- إنّه شرٌّ عظيمٌ لقد نما فيما وراء الجبال.

نظرتُ له خلفي بنظراتٍ متسائلةٍ فأردف هو:

- إنّه آتٍ من وراء الجبال البيضاء في أقصى الشمال منذ قديم الزمن.

عدتُ له وقُلتُ:

- يجب عليكَ أنْ تسرد لي كل شيءٍ مضمنًا في ذلك أمر جزيرة الضباب.

قال لي في استسلامٍ:

- حسنًا، سأحكي لكَ كل شيء.

***

أخذ "أكاسيا" يقص لي التاريخ القديم لقارة "أوشانلاند"، وسبب قيام الحرب الأولى بينهم منذ آلاف السنوات؛ وذلك بسبب جزيرة الضباب التي تقع في مركز القارة، وبسبب موقعها الجغرافي بين الممالك الأربع؛ فهي بعيدةٌ عن أي حدودٍ أو أي عدوٍّ يفكِّر في غزوها، فهي غير قابلةٍ للغزو، ذلك حين كانت ليست بجزيرة، لقد صُعِقتُ حين علمتُ أنَّها لم تكن جزيرة من قبل، لقد كانت الدهشة حين عرفتُ أنَّها كانت مملكةً قبل كونها جزيرة يغطيها الضباب، إنَّها المملكة الخامسة لقارة "أوشانلاند"! لقد طمع فيها الممالك الأربع الأخرى، وقامت عداوةٌ بينهم، وهنا اندلعت الحرب بسبب الطمع والقوة والاستيلاء على الأرض. وكانت المملكة الخامسة هي الضحية، فلم تكن من نصيب مملكةٍ من الأربعة، فبعد أنْ تمادت الممالك، أدركوا كم الخسارة التي ستتسبب فيها الحرب؛ ولذلك قرروا ألَّا تكون هذه المملكة لأية من الممالك الأربع، وعلى ذلك قاموا مجتمعين على المملكة الخامسة ومحو وجودها من الكون!

لقد قتلوا الأطفال، والنساء، وجميع الشعب بدءًا من جيشها، ولجعل الأمر يتضح لعامة شعب الممالك الأخرى أنَّه المذبحة لم تكن بفعل فاعل، بل مِن غضب الطبيعة عليهم، فتم الاتفاق بينهم أنْ تستخدم مملكة الجان سحرها وتلعن المكان بضبابٍ أسود لن ينتهي؛ فتغيب عنها الشمس حتى انقضاء الدهر، فيظهر للعامة أنَّ ضبابًا أسود مخيفًا قتلهم جميعًا وتسبب في إبادة نسلٍ بأكمله، كانت

هذه المرة الأولى والأخيرة التي قبلت فيها مملكتا الشمال والشرق بالسحر؛ ولهذا السبب كانتا تمقتان السحر، ولكن الأمر مختلف مع مملكة الغرب.

لقد كان المقابل الذي قدموه الممالك الثلاث لمملكة الجان هو ألّا تتجرأ مملكةٌ منهم أنْ تطأ قدماها على هذه الأرض وإلّا سيكون ذلك نقضًا للمعاهدة التي توثقت بين الأربعة، لقد احتاجت مملكة الجنوب لذلك بسبب أنّها المملكة الوحيدة من الأربعة الكائنة بعيدًا عنهم، إنّها أبعد مملكةٍ عن هذه الجزيرة، فإذا عاد جيشها حينذاك إلى مملكتهم، فلن تعلم إذا استولت واحدةٌ من الممالك على الجزيرة في ذات الوقت، لن تلحق أنْ تفعل شيئًا بعد أنْ تعلم بواسطة الغربان، لقد كانت هذه الحرب هي النقطة السوداء في كل مملكةٍ من الأربعة، كانت المذبحة التي لم تتجرأ مملكةٌ أن تنساها. وكيف يُنسى أمر إبادةٍ جماعيةٍ كهذه؟ إنّها الشوكة في ظهر كل مملكةٍ من الأربعة التي لا زالوا يعانون منها حتى الآن بعد مرور أجيالٍ وأجيالٍ، لقد كتب ذلك في الكتب، ومع انقضاء الزمن نُسي أمرها رغم تجلّى الحقيقة عند عامة الشعب في الوقت الحالي، إلّا أنّ الزمن كان كفيلًا ليُنسى الأمر، فلم يعد أحدٌ يهتم. وأخذ الجميع يلقبها بجزيرة الضباب رغم اسمها الذي كان مملكة "سوفيرج".

***

هذا ما قصه لي العرّاف "أكاسيا"، لم أتمالك أعصابي حتى صرخت فيه وجهه رغم عدم ارتكابه أي جريمةٍ، لكن أجداده فعلوا:

- إنّها إبادةٌ جماعية، بأي وجه حقٍ تمحون عرقًا بشريًا كاملًا لمملكةٍ

مستقلةٍ بذاتها؟ لقد وصل بكم الأمر لتتحدوا الخالق في خليقته، وتجعلوا أرضًا كاملةً بلا شمس.

دسّ العرّاف نظره في الأسفل، لقد رأيت الندم على وجهه، فقال آسفًا:

- لذلك قد يكون هذا السبب في نهوض الشر العظيم الذي نما وراء الجبال البيضاء .

فقلت له في تهكمٍ:

- أنتم ممالك الضباب جميعكم تستحقون هذا.

صمت ولم يجب، فأردفت:

- في الحقيقة، لقد ساعدتَني في أنْ أتخطى أمر مغادرتي لجيش المملكة في حربه، فلم أعد أشعر بالندم لذلك.

فقال في استعطاف:

- لقد صرختَ في وجهي حين عملتَ بأمر مذبحةٍ لمملكةٍ واحدة، فما بالكَ إذا كان الأمر مع القارة بأكملها.

لقد كان لعبارته وقعٌ مؤثرٌ بداخلي، لقد صمت لحظاتٍ، أفكّر في تمعن كنت أواجه الصراع الذي له أنيابٌ بداخلي، فنظرت نحوه وقُلت في عدم اكتراثٍ:

- لم ولن أكون أنا الموعود الذي كنتم ترفضوه في البداية، ثم تحوّلتم لأشخاصٍ تنظرون له كأنّه المنقذ.

ثم هممت بالمغادرة دون أنْ أبالي، ولكن نجح "أكاسيا" في أنْ

يستوقفني مرةً أخرى حين قال:

- ماذا عن "جوزهر"؟

نظرتُ له في نظراتٍ متسائلةٍ، فأردف:

- التنين الأسود الذي تمتطيه، اسمه "جوزهر".

حدّقتُ به قليلًا فانتبه هو فاستغل ذلك، وضغط أكثر وقال:

- دعني أصف لكَ ما رأيتُه في رؤيتي بالتفصيل؛ لقد كانوا كالوحوش، لن تستطيع أنْ تنقذ ابنكَ إذا وصلوا إلينا.

لقد اهتزتْ مشاعري حقًّا، ولقد نجح العرّاف أنْ يسترعى انتباهي .. انتباهي لِما سيعرقل طريقي نحو هدفي، وعلمتُ بداخلي أنْ إذا كان هذا الشر العظيم الذي يحول بيني والطفل فيجب أنْ أدمره، ولا سيّما حين قال جملته الأخيرة التي حرّكتْ بداخلي كل قوةٍ أريد أنْ أدمر بها كل ما يعيق هدفي، لقد قال:

- أستطيع أنْ أعرف مكان الطفل، في الحقيقة كان شعوركَ صادقًا .. إنّه ابنك.

ما وراء الجبال

لقد علم العرّاف ذلك حين استخدم سحره الشريف، شهق "آدم" حين علم أنّ الطفل ابنه، لقد اغرورقت عيناه لم يستطع أنْ يستقوي، لقد هزمته دموعه ونزلت على وجنته، هنا أدرك ماهية المشاعر التي كان يشعر بها تجاه هذا الطفل الذي كان مجهولًا بالنسبة له، فطن لماذا يفعل هذا؟ ولماذا يبحث عنه بجنون؟ علم لماذا قرر أنْ يترك مصير جيشٍ ومملكةٍ بحالها ليعود باحثًا عن الطفل! تفهم لماذا انتصر هذا الخيار على الآخر رغم رؤيته حينذاك أنّ حياة الآلاف كانت مقابل حياة طفلٍ وحيدٍ قد يكون ليس له علاقة به، لقد أدرك الآن قوة هذه المشاعر، سيحطم الأب القيود ويكسر الأغلال، ويعبر البحار، ويشق الجبال، ويدمر في طريقه كل ما يمثل عائقًا من أجل ابنه، بل من أجل النظر في عيني ابنه.

شرع يسرد "أكاسيا" لآدم ما أبصره في رؤيته، وأخذ يوصف له ذلك الشر الآتي من وراء الجبال، ذلك الشر الذي رأته "سارة" حين لامس دمها دم ذلك التنين الرمادي حسب الأسطورة القديمة التي تحكي عن ملامسة دم التنين لدم البشر، فيرى البشري كل ما رآه التنين، ويرى التنين كل ما رآه البشري.

ثم أخذت تحكي ما شاهدته "سارة" إلى "أيوب" بجوارها، لم يعرفا بعضهما أنّ كليهما يميل للآخر، وأنّهما معجبان ببعضهما دون علم أحدهما عن الآخر ماضيه، فلو كانت تتذكر "سارة" ماضيها لعلمت أنّه "أيوب"، الذي جعلها تعيش معه بالإكراه لمدة خمس أعوامٍ رغم محاولاته الفاشلة خلال الثلاث سنوات الماضية في التقرب نحوها،

فكانت مخلصةً لحبها الذي كنّته إلى "وحيد" الله يرحمه. لم تعطِ الفرصة له، لقد اختارت "وحيد" رغم غيابه الأبدي، وعلى العكس مع "أيوب" لو علم أنّ مَن يقع في حبها هي نفسها "سارة" الذي تمنى امتلاك قلبها من أعوامٍ كثيرة، لأحب كونها لا تتذكّر شيئًا ففي ذلك بمثابة فرصةٍ يُعوّض فيها ما فشل فيه منذ عدة أعوامٍ. لكنهما لا يعرفان بعضهما، لم تكن تعلم سارة" أنّ هذا التنين الذي تلامس دمها دمه هو ذلك التنين الضخم الرماديّ الذي امتلكته حين كانت مع "دينا" في كوكبٍ آخر بعد أن سافرث عبر الزمن وبسبب ذلك السفر انقلب كل شيءٍ رأسًا على عقب، لقد دخل التنين تلك الفوهة التي كانت كالدوامة في البحر، وأتى إلى هذا العالم الغريب المجنون فالتنين يشعر بصاحبه ويعلم بمكان وجوده فيذهب خلفه، ولقد جاء التنين الرماديّ وراء صاحبته.

في ذات الوقت، كان يحكي فيه قائد الأرواح المعذبة التي كانت ملعونةً تحت البحار في سجنٍ مسحورٍ إلى "نوح"، فبسبب كونه روحًا فإنّه يعلم الكثير من الأشياء، إنّه يعلم بأمر ذاك الشر الآتي من وراء الجبال، فأخذ القائد يسرد كل شيءٍ إلى "نوح" الذي نجح في مهمته لإنقاذ كل مَن يهتم لأمرهم من آليين أو بشريين، لقد أدرك هُوية الملكة "نيمسيا" الطاغية، وها هو الآن يستمع باهتمامٍ لأنّ المهمة أصبحث إنقاذ الجميع من براثن الخطر الذي يحدّق بهم في الشمال. لم يعد الأمر يخص "فهمي"، وزملاءه المرتدين، لقد أصبح الأمر يخص كل مَن عاش معهم في كوكبهم الأرض، بل وأكثر إنّه مصير شعوبٍ بأكملها، لا بدّ وأنْ يشارك في إنقاذ الجميع من الخطر.

ذلك الخطر الذي أبصرته "مريم" من مكانها في الغابة التي أصبحت

دون لعنةٍ بعيني الغراب الذي صار ملكها، لم تكن تعرف أنّها قوية لقد شكث في نفسها من أمر هزيمتها لأقوى وأشرس غرابٍ في مملكة الجان؛ فهي هزمث الملك "جونكويل" بذاته، لم تكن تعرف أنّ الغابة ليست التي ساعدتها، لم تكن تدرك أنّ ذلك الضباب الأسود الذي أتاها مرتين مِن فعلها هي، وليس من أفعال الغابة، لم تكن تعلم أنّها جالبة الضباب، وتستطيع أنْ تتحكم به وتجعله كالصلصال بين يديها، لم تكن تعلم أنّ تلك الطفلة التي بين يديها هي في الحقيقة طفلتها "وعد"، لو علمت بذلك لجلبث الضباب من كل حدبٍ وصوبٍ وجعلته يقلها مع ابنتها حتي يخرج بها طائرًا من هذه الغابة منذ أنْ وطئت قدميها أرض هذه الغابة. لا زالث تحسبها أنّها ابنة تلك الفتاة التي فقدث حياتها في محاولةٍ منها لحماية الطفلة، لم تكن تدرك أنّ هذه الفتاة هي صديقتها "دينا"، لو علمث لبكث عليها طوال السنوات الآتية؛ لأنّها ماتت في حماية طفلةٍ كانت تحسبها طفلتها، لو علمث "مريم" أنّ "دينا" ماتت في محاولة حماية ابنتها "وعد" لعاشث في عذابٍ أشد من عذاب الجحيم.

عرفوا جميعًا ذلك الشر الآتي من وراء الجبال في أقاصي الشمال، شاهدوا جميعًا ذلك الرعب الذي يتربص بهم في وقتٍ يحاربون فيه بعضهم، لقد رأوا تلك الكائنات المخيفة، إنّها كائناثٌ تملك أجسادًا شبيهًا بجسد الإنسان، لكنها أكبر حجمًا وأكثر ضخامةً منه، ولها وجوهٌ مشوهةٌ مخيفةٌ، كأنّها كانت بشريةً وتحوّلث مع مرور الزمن، الكائن الواحد منها له أسنانٌ مخروطةٌ حادة، ونابان طويلان قليلًا، وعينان حمراوان يبثّ الشر منهما، وأطرافٌ مشوهةٌ كيدين ذات ثلاثة أصابع كبيرة الحجم لكل واحد، وأظافر طويلة غليظة وحشية،

وأرجل لها أقدامٌ غريبة، كانت القدم الواحدة لها إصبعان كبيران ضخمان، وليس له أذنان بل فتحتان، لكنه يمتلك أنفًا في منتصف وجهه ليس لها بروز، بل مسطحة مع الوجه، وقرنين في الرأس .. إنّها كائنات "الأوربوروس". كائنات لا تموت، ولن تموت، يعيش الكائن الواحد أكثر من خمسمائة عامٍ، وبعدها يبدأ يأكل نفسه حتى لن يبقى سوى رأسه، فتظل هذه الرأس في مرحلة سباتٍ لمدة مائة عامٍ ثم يبدأ في تجديد نفسه، وتأخذ دورة اكتماله مائة عامٍ أخرى، بمعنى أنّ كل مائتي عامٍ يُخلق هذا الكائن ليعيش على الأرض خمسمائة عامٍ أخرى، كائنات لا تعرف الموت متجددة، وفي كل دورةٍ له يصبح أقوى من الدورة التي سبقتها، ويبدو هذه المرة حسب ما رأى "أكاسيا" في رؤيته أنّ هذه الكائنات لها أكثر من دورةٍ؛ فالشر والقوة والظلام كان سائدًا حين رآهم، إنّهم بصحبة حيوانات الماموث، والفيلة القديمة، وأيضًا الديناصورات الضخمة الوحشية، إنّها حقًا قوةٌ لا تُردع، لا تُهزم، تدمر أي شيءٍ، إنّهم قوةٌ يستحيل هزيمتها.

كانوا آتين من الشمال زاحفين بالرماح، والسيوف، والمناجل، والفؤوس، وكل ما هو قاطع، إنّهم كائناتٌ متمرسةٌ على المعارك والحروب، آتية من وراء الجبال، يبدو أنّها نجت بطريقةٍ ما من العصر الجليدي، أو بسبب التخبطات الزمنية التي حدثت بسبب السفر عبر الزمن، جاءت هذه المخلوقات بطريقةٍ ما إلى هذا العالم، واستقرت هنا آلاف الأعوام حتى تكون قوتها وحجمها بهذا الشكل.

إنّها أعدادٌ غفيرةٌ جدًا يصعب عدّها، إنّهم أكثر من عدد شعوب القارة بأكملها، ولقد وصلوا على الحدود الشمالية على أعتاب المدينة الشمالية لمملكة الشمال، مدينة "ستراند" وما حولها من قلاع.

انتهى "أكاسيا" من وصفه لما شاهده؛ فجحظت عينا "آدم" لا يصدق ما يسمعه، لم يتوقع أنْ يكون ما حاول أنْ يخبره به من البداية بهذا الشكل أو بهذه القوة؛ فسأله "آدم" في ذهولٍ:

- لماذا لم تخبرنا بهذه التفاصيل من قبل؟!

أجاب "أكاسيا":

- لم تصدقوني حين أخبرتُكم بأنّ هناك قوةً آتيةً زحفًا من الشمال، ولم تعطوني الفرصة كي أشرح لكم، ولولا أنّك دافعكَ الذي يحرّكك الآن وخوفكَ على ابنك ما كنتَ ستسمعني.

سأل "آدم" بعد تفكيرٍ عميقٍ في تمعن:

- كيف تموت هذه المخلوقات، أقصد كيف تُقتل؟

أجاب "أكاسيا":

- يجب أنْ تدمر رؤوسهم إلى فتاتٍ، ويجب أنْ يحدث ذلك للجميع في ذات الوقت، لا بدّ وأنْ يتحوّلوا إلى رمادٍ جميعهم في نفس اللحظة، وليس هناك قوة تستطيع أنْ تفعل هذا، ليس هناك قوة عنيفة متوحشة تستطيع أنْ تدمر جميع رؤوسهم في وقتٍ قليلٍ حتى لا يتسنى للآخرين الهروب، فما رأيته في الرؤية أنّهم كائناتٌ آتية من عوالم أخرى تم محوها بواسطتهم، ويبدو أنّ عالمنا هذا هو من عليه الدور في خريطتهم.

نظر "آدم" له في عينين ثابتتين مليئتين بالخوف والرعب، وسأل:

- إذن؟

أجاب العرّاف:

- لن تُقتل هذه الكائنات.

"لن تُقتل أو تموت كائنات "الأوربوروس".

لقد كانت العبارة التي تفوّه بها "أكاسيا" ليوجهها إلى "آدم"، وقالتها "سارة" لتخبر "أيوب" بجوراها، وتكلّم بها الروح القائدة تحت البحر إلى "نوح"، وهي أيضًا ما أدركته "مريم" حين رأتهم بعيني الغراب .. إنّه الموت فقط للبشر!!

فسأل "آدم" "أكاسيا":

- ماذا إنْ اجتمعت جيوش الممالك الأربع ليتحدوا معًا ضد هذا الشر العظيم؟

هنا جحظت عينا العرّاف وتذكّر النبوءة وقال يرددها:

- ... حينها سيكون الجميع واحدًا.

لم يفهمه "آدم" وتساءل عن سبب الابتسامة التي يراها على وجه العرّاف؛ فأجاب الأخير:

- يبدو أنّ النبوءة لم تكن تخص مملكة "لوردلاند"، بل كانت تخص القارة بأكملها. إذن هذا مغزى النبوءة، أنْ تتحد الشعوب لمواجهة هذه القوة، قد تكون الوحدة هي القوة التي لم تحدث من قبل وهي التي ستهزم "الأوربوروس"، ويبدو أيضًا أنّك الموعود.

لم يعطِ "آدم" اهتمامًا لما قاله العرّاف وتجاهله، وظلّ يفكّر، فأردف "أكاسيا":

- لن يحدث هذا الاتحاد سوى بكَ، ومعكَ "جوزهر".

انعقد حاجبا "آدم" وتساءل:

- ماذا عن "جوزهر"؟

أجاب العرّاف:

- إنّه أكبر وأضخم تنينٍ عرفته القارة منذ أكثر من خمسة قرونٍ، كما أنّه متمرس في الحروب والمعارك، لقد عُرِفَ بأشرس تنين عنيدٍ ولا يموت، قوي لم يكن هناك قوة رادعة له، وكان بعده التنين الضخم الآخر الذي كان بالمرتبة الثانية بعد "جوزهر" في الحجم، كان رماديّ اللون وأصفر العينين.

كان "آدم" يستمع باهتمامٍ لما قاله العرّاف، فقال الأول:

- يا ليته كان موجودًا بجانب "جوزهر".

قال "أكاسيا" في ابتسامةٍ:

- إنّه يُعرف باسم "دروك"، ولقد تم رصده بالفعل منذ أسبوعٍ هائمًا نحو الشمال لم يره الكثير، فكان "دروك" مشهورًا ببراعته في الاختفاء والانقضاض بغتةً على فريسته، كان أسرع تنينٍ في القارة؛ ولذلك تمكّن من العودة سريعًا طائرًا نحو الشرق، لقد تغيّرت التنانين ولم تعد تتذكرنا.

ثم صمت قليلًا وبعدها أردف في يأسٍ:

- لقد رأيت ما كان أكثر من ذلك في الرؤية، لم أكن أفهمه حينها، لكني فهمته الآن بعد أنْ فكّرتُ في أمر الاتحاد.

سأل "آدم":

- ماذا رأيتَ؟

أجاب "أكاسيا":

- حتى وإنْ اتحدث الممالك، فلن يحدث سوى في أمرٍ واحدٍ فقط ومن المستحيل أنْ يحدث.

تساءل "آدم" في اهتمام:

- ما هو؟ سأفع...

وقطع "أكاسيا" حديث "آدم" وقال في ذروة يأسه:

- يجب أنْ تتحد الأرض مع السماء مع القمر مع المياه مع النار مع الهواء.

نظر إلى "آدم" الذي كان جاحظ العينين، وأردف "أكاسيا":

- يجب أنْ تتحد عناصر الطبيعة لتكون واحدًا، وهذا المستحيل الذي لن يكون سوى مستحيل.

صمت "آدم" من صدمته، لا يعرف ماذا يقول، ثم شرد قليلًا وأخذ يفكّر مليًا، ويبدو أنّ اهتمامه تحوّل من إنقاذ ابنه لإنقاذ الجميع، ثم نظر في عينيّ "أكاسيا" وقال:

- خلال أيامي التي قضيتها هنا لقد سمعت بعض الأساطير التي تنبع من وراء الجبال البيضاء، مثل: المنبوذون الذين تم نفيهم عبر السنين من ملوك هذه المملكة، أرى أنّهم أصبحوا أعدادًا كبيرةً الآن، ماذا لو كان بمقدورهم مساعدتنا في هذه الحرب؟ فنحن نحتاج

للجميع.

انعقد حاجبا العرّاف فلم يتوقع ذلك ولم يخطر بباله قط شيءٌ مثل هذا الجنون، وهنا علم أنّه يُحدّث رجلًا مجنونًا لم يقابل مثله من قبل ولن يقابل، فتساءل:

- ماذا لو كان قُتلوا بواسطة "الأوربوروس"؟

فكّر "آدم" قليلًا، ثم قال ما يوصف بالجنون حقًّا كعادته التي لم يتذكّرها حتى الآن، لقد قال:

- لا يوجد سوى طريقةٍ واحدةٍ لاكتشاف هذا.

ثم رسم ابتسامةً على وجهه وقال في فخرٍ وجنونٍ:

- سأحلّق إلى هناك.

سأل "أكاسيا":

- ماذا عن عناصر الطبيعة؟ كما أنّه ليس هناك سوى الظلام.

أجاب "آدم" في ثقةٍ قائلًا:

- دع الطبيعة تقرر، كما أنّ القمر اقترب على بدره فلن يكون هناك ظلامٌ.

جيوش بلا قوة

كانت "الأميرة "فريسيا" في مقدمة جيشها، إنّها تقوده بنفسها وبجانبها قائد الجيش "موليس"، إنّها اختلفت عن جميع الملوك التي تختبئ وراء جنودها، لم تكن تشعر بالخوف، وكان ما يساندها في ذلك التنين الذي كان يحلّق فوقها "جوزهر"، والمتحكم فيه ذلك الغريب الذي بدأت تشعر بنفسها أنّها تميل له دون أنْ تشعر، ولكن سرعان ما تحوّل هذا الإعجاب إلى مقتٍ وكرهٍ إلى أبعد حدٍّ، ولوهلةٍ من الزمن شعرت ولأول مرةٍ بالخوف وعدم الأمان، لقد شعرت أنّها عاريةٌ ولا شيء يسترها؛ كان ذلك حين نظرت إلى الأعلى وشاهدت التنين الوحيد الذي عاد بعد آلاف السنين، يتركهم في وقتٍ هم كانوا في أمس الحاجة إليه، لقد جعل ذلك الغريب التنين الأسود يعود، لماذا يفعل ذلك؟! هل كان منذ البداية جاسوسًا تابعًا لمملكة الغرب وهي أخطأت في ظنّها الطيب تجاهه؟! ذلك ما كانت تفكّر فيه الأميرة، فصاحت غاضبةً:

- إنّهم يملكون أسلحتهم القوية، ونحن عراةٌ ليس لنا حول ولا قوة. كيف سندافع عن مملكتنا؟

غضب قائد الجيش "موليس" قائلًا:

- لقد حذرتُكِ منه منذ البداية.

تساءلت الأميرة:

- ماذا نفعل؟

أجاب "موليس":

- في جميع الأحوال زاحفون نحونا، لن نستطيع أنْ نعود، فسنعرّض جيشنا للموت ولن تكوني الحاكمة.

صرخت قائلةً:

- لا أريد أنْ أكون ملكةً، ما أحتاجه هو الحفاظ على مملكة الشمال، أريد أن أبقي عليها كونها رائدة ممالك قارة "أوشانلاند".

وكان القرار الأخير بعد الكثير من الخوف الذي تسرب إلى قلوب جنود المملكة جميعهم هو الزحف نحو مدينة "ميجر" للحرب والدفاع عن المملكة، وهنا علم الجنود أنّهم زاحفون نحو الموت المحقق بلا شك.

***

جحظت عينا "أيوب" بعد أنْ سمع كل شيءٍ ممّا قالته له "سارة"، نظر إلى ذئبه "أوراس" فوجده مكشرًا عن أنيابه معلنًا قوته وشراسته، لقد سمع "سارة" ويريد أنْ يحارب هؤلاء المخلوقات، فدنا منه "أيوب" وقال له:

- اهدأ يا صديقي، فلم تعد التنانين هي مخاوفكَ، فما رأته الغريبة المحبوبة قوة لا تفوقها أي قوةٍ أخرى، ولا أريد أنْ تفقد حياتكَ حين وافقتَ أنْ يمتلككَ أحدهم؛ فهذا يجعلني نذير شؤمٍ على كل مَن يحاول أن يقترب نحوي، وفي الحقيقة لا أريد ذلك، أريدها أنْ تقترب.

كان يقول عبارته الأخير غامزًا بعينيه إلى الذئب؛ فسمعته "سارة" وابتسمت بداخلها، ثم ظهر قلقها وتساءلت:

- ما رأيته لن يترك لنا مكانًا نعيش فيه معًا حتى نعرف مَن نحن.

نهض "أيوب" من موضعه، ونظر في عينيها وقال:

- بل لن يتركنا نحن، سنموت قبل أنْ نعلم بهُويتنا.

سرحت "سارة" قليلًا، ثم عادت لتقول:

- أريد أنْ أموت بعد أنْ أعلم بهُويتي، لن أموت غريبةً في أرضٍ غريبة.

فتساءل "أيوب":

- إذن؟

نظرت "سارة" نحو التنين، ثم عادت بالنظر نحو الذئب "أوراس"، ثم إلى "أيوب" الذي تنهد الصعداء، فيبدو أنّه علم ما تفكّر فيه تلك المجنونة.

في ذلك الوقت كان الملك "إيكاي" وبجواره أخوه "أنطور" كلٌّ منهما على ذئبه، يسيران في قلب جيشهم السائر نحو الشمال منذ أسبوعين كان الاثنان يتملّكهما الخوف قبيل الحرب، لقد تغيّر وضعهما وصار جيش الشرق بلا قوة، كان الملك غاضبًا فحاول أخوه معه ليهدأ قائلًا:

- لطالما عرفناكَ بالحكمة يا أخي، كنتَ دائمًا تتحكم في غضبكَ، ما بالك في هذه الأوقات؟

نظر الملك إلى أخيه في عمقٍ وقال:

- أرى أنّني سأترك المملكة في أيدٍ أمينة.

قال "أنطور":

- تعلمتُ منكَ في الصغر.

قال الملك:

- إنّ مصير مملكةٍ كان في أيدي أحدهم، وها قد خذلنا.

ردّ الأخ:

- إنّها ليست حربه، وغير مطالب أنْ ينفذ النبوءة، النبوءة دائمًا تنادي صاحبها؛ فمصير المملكة في أيدي أصحابها وحكامها وشعبها.

تحدّث الملك في غضبٍ:

- لكنه قال أنّه سيأتي وراءنا، لماذا كذب علينا؟ من المفترض أنْ يوحّد قطيع الذئاب، وها أشاهد الذئاب وحدها دون قائد، كيف سنحارب؟ كيف سنواجه مملكةً عادتْ إليها تنانينها؟ كيف سننتصر ونصف ذئابنا أصبحتْ في خبر كان؟

وقبل وصولهم بأكثر من عشرة أيامٍ، حدث ما يؤكد هزيمتهم أمام مملكة الشمال، لأول مرةٍ لم يستطيعوا أنْ يفعلوا ذلك؛ لقد رأى جيش مملكة "نانيوس" الرعب قبل يعيشوه، لقد كُتِب تدميرهم ومحوهم أمام نيران التنين، لم يعودوا يستطيعون أنْ يتحكموا في ذئابهم، لقد عوتْ الذئاب جميعًا في نفسٍ واحد وكأنّهم يتواصلون مع بعضهم بلغتهم الخاصة بهم، لقد كان العواء مهيبًا مخيفًا، ترتجف له الأبدان بعد أنْ ألقت جميع الذئاب راكبيها أرضًا وهاج جميعهم، ثم حدث ما

لم يحدث من قبل؛ لقد تركتهم الذئاب لأول مرةٍ منذ آلاف السنوات، لقد توجّه جميع الذئاب نحو الاتجاه المخالف، نحو حيثما أتوا ركضوا جميعهم نحو الشرق وخانوا أصحابهم، لقد توحّد القطيع بالفعل ولكن ليس في مساعدتهم، بل في خيانتهم لهم! فقال "أنطور" في خوفٍ لأخيه الملك:

- رغم بعده عنهم بمسافاتٍ طويلة، لقد استطاع أنْ يوحّدهم، لقد ناداهم قائدهم بالفعل ولكن ضدنا.

وهنا تملّك جنود جيش الملك الخوف والقلق على مصيرهم الذي ينتظرهم في حربٍ ليس فيها ندٌّ لأي عدو.

***

سمع "نوح" كل شيءٍ من الروح القائدة، لم يشعر الأول بشيءٍ، لكنه علم أنّ ما وصفته له روح القائد كان قوةً عظيمةً تكفي لأنْ تدمر عوالم، وهنا علم بنهاية جنسه وجنس صديقه "فهمي"، فقال رافضًا الواقع:

- لن أفعل كل ما فعلته في حياتي لأنتهي على أيدي مسوخٍ.

قال القائد مستسلمًا:

- لكل شيءٍ نهايته.

قال "نوح" معارضًا:

- علينا أنْ نسطر نهايتنا بأيدينا، ليس بواسطة مخلوقاتٍ وحشية.

قال القائد:

- أراكَ تتحدّث مثل البشر.

ردّ "نوح":

- ألم تكن بشريًا يومًا؟

قال القائد:

- لكوننا بشر تمت إبادة شعبي، ولكونهم مثل البشر كانوا مَن سطروا نهايتنا.

تساءل "نوح" قائلًا في غضبٍ:

- هل عشتم آلاف السنين هنا تحت البحر مستسلمين، تقتلون كل مَن كان يريد أنْ يحرركم دون أنْ تعلموا بذلك؟

غضب القائد وصاح قائلًا:

- ليس لديك أدنى فكرةٍ عمّا عشناه هنا في منفانا، إنّها بحور الموتى...

فأوقفه "نوح" كي لا يكمل حديثه، وقال صارخًا:

- ألم تشعروا بالندم حيال ما فعلتموه بكل مَن أتى ليحرركم؟! لقد كنتم مَن نفيتم أنفسكم هنا، ليس هؤلاء البشر.

صمت القائد قليلًا، يبدو أنّه فكّر فيما قاله "نوح" ويبدو أنّ الأخير أصاب في قوله، بل أصاب القائد في مقتل، لقد نكّس الأخير رأسه قليلًا، فأردف "نوح":

- ليس عليكَ أنْ تنكّس رأسكَ في حين تستطيع أنْ ترفعها مع

جميع شعبكَ؛ كي تعودوا إلى أجسادكم في فخرٍ.

عقدتْ الروح القائدة حاجبيها، وقال في تساؤل:

- ماذا تقصد؟

وهنا ابتسم "نوح" قليلًا، وبدأ يخبره بما يريده أنْ يفعله، لقد كان ذلك الجنون ذاته؛ فإنّ "نوح" يخوض مغامرةً لم يسبق أنْ خاضها مِن قبل، ولكن وسط ذلك، حدث شيءٌ مخيفٌ من أعماق البحر آتيًا من الشمال، لقد كان زئيرًا قويًا مصاحبًا لحركةٍ في أمواج البحر الهائجة.

كان في ذلك الوقت جيش مملكة "كونغار" في البحر بأسطولهم الكبير قارب على الوصول إلى مملكة الشمال، وفي عز حماسهم وارتفاع مستوى الأدرينالين لديهم، حدث ما لم يتوقعوه، لقد كان ذلك بمثابة الخيانة التي قسمتْ ظهرهم، لقد غادرهم بغتةً "جولونغول" الثعبان ذو الثلاث رؤوسٍ فجأةً حين هاجت الأمواج من تحتهم! وغيّر "جولونغول" مساره آخذًا طريقه نحو الغرب عائدًا، لا يعرف أحدٌ السبب، وكأنّ هناك شيئًا حدث تحت المياه شعر به فعاد ليراه، فحدثتْ همهماتٌ وبلبلةٌ بين الجيش وسط السفن، كانت حينذاك الملكة "نيمسيا" بجوار "فهمي"، فتساءلتْ الملكة بغضبٍ:

- هل شعر بوجود "نوح" تحت البحر؟

نظر فهمي نحو المياه وقال غير مبالٍ:

- يبدو أنّ "نوح" ليس بالموعود، و"جولونغول" بدأ ينقلب على مملكتكم.

زاد غضب الملكة، وحدّقتْ في عيني "فهمي" غير مصدقةٍ ما

يحدث، فقالت:

- ماذا نفعل؟ لقد تركنا "جولونغول" في أكثر وقتٍ نحتاج إليه، إنّه قوتنا الوحيدة.

تساءل "فهمي" في قلقٍ:

- هل سنعود؟

لم تجب "الملكة"، لقد فكّرت مليًا، ونظرت نحو الشمال ثم قالت قرارها في تردد:

- إذا عُدنا سنظهر بالضعفاء أمام شعبنا، سنكون في نظرهم أنّنا الجيش الذي لم يستطع أنْ يحارب ويأخذ حق الملك الذي قتلوه، سنخسر حينها القوة والهيبة في نظرهم، ولن يستطيع ابني أنْ يكون ملكًا. كما أنّنا سنذهب إلى حتفنا؛ فسلاحنا أعلن خيانته لنا.

قال "فهمي" في عدم اكتراثٍ:

- وإنْ ذهبتِ نحو الشمال ستخسرين الحرب وتعودين إليهم بنفس الطريقة التي حكيتِ بها للتّو.

نظرت الملكة في عينيّ "فهمي" وقالت في حسمٍ:

- في الشمال يكمن الأمل حتى لو كان ضعيفًا، أما غب الغرب يوجد موتٌ محقق؛ فحتى لو خسرت فلن نعود حينها جبناء، ولذلك سنكمل مسيرتنا نحو الشمال ولنأخذ بثأر الملك.

فنفخوا في البوق إشارةٍ لاستكمال الإبحار نحو الحرب، بل نحو نيران التنين التي ستحرقهم أحياء كما يظنون.

***

فتحت "مريم" عينيها في ذعرٍ، لقد جحظت عيناها غير مصدقةٍ ما رأته، نظرت نحو الطفلة في خوفٍ ثم ضمتها إلى صدرها، وأخذت تنظر إليها قائلةً:

- لم يتم إنقاذكِ لتموتين بواسطة هؤلاء الوحوش.

ثم تساءلت عن ماهية هذه المخلوقات، وكيف سيصمد هذا العالم تجاه هذه القوة التي لا مثيل لها، ولا رادع يصدها، إنّه الجحيم ذاته وأحدٌ لن يفلت منه، سيدمرون كل مَن وما يواجههم في طريقهم، لقد رأت ذلك بأم عينيها.

لم تلبث حتى ركضت بكل ما أوتيت من سرعةٍ، هذه المرة علمت المخرج بالفعل، لم تعد الغابة تفعل سحرها الذي يسجن كل مَن وطأ أرضها، لم تعد ملعونة لقد تركتها حقًا الغابة حتى خرجت أخيرًا، وسلكت طرقها نحو المخرج الذي يكمن في اتجاه البحر .. نحو الشمال، خرجت من الغابة، وألقت نظرةً أخيرةً عليها، وقالت ما يوصف بأنّه الأغرب على الإطلاق لقد حدّثت الغابة قائلةً:

- شكرًا على كل ما قدمتِه لي لجعلي إنسانةً قويةً صامدةً تتغلب على ما يواجهها، شكرًا لكِ لخروجي من أرضكِ قوية بعد أنْ دخلتُ ضعيفة.

وبعد مرور أسبوعٍ تفكر فيما رأته، كان ذلك الوقت الذي عاد فيه الغراب، كان النعيق آتياً من بعيد، نظرت نحو الأعلى فوجدته، فابتسمت لقد شعرت بالأمان حين أبصرته طائرًا نحوها، لقد شعر بها

لقد علم أنّها بحاجةٍ إليه، اقترب نحوها رغم ضخامته التي تكفي لأنْ يقل الطفلة على ظهره؛ فحدّثته قائلةً:

- ماذا أفعل؟

سمعها "الغُداف" وأخذ يهز في عنقه، مشيرًا برأسه ومنقاره في كل اتجاهٍ، وهنا تذكّرث حين غلبته عندما جاء الضباب إليها وجعل الغراب في طاعتها، فكّرث في أنّها لو كانت تستطيع أنْ تُجلب هذا الضباب، تمنث لو تهديها الغابة هذه القوة؛ فنعق الغراب بقوةٍ فأجفلث "مريم"، ثم رأته ينكّس رأسه إلى الأسفل في الهواء، وهو معلقٌ تجاهها باسطٌ جناحيه. انعقد حاجبيها وتساءلث لماذا يفعل الغراب هذا، فقالث له في يأسٍ:

- حتى أنتَ أيُّها الغراب تريدني أنْ أصدق أنّني مَن جلبث الضباب!

ثم فكّرث قليلًا، وقالث في نفسها بعد أنْ تنهدث الصعداء، وسماعها لبكاء الطفلة بين ذراعيها:

- حسنًا، ماذا لو كنث أنا؟

صمتث قليلًا وسكن معها "الغُداف"، وأخذ يفعل ما فعله في اللحظة الذي انهزم فيها أمامها؛ فانتبهت لذلك ولا إراديًا أغمضث عينيها وأخذث تفكّر في الضباب الأسود، ففعل مثلها الغراب وأغمض عينيه ولا تعلم "مريم" ماذا يفعل "الغُداف".

كان في ذلك الوقت أسطول مملكة الجان في طريقه بمنتصف بحر "أوشا"، في منتصف النهار يغطي الأسطول سربٌ من الغربان التي تصاحب فرسانها التي تتحكم فيها وترى بعينيها. لقد دار حوارٌ

بين الملك "جونكويل" والأمير "أورلوف"، كان قد قال فيه الملك ما لم يتوقعه أبدًا "أورلوف" إنّها المرة الأولى التي حدث فيها ذلك في مملكة الجان، فقال له:

- لقد أتى الوقت يا "أورلوف"، أنْ تأخذ لكَ غرابًا وتسميه باسمٍ وتكون بينكما علاقة التواصل.

لم يصدق "أورلوف" نفسه، لقد انفرجت أسارير وجهه، ونظر إلى الأعلى حيث السرب الأسود المكون من آلاف الغربان الذي يغطي أسطولهم ويحميهم من العواصف والأمطار وشدة الشمس في النهار.

ثم تحوّلت انفراج أساريره إلى كبتها، وانعقد حاجباه حزينًا، وكان ذلك شعور الملك أيضًا، يتساءل ما الذي يحدث؟ لقد تسرب ذلك إلى جميع الجيش، بدأت أشعة الشمس تنفذ على وجوههم، لقد شعروا بدفئها، يبسطون كفوفهم في محاولةٍ منهم ليصدوا أشعتها ويمنعوها من النفاذ إلى وجوههم كي يستطيعوا أنْ يروا.

وهنا، لاحظ الجميع زيادة أشعة الشمس التي تنفذ إليهم، وقلة الغطاء الأسود الذي خلقته الغربان، فبدأ ينكمش رويدًا رويدًا ليقل معها عدد الغربان! إنّها كانت أول مرةٍ تترك فيها الغربان أصحابها، لقد رأوا جميعًا سرب الغربان الأسود عائدًا نحو الجنوب تاركين خلفهم الجيش! فصاح الملك غاضبًا:

- إنّنا نذهب إلى حربٍ لنحارب فيها مملكةً عادث لها قوتها في وقتٍ تركتنا قوتنا. كيف سنحارب؟!

وبدأ الخوف يتسرب إلى قلوب الجنود، ولا يوجد حولهم سوى المياه زاحفين نحو نهايتهم التي ستكتب بواسطة مملكة الشمال، كما يظنون.

فهمي

كانت طبيعة مدينة "ميجر" خضراء، تملأ أرضها الحشائش، كما أنّها تمتاز بعلو أرضها عن مستوى البحر، بها مساحة كبيرة أقصى جنوبها بالقرب من البحر تخلو من السكان، إنّها أرضٌ ترابية عفراء بعيدًا عن شعب المملكة وبيوتهم، يتخللها الكثير من التلال الصغيرة، ستكون ميدان الحرب بين الجيوش الأربع، التي وصل أولهم بعد مرور أسبوعٍ آخر، إنّه الأسطول الغربي بجيش مملكة "كونغار"، وصل إلى حدود مملكة "لوردلاند" عند مدينة "ميجر"، وبعدها بيومين وصل جيش مملكة "نانيوس" من الناحية الأخرى من المدينة، لقد كان جيش الكونغاريين في غرب المدينة، وجيش النانيوسيين من الناحية الشرقية للمدينة، كان الجيش اللوردلاندي قد سبقهم إلى هناك بانتظارهم في جنوب المملكة، حين وصل الجيش الشرقي اندهش حين شاهد الجيش الغربي يعسكر في غرب المدينة؛ لماذا تشن مملكة "كونغار" الحرب على مملكة الشمال؟! وكان نفس السؤال الدائر في عقول الجيش الغربي؛ لماذا قوات مملكة "نانيوس" تريد أنْ تحارب مملكة الشمال؟!

وبعد يومين وصل الأسطول الجنوبي حاملًا جيش الجان، ولكنهم لم يتساءلوا لمعرفتهم سلفًا سبب قيام المملكتين الغربية والشرقية على مملكة الشمال، في حين أنّ الجيشين يتساءلان أيضًا عن وجود أسطول مملكة "فوريس" التي تريد الحرب هي الثالثة.

كان السؤال الأغرب الذي تساءلته الممالك الأربع: لماذا عسكر الجميع ولم تقم مملكةٌ واحدةٌ بأي بادرةٍ؟ ليس هناك مملكة قامت

بالهجوم، فكل مملكةٍ منهم لا تعلم بأمر الأخرى، كل مملكةٍ من الأربعة لا تعلم أنّ جيش المملكة الأخرى عارٍ بدون سلاحه القوي، كل مملكةٍ من الأربعة تظن أنّ جيش المملكة الأخرى تملك سلاحها، فكان الجميع خائفًا من أنْ تقوم إحداهن بالهجوم بعد أنْ كان الحماس والرغبة الجامحة في الحرب يصلان إلى أقصى حدودهما. فكان كل جيشٍ منهم خائفًا، بل ويريد هدنةً قبل أنْ تبدأ الحرب حتى، وهذا لم يحدث من قبل في تاريخ الحروب.

ولذلك رُفعت أعلام الهدنة بعد أنْ عسكر كل جيشٍ في مكانه، لقد كانت المدينة مكتظةً بالجنود، الجيوش الأربعة موجدون في مدينةٍ صغيرة.

وهذا ما جعل "فهمي" ينتهز هذه الفرصة، ليمنع حربًا قد تكون خسائرها وخيمة، إنّه يريد أنْ يحمي شعبه الذي قد يكون موجودًا في أي بقعةٍ من هذه الأرض التي ستكون بمثابة بحرٍ من الدماء إذا قامت هذه الحرب، شعبه الذي لم يتذكّره لكنه يفكّر في ابن أخته الذي يُدعى "آدم" الذي له أختٌ تُدعى "سارة" وزوجةٌ تُدعى "مريم"، وابناه "يوسف" و"وعد" هذا ما عرفه من الشخص الآلي الذي يُدعى "نوح"، هُم مَن يشغلون باله، رغم عدم تذكره لهم، إلّا إنّه يعلم في قرارة نفسه أنّهم أهله، وفقدان الذاكرة قد لا يدوم. وفكّر أيضًا أنّهم قد يعودوا في يومٍ ما إلى عالمهم الأصلي؛ لذلك أخذ حصانًا وركض به إلى الأمام وتقدم دون أنْ يرجع للملكة "نيمسيا" إلى مكان حيث يكون على مرمى الجميع، وصرخ بصوتٍ جهورٍ رافعًا رايته التي تشير إلى عدم القتال من ناحيتهم:

- نريد أنْ نعقد مجلسًا.

كانت المسافة التي تفصل بين الجيوش الأربع كبيرة فلم يسمعوه، لكنهم يرون تلك الراية ويعلمون ماذا تعني؛ فتقدم من كل مملكةٍ وكيلٌ عنها برفقة بضعة من أكفأ الجنود. وكان المركز بين الجيوش الأربع يدور فيه حوارٍ حول رغبة "فهمي" في انعقاد مجلسٍ يضم قادة الممالك الأربع جميعها.

وفي هذا المكان حيث المركز، وصل كل قادة الممالك الأربع، بعد أنْ شُدت خيمةٌ تجمعهم، ودار حوارٌ شائكٌ بينهم، كان محتواه ما فعلته مملكة الشمال في كل مملكةٍ، الأمر الذي أنكرته مملكة الشمال، ولا تعرف عنه شيئًا؛ فهي لم ترسل إحداهن لتقتل ملك الغرب، ولم تُرسل تنينًا لتقتل ذئاب مملكة الشرق، لكنها لم تنكر وطأتها لجزيرة الضباب، وهنا غضب القادة جميعهم؛ وكان هذا كفيلًا لاتحاد الممالك الثلاث ضد مملكة الشمال، ولكن الأخيرة قدمت حيلتها وسببها للقيام بهذا الفعل، وكان مخرجها القوي من هذا المأزق هو تقديم الحيلة الأكثر ذكاءً، وهي أنّ إذا أية مملكة لم يكن لديها سوى أملٍ حتى لو كان ضعيفًا لكنه بمثابة السبيل الوحيد لعودة قوتها، لفعلت ذلك. فلم تقصد أنْ تنقض مملكة الشمال أية معاهدةٍ، وإنّها تحترم ذلك بشدة.

وهنا، صمت جميع القادة بسبب ما يعلمونه بداخلهم، وأنّ جميعهم لا يملكون قوتهم فلم يعترضوا على ما قدمته قادة مملكة الشمال من التماسٍ؛ لأنّها كانت تجري وراء نبوءةٍ زعم عليها الملك في آخر نفس له، فانتبه "فهمي" لذلك وتساءل:

- نبوءة؟!

أجابت "فريسيا" وبجوارها خطيبها "ساتي":

- نعم، إنّ محتواها يقول: "سينبع من الأرض وسط أشد الرياح السوداء، كأنّه نازلٌ من السماء تحت ضوء القمر بين أمواج البحر العنيدة، حينها سيكون الجميع واحدًا."

استرعى ذلك انتباه كل الموجودين؛ فنظر "فهمي" في اهتمامٍ للملكة "نيمسيا" التي كانت حاضرةً المجلس وفكّر قليلًا ثم قال:

- غريب، فمملكة الغرب تؤمن بنبوءةٍ أيضًا!

تساءلت "فريسيا" موجّهةً ذلك إلى "نيمسيا":

- ماذا تقول نبوءتكِ أيّتها الملكة؟

أجابت الملكة "نيمسيا":

- في الحقيقة، بدأتُ لا أؤمن بهذه الثّرهات، ليس هنا مَن "سيركض في سرعةٍ كالوحش الناري وسط الظلام؛ سيحطم القيود ليجلب الدمار، حينها سيكون الجميع واحدًا."

ثم أبصر "فهمي" علامات الاستفهام المرسومة على وجه الملك "إيكاي" حين كان يبادله ذلك أيضًا أخوه "أنطور"، فسأل الأول "أنطور":

- ماذا؟

فقال "أنطور":

- لطالما رفضتْ نبوءةً كانت شغل أخي الملك الشاغل، لقد قضى عمره يبحث عن الموعود المزعوم، لقد انتظر أعوامًا كثيرة مَن "سيأتي من الشمال ومن الجنوب، من الشرق ومن الغرب، سيأتي من الوسط، سيجمع القطيع وحينها سيكون الجميع واحدًا."

ثم نظر "فهمي" نحو ملك الجان "جونكويل" وبجواره ابن أخته "أورلوف"، وكانت علامات الغضب تحفر مسارها في وجه الملك، فقال "فهمي" له:

- هل هناك مَن يضايقكَ أيُّها الملك، أم نبوءتكم لا تؤمنون بها؟

صرخ ملك الجان وقال غاضبًا:

- نحن شعبٌ راقٍ، لا نؤمن بهذه الثُّرهات، لا يوجد لدينا ما يُسمى بنبوءة.

استرعي غضب الملك اهتمام الجميع، فتساءل ملك الأقزام "إيكاي":

- من ملكٍ إلى آخر، ما الذي عكّر مزاجكَ فيما نتحدّث؟ قد يكون ذلك الشخص الذي يُدعى "فهمي" صائبًا في هدفه؛ فالحرب لا نأخذ منها سوى الخسائر.

صمت ملك الجان وأخذ يفكّر فيما أصابه مؤخرًا، فقدانه لغرابه، ثم فقدان جميع المملكة لجميع لسلاحها القوي .. جميع الغربان، فتوقف عن التفكير حين طرقع "فهمي" بإصبعيه، وكأنّه وجد حلًا للغزٍ غامض، فنظر له الجميع وقال في نظرةٍ ثاقبةٍ:

- أرى أنّ الممالك الثلاث تجتمع على شيءٍ واحد وهو نبوءة، ولكنها

تختلف كل نبوءةٍ عن الأخرى، ولكني وجدتُ أنّ هناك شيئًا واحدًا تتفق عليه النبوءات الثلاث، وبالتالي فمن المفترض أنْ تتفق عليه جميع الممالك.

تساءلت "فريسيا":

- ما هو ذلك الشيء؟

أجاب "فهمي":

- كل مملكةٍ من الثلاثة تؤمن بنبوءةٍ، ولم يكن لديها علمٌ بأنّ هناك مملكةً أخرى تؤمن بنبوءةٍ أخرى؛ ولهذا أحدٌ لا يستطيع أنْ يتنبه إلى ذلك الشيء.

صمت الجميع في ترقبٍ مستمعين إلى "فهمي" حيث أردف:

- جميع النبوءات الثلاث تتفق في آخِر كلماتها، وهي *"حينها سيكون الجميع وحدًا."*

فكشّر ملك الجان عن أنيابه، وأخذ يرمق الجميع في نظرةٍ متوعدةٍ وصرخ قائلًا:

- أرى أنّه لا يوجد هنا سوى شيءٍ واحدٍ تتفق عليه الممالك الثلاث، وهو أنْ يصبح الجميع واحدًا، أرى أنه ليس هناك سوى هدفٍ واحدٍ تسعون إليه جميعًا مختبئين خلف كذب نبوءاتكم المزعومة، وهو أنْ يكون الجميع واحدًا، إنّكم تريدون أنْ تصبح جميع ممالك قارة "أوشانلاند" واحدًا، وهذا كان مسعاي وهدفي أنا من البداية، ولن أسمح لأحدٍ منكم أنْ يسلبني إيّاه، أنا مَن سأوحد القارة وأصبح الملك الوحيد الأوحد لقارة "أوشانلاند".

جحظت عيون الجميع، وظهرت علامات الغضب على كل الحاضرين، وهنا تحدّث ملك الأقزام في غضبٍ:

- اسمع ملك الجان، لم أسعَ إلى شيءٍ سوى شيءٍ واحدٍ، وهو أنْ أوحد قطيع ذئابنا ليكون واحدًا، ولقد سلبني تنين مملكة الشمال ذلك.

نهضت الملكة "نيمسيا" من مكانها وقالت في حدةٍ:

- لم أكن أريد شيئًا سوى التحكم في "جولونغول" كي لا يلتهم مملكتنا، أردتُ أنْ يكون شعبنا واحدًا في أرضه، لم أنتظر سوى مَن سيحرر جيش الموتى الملعون بأسفل البحر، ولكن هناك مَن قتل ملكنا، ولم يكن سوى رسولٍ من مملكة الشمال؛ فهذا السيف الذي وجدناه مغروزًا في صدر الملك.

كانت قد أشهرت سيفها، الذي كان قبضتها عبارة عن شكل تنين، وهنا أجفلت "فريسيا" وغضبت قائلةً:

- لقد وضحت لكم الأمر سلفًا؛ إنّنا لم نفعل شيئًا، لقد كان أبي الملك الراحل لا يكره شيئًا سوى النبوءة المزعومة؛ ولذلك لم يكن يمقت سوى شيءٍ واحدٍ وهو عبارة "*حينها سيكون الجميع واحدًا.*" لم يرد إطلاقًا فكرة توحيد القارة، لقد رأى في ذلك ضعفًا له، بعد أنْ أصبحت مملكتنا هي الأضعف حين انقرضت التنانين، ويبدو أنّك الوحيد هنا الذي كنتَ تفكّر في أمر التوحيد تحت رايتكَ أيُّها الملك "جونكويل".

لقد أصابت "فريسيا" في مقتل ورمق كل الحاضرين ملك الجان

بنظرةٍ متوعدةٍ، لكن الأخير كان ذكيًا رغم تهوره، وقال في دهاءٍ موجّهًا حديثه إلى أميرة الشمال:

- ولكن بعد أنْ عادث التنانين أصبح الأمر مختلفًا، لقد رأيتم أنّ قوة مملكة الشمال الرائدة عادث، وأبصرتم أنْ توحدوا القارة تحت رايتكم، ولذلك قتلتم ملك الغرب، وأحرقتكم نصف ذئاب مملكة الشرق، وبنقضكم المعاهدة قدمتم الخيانة لمملكة الجنوب.

لقد غضبت "فريسيا" حين سمعث ما يزعمه ملك الجان، وهاج ملك الأقزام حين علم بمسعى ملك الجان الخفي، ولا زالث لم تتخطَ ملكة الغرب أمر قتل زوجها الملك بواسطة مملكة الشمال، وظلّ ملك الجان يفرض قوته عليهم وإنّه الأحق في الوحدة، إنّه لا يسعى سوى لأنْ يصبح ملك الممالك الأربع، إنّه الأقوى والأشرس.

ثم قام الجميع غاضبًا، كلٌّ منهم يحمل ضغينةً تجاه الآخر، لقد زاد الحوار بينهم حِدة.

لم يكن هناك فرصة إلى "فهمي" أنْ يتحدّث، ولقد نظر إلى الأمر إنّ استنتاجه الذي قاله أصبح السبب في المشاحنة بين الممالك الأربع فيما بينهم؛ لأنّ بما قاله اتضح أمرٌ مهمّ للجميع، وهو مسعى ملك الجان في فرض قوته؛ لقد أدرك "فهمي" أنّه دمر بنفسه فكرة الخلاص من الحرب، بعد أنْ كان هو مَن دعا للصلح. لقد نكّس رأسه لأنّه كاد أنْ ينجح في مسعاه حين رأى الهدوء والتقبل منهم، ولكن لم يكن سوى هدوءٍ ما قبل العاصفة، هذه العاصفة التي تقترب بأنْ تعصف بالجميع حين شاهد المشاحنة تتزايد وتتفاقم، وأصبح الأمر أنّ كل مملكةٍ ترى الأخرى خائنةً؛ ولذلك فكّر في أنْ يتفوه بما يُسكت

هذا الصراع، لقد قال السر الذي من المفترض ألّا يخبر به أحدًا لقد قال:

- لقد اختفى سلاح مملكة "كونغار"، لم نعد نتحكم في "جولونغول".

نجح "فهمي" بالفعل في أنْ يجعل الصمت يسود خيمة المجلس، في حين كان الغضب وصل أقصاه عند الملكة "نيمسيا". توجّه نظر الجميع إليها إنّها الأضعف من وجهة نظر الآخرين، لكن أردف "فهمي" في دهاءٍ قائلًا:

- كما أعتقد أنّ مملكة "نانيوس" لم تعد تمتلك سلاحها أيضًا، لا أحد منا رأى الذئاب ولا أحد يسمع عواءها.

أجفل الملك "إيكاي" في صمتٍ، لقد توجهت العيون نحوه لقد أصبح مثل مملكة الغرب، إنّهما المملكتان الأضعف في نظر الأخريين، لقد تحوّل الصراع إلى أقصى درجات الذهول، فضغط "فهمي" أكثر واستطرد:

- وقد تكون المملكتان الأخريان لم يعدا يمتلكان سلاحيهما.

ثم تحدّث ذلك الصوت الصامت منذ بداية المجلس بداخل هذه الخيمة، لقد كان "أورلوف"، حيث فكّر عميقًا في مستقبل مملكة الجنوب إذا استمرت تحت حكم ذلك الملك المتهور، الذي لا يعرف سوى بسط قوته حتى لو كان ذكيًا، ثم رغبته في مصير ابنته التي يقع في غرامها، ويتنمى لها حُكم المملكة في عدل، حيث يأمل في أنْ يعود شرف عائلته ومنزله، ويترك نقض المعاهدة القديمة، فعاش

عمره يمقت أمر المملكة في إبعاد عائلته من أمور السياسة وكأنّهم عبيدٌ، لقد استغل مكانته وكونه ابن أخت الملك، ووقوع الأميرة في حبه، لا يبالي بالأمر الجديد الذي أخبره به الملك في أنْ يحق له امتلاك غرابٍ كما تمنى طيلة حياته، لكنه أدرك أنْ لم يعد هناك غربان لامتلاكها، ففطن خسارة قضيته في جميع الأحوال، ففجّر المفاجأة وقال:

- ومملكة الجان لم تعد أيضًا تتحكم في غربانها.

لقد كان ذلك بمثابة الصعقة الثالثة، ولكنها صعقت الملك "جونكويل" الذي ندم حينها أنّه اعتبره في يومٍ من الأيام بمثابة ابنه، وربّاه تحت رعايته. وفي وسط هذا كانت الفرصة متاحة للصوت الآخر الصامت منذ بداية المجلس، إنّه خطيب "ساتي" الذي خان كل العهود، ونظر في عينيّ خطيبته الأميرة "فريسيا" وقال:

- في الحقيقة، إنّ مملكة الشمال هي الأضعف بالفعل، لا تفكّرون لحظةً أنّها صارت الأقوى، لطالما كانت الأضعف؛ فهي مملكةٌ دون ملك، والملكة قاتلة زوجها، والخيانة موجودة في العائلة كما في تنانينها، لقد صارت التنانين تحت سيطرة غريبٍ ليس من مملكتنا.

نظرت "فريسيا" إليه وكانت عيناها مغرورقتين، لم تتحمل هذه الخيانة، فأردف "ساتي" قائلًا لها:

- في خطبتي لكِ لم أكن الملك، ولكن في سقوط الأسرة الملكية الحالية سأكون الملك الأول من منزله، لقد كنتُ مَن وراء قتل ملك مملكة "كونغار" لكي تقوم مملكة الغرب على الشمال، فهي مَن كانت حينها الأقوى بين الممالك.

لقد كان ذلك أقوى المفاجآت، لقد صُدِم الجميع، ولكن الأمر لم يتغير بالنسبة لمملكة الغرب؛ فالأمر لا زال أنّ القاتل من مملكة الشمال، وهنا صدر الغضب من مملكة الغرب، وعاد الصراع مرةً أخرى بين الممالك بعد أنْ أصبح الآن الأمر مختلفًا؛ لقد تفشّى السر الخاص بكل مملكة، وأصبحوا جميعهم عراةً، ولم يعد هناك الخوف الذي كان يتملك كل مملكةٍ من أخرى، لقد علم الجميع أنّه لم يعد هناك أسلحة جبارة كما عرف الزمن، فعادت المشاحنة بينهم.

فجميع الممالك لا تريد سواها، لقد خرجوا من الخيمة غاضبين، ولم يروا أمامهم سوى الدم، ولقد كان الحل الوحيد الذي سيعلن عن الأحق بكل شيءٍ ليس سوى شيءٍ واحدٍ .. وهو الحرب.

جحافل الأوربوروس

أصبحت الأرض الترابية العفراء مليئةً بالجنود، وآلات الحرب، والأحصنة الحاملة فرسانها، والمجانيق. كان جيش مملكة "لوردلاند" آخذًا الموقع الشمالي للمنطقة، وعلى مقدمته قائد الجيوش "موليس".

أمّا الأميرة "فريسيا" في المؤخرة تشاهد عن بُعدٍ وحولها مَن يحميها مِن أكفأ الفرسان، أمّا الموقع الغربي للمنطقة كان محتله جيش مملكة "كونغار" بعد أنْ بقى ربعه على السفن ليحموا أسطولهم، وكان الفارس "أفاريس" وبجواره ابن الملك البكر "أندريا" في طليعة جيشهم، والملكة "نيمسيا" كعادة الملوك في المؤخرة. حين كان الموقع الشرقي من المنطقة من نصيب جيش مملكة الأقزام "نانيوس"، ولكن كان ملكهم لا زال حماسه يصل أقصاه، فقاد جيشه إلى الحرب وبجواره أخوه "أنطور" ليساعده، كما أنّ هناك قائد الجيش "كارفا". وكان الجنوب للجنوب، فتجهز جيش الجان، مملكة "فوريس" وعلى مقدمته الأمير "أورلوف" لقد خان الملك، ولكن لم يخن شعبه ومملكته، أمّا عن الملك "جونكويل" نفسه، فأخذ قلب الجيش مكانًا له، لقد كانت المسافة التي تفصل بين الجيوش الأربع تصل لأكثر من ألف ذراع.

كان ميدان الحرب يحدّه في أقصى شماله منازل شعب مملكة "لوردلاند"، ولا سيّما شعب مدينة "ميجر"، ومن ناحية الغرب كان البحر بالأسفل، ومن الشرق الأشجار، أمّا الجنوب فكان النهر المؤدي إلى جزيرة الضباب الذي يصب فيه مياه البحر من جنوب الجزيرة.

رُفِعت الأعلام، ودُقَّت الطبول .. طبولٌ تجعل القلب يُخلع من مكانه، إنّها طبول الشر والحرب، ونُفِخَت الأبواق، تلك الأبواق التي ارتجفت لها الأذان كأنّها نواقيس الخطر قد رُنّت.

تأهّب الجنود، وسُحِبت السيوف من غمودها، كانت تلمع تحت ضوء الشمس فيُعكس ضوؤها في عيون الأعداء. صهَلت الخيول، ودبّت الأرض بحوافرها، جُهِّزت المجانيق، ومُدّت الحراب، وشُدّت الدروع، وأخذ قادة الجيوش تحفز الجنود، فصرخت الجنود حتى كاد صراخها يُسقط الجدران، ودبت الأرض بأرجلهم حتى كادت أنْ تتشقق.

صار الجميع على قدمٍ وساقٍ، كل جيشٍ من الجيوش منتظر الآخر أنْ يبدأ الهجوم.

لقد كان الهجوم من نصيب مملكة الغرب؛ فهي تحمل الضغينة نحو مملكة الشمال، وبمجرد أنْ بدأ جيش الكونغاريين في الركض على اللوردلانديين، لحقه جيش مملكة الجان في الهجوم على مملكة الشرق، وذلك لما حدث من مشاحنةٍ بين المَلِكين في مجلس الخيمة؛ فأصبحا لا يطيقان بعضهما، وذلك لإظهار كلٍّ منهما قوته للآخر.

لا زال جيش الغربيين يركض نحو الشماليين، ومن الناحية الأخرى لا زال جيش الجنوبيين يشق طريقه نحو الشرقيين. في حين أخذ جيش الشمال وجيش الأقزام موقع الدفاع. أمّا "فريسيا" في المؤخرة، وبجوارها خطيبها "ساتي" الذي كانت ترمقه بنظراتها، فقالت له:

- لن أسامحكَ على هذه الخيانة.

نظر إليها في خبثٍ وقال:

- سأحاول ألّا أشعر بوجودكِ حتى تنتهي هذه الحرب؛ فالمملكة ستحتاج لملكٍ جديدٍ قوي بعد انتهاء هذه الزوبعة.

زمجرت "فريسيا"، وقالت صارخةً:

- لن أتركك تفعل ذلك حتى لو كان موتي هو السبيل في عدم تحقيق ذلك.

رمقها بنظرةٍ باردةٍ، دون أنْ ينبس ببنت شفةٍ، فنظر أمامه مثلها نحو الجيش الذي مدد حرابه وأخذ موضع الدفاع بعد أنْ تقدم فريق المشاة الأول، الذي كانت مهمته هي شد الدروع ليشكّلوا صفًا يكونوا به جدارًا يحمي به بقية الجيش بالداخل، كانوا في انتظار فرسان الغربيين الراكضين نحوهم.

ومن الناحية الأخرى، كان جيش الشرقيين أشعل الكرات المكونة من الأحجار الصخرية المنحوتة من جبالهم التي لطخوها بالزفت؛ ليساعد على اشتعالها بداخل أذرع المجانيق، كان ذلك في قلب الجيش. في حين كان الملك "إيكاي" بجوار أخيه في طليعة الجيش التي تأهبت بالسيوف للدفاع ضد أولئك الشُّقر ذوي الشعر الفضي، أولئك السحرة الذين يفلعون حركاتٍ غريبة وبهلوانية في الهواء بسيوفهم كأنّهم يستدعون قوة الظلام الساحرة. فقال "أنطور" لأخيه الملك:

- إنّني غير متفائل.

ردّ الملك قائلًا:

- لا بدّ وأنْ تدافع عن مملكتكَ، إنّها عائلتكَ وشعبكَ وأرضكَ؛ هذا شرفك ويجب أنْ تدافع عنه حتى لو كنتَ عالِمًا أنّها النهاية.

قال "أنطور" بعد أنْ تنفّس الصعداء:

- لقد قلتُ لكَ سلفًا، أنْ لا وجود لنبوءة، إنّنا في مأزقٍ بسبب هذه اللعنة.

نظر الملك إلى أخيه في تحفزٍ وقال:

- لن ينتظر الشرف حتى تمد يد المساعدة، لن يخلو الأمر من الخيانة، هذه طبيعة الحروب.

زمجر "أنطور" قليلًا وقال في ذات التحفز:

- تعلم أنّني لن أتركك.

وتأهّب الشرقيون في انتظار الجان الهاجمين نحوهم، كان الجميع على قدمٍ وساقٍ، سواء المدافعين أو المهاجمين، ارتفع مستوى الأدرينالين حتى أقصاه، زادتْ ضربات القلوب، وتدفّقت الدماء في العروق حتى كادت أنْ تنفجر. وبدأتْ المسافة التي تفصل كل جيش في التقلص، فأصبحت الألف ذراع خمسمائة، ثم ثلاثمائة حتى اقترب الفاصل إلى أقل من مائة ذراعٍ، وبعد برهةٍ من الزمن ستتناثر الدماء.

لقد تناثر ولكن ليستْ الدماء، لقد كان هناك شيءٌ آخر غريبٌ غير مألوفٍ، اندهش الجميع لرؤيته، لقد كان في اتجاه الشمال خلف الجيوش، لقد كان دخانًا ترابيًا متصاعدًا نحو السماء جعلتْ العيون

أجفلت، مصاحبًا لصوت خطواتٍ مهرولةٍ لا تعرف وجهتها تدب في الأرض، فأرعب ذلك الصوت الأذان، فتوقف كل شيء، تسمّرت الجيوش، وتوقف مَن كان يركض، ومَن كان يهاجم، وتراخى كل مَن كان يدافع، ومَن كان يتأهّب، الكل انشغل في صوت الخطوات التي تدب الأرض المقتربة نحوهم التي تبدو أنّها السبب وراء ذلك الضباب الترابي المتصاعد نحو السماء.

لقد ولّى الجميع نظره نحو الشمال، حتى الجيش الشمالي نظر إلى الخلف تاركًا جيش الغربيين الذي توقف عن الهجوم لينظر مترقبًا نحو هذا الحدث، لقد كانت "فريسيا" على حصانها ومَن بجوارها هم الأقرب إلى هذا الحدث، فصرخ قائد الجيش من الخلف وقال مناديًا:

- احموا الأميرة.

وتقدّم "موليس" يشق طريقه بحصانه وسط جيشه مقتربًا نحو أميرته، والتف الجميع حولها، حتى قالت في نفسها مستنكرةً:

- هل رؤية العرّاف "أكاسيا" كانت حقيقية؟!

وبعد لحظاتٍ، اتضح أنّها لم تكن رؤية العرّاف فلا تكون حقيقية في نظرها، لقد كان شيئًا آخر، شيئًا ليس من المفترض أنْ يحدث، لقد اقترب صوت الخطوات المهرولة، واقترب معها الضباب الترابي، ثم وبعد ترقُّب شديدٍ كانوا آتيين في خوفٍ مهرولين في فزعٍ، وعلى وجوههم علامات الذعر، لقد كان شعب مملكة الشمال يهرول في رعبٍ ناظرين خلفهم من حينٍ لآخر، وكأنّ هناك شيئًا ما يطاردهم، لقد جحظت عينا الأميرة "فريسيا"، تساءلت كيف يتركون منازلهم

وأرضهم ويركضون إلى هنا؟ إلى ميدان الحرب؟ إلى هلاكهم. ماذا يوجد هناك خائفين منه ليجعلهم يتركون كل شيءٍ ولا يفكّرون في مصيرهم الذي سيلقي حتفه في الحرب؟

بدأ الجمع يتدفق كالسيول من أمامهم لا يأبهون سوى إلى ما يركض خلفهم لا يُمسِك بهم، وبعد حين توقف مَن ظهر في الأول، وصار يتوقف مَن بعده، وهكذا كل مَن وصل إلى ميدان الحرب، لقد توقفوا حين انتبهوا أخيرًا أنّ هناك جيشهم يقف أمامهم يحميهم من أهوال الحرب، ولكنه أصبح الآن هو ما يحول بينهم وما يخافون منه بالخلف، جيشهم أصبح بالنسبة لهم هو العائق الذي يمنعهم من الهروب كي يبقوا على قيد الحياة.

لقد تجمع الشعب اللوردلاندي، وشرعوا يصيحون بأصواتٍ مخيفة يطالبون جيشهم وحاميهم أنْ يفسحوا لهم طريقًا ليعبروا منه، لقد فُزع الجيش ممّا يراه، فتقدمت الأميرة "فريسيا" نحوهم، فصمت الشعب حين لمحها تتقدم نحوهم؛ فهي بمثابة الملكة المستقبلية لهم، ثم تحدّثت بصوتٍ مسموعٍ:

- لماذا تركتم أرضكم؟ لماذا أتيتم إلى هنا؟ كيف سنفتح لكم طريقًا وهنا العدو بالخلف يتربص لنا؟

تقدم أحدهم، وقال في خشوعٍ:

- إنّهم ليسوا العدو، العدو الحقيقي خلفنا نحن.

تساءلت "فريسيا":

- ماذا تقصد؟

تقدم آخر وقال:

- لكِ أنْ تتخيلي أيّتها الأميرة أنّ هذا الجمع الذي ترينه أمامكِ الآن هو كل مَن تبقى من شعب مملكة "لودلاند".

لقد كانت تلك الصدمة التي صعقت بكيان "فريسيا" حتى كادت أنْ تخرج عيناها من مقلتيهما، بل بكيان كل الجيش الذي سمع ما تحدّث به هذا الرجل؛ فترجلت الأميرة من حصانها، وتقدمت نحو شعبها برفقة حراسها، وقد اغرورقت عيناها، فدنت نحوهم وتساءلت في صوتٍ مبحوحٍ مذعورٍ:

- كيف حدث ذلك؟!

ثم تحوّل سريعًا هذا القلق إلى علامات الامتعاض، وأردفت في غضبٍ بصوتٍ صارخٍ:

- ماذا حدث لشعبي في غضون أسبوعٍ؟

وقد علمت "فريسيا" بكل شيءٍ، علم كل الجيش بكل ما حدث لذويهم من الشعب، لقد كانت تلك الفاجعة التي أصابت الجميع لم تتوقع أبدًا الأميرة ذلك، وندمت كل الندم لأنّها انساقت خلف عقلها وحماسها، فنظرت نحو قائد الجيش بعينين مغرورقتين "موليس"، وقالت في أسفٍ:

- لقد كان "أكاسيا" على حق.

أجابها القائد قائلًا:

- لم يعد هؤلاء العدو الذي نقلق بشأنه، إنّ العدو الحقيقي أمامنا

يشق طريقه نحونا .. نحونا جميعًا.

قالت:

- أتساءل ماذا حدث لوالدتي، لإخوتي؟

أجابها:

- سيكونون بخير، والدتكِ شجاعة وذكية، ستتصرف لتحمي نفسها.

قالت الأميرة في نظرةٍ ثاقبةٍ:

- إنْ كان ذلك العدو قادرًا على محو شعبٍ بأكمله في أسبوعٍ، فإنّهم حشودٌ غفيرةٌ حقًّا قد تزيد أعدادهم عن أعداد جيوش الممالك الأربع معًا، فلم يستغرقوا الكثير حتى يمحوا قارة "أوشانلاند" من الوجود.

ثم أمرت الجيش لينقسم إلى قسمين؛ أحدهما تقدم إلى الأمام خلف الشعب الشمالي، والآخر سيكون في مكانه، وذلك ليتم حصر الشعب من أطفالٍ، ونساء، وشيوخ بين الجزئين؛ بهدف حمايته من جيوش الممالك الثلاث الأخرى من ناحيةٍ ومن ما ينتظرونه آتيًا من الناحية الأخرى .. من الشمال.

ذلك الذي حدث جعل الآخرين يتساءلون عمّا يحدث! جعل الممالك الثلاث يتساءلون ماذا يُجري؟! يقفون في أماكنهم لا يفهمون شيئًا، ولا يعلمون ما المفترض الذي سيفعلونه في التالي؟

***

بعد دقائق من الترقب والانتظار، ظهر من العدم ما لم تصدقه

عينٌ، ما جعلهم ارتجفوا، لقد زادت ضربات قلوبهم، ودبّ في كيانهم الخوف، إنّهم شاخصون أمام جحافل كبيرة من "الأوربوروس" .. كائنات غريبة كريهة مخيفة، مسلحين بسيوفٍ، ورماحٍ، ومناجل، وفؤوسٍ، وكل ما هو قاطع، كانت أسلحتهم مخيفةً وغريبةً مثلهم، ولكن لا وجود للوحوش الأخرى التي حكى عنها "أكاسيا"، لا وجود لحيوانات الماموث، ولا الفيلة المتوحشة، ولا الديناصورات .. فقط كائنات "الأوربوروس"، أعدادٌ غفيرة حقًّا، يصعب على العين عدّها.

تسمّرت الأقدام، وحدّقت العيون، وفُتحت الأفواه، ثم بدأ القسم الأمامي من جيش الشمال يتقهقر رويدًا رويدًا؛ خوفًا من ذلك الموت الشاخص أمامهم على هيئة كائنات "الأوربوروس".

وشعب الشمال بدوره يرجع للوراء، حتى لامس القسم الآخر من الجيش؛ فشرع الأخير يتقهقر هو أيضًا للوراء، وبدأ الجميع يتراجع فزعًا ممّا يرونه أمامهم.

ثم صاحت الأميرة "فريسيا" بعد أنْ أدركت خطأها حين استهانت برؤية العرّاف، صرخت بتحفزٍ:

- اصمدوا.

فتوقف الجيش تلبيةً لرغبة حاكمتهم، فأردفت هي:

- هذه أرضكم، وهذا شعبكم؛ لقد قتلوا أهلكم هناك، لن نسمح لهم أنْ يمحوا وجودنا، وينهوا عرقنا.

فصاح الجيش وتحفّز ورفع أسلحته، وسرعان ما بدأ جيش "الأوربوروس" في الزحف نحوهم يركضون بسرعةٍ تجاه جيش

الشمال، لا يعرفون شيئًا سوى القتل بوحشية.

أخذت المسافة التي تفصل بينهم تتقلص شيئًا فشيئًا، وبدأت في الانعدام، لم يبقَ سوى القليل، لقد أخذ جيش الشمال موضع الدفاع، ولا يأمل في شيءٍ سوى في الموت بسلامٍ دون ألمٍ، فقالت "فريسيا" التي أصبحت في مقدمة المواجهة بعد أن كانت في مؤخرة الجيش:

- إن متنا لا بدّ وأن نموت ونحن ندافع عن أرضنا، وشعبنا، وأهلنا.

لم يبقَ سوى القليل، ثوانٍ قليلة وسيتم قتل جيش الشمال بوحشيةٍ، وقبل نقطة الالتحام حدث شيءٌ آخر، لم يُقتل أحدٌ من جيش مملكة "لوردلاند"! نظر الشماليون لما حدث فوجدوا جنود جيش مملكة الغرب يتخطوهم ويهاجمون كائنات "الأوربوروس"، يقتحمون جيش العدو! لقد كانت تلك المفاجأة التي لم يتوقعها، أن يأتي جيش مملكة الغرب ليساعد جيش مملكة الشمال بعد أن كان لا يريد سوى قتل جيش مملكة "لوردلاند". لقد تبدّل مصير الحرب، وأصبحت حربًا أخرى لا أحد كان بانتظارها.

لقد كان ذلك عن طريق "فهمي" الذي حثّ الملكة على مساعدة الشماليين في حربهم، إنّها ليست حربهم فقط، لقد نجح في إقناعها أنّه حين ينتهون من الشماليين سيأتي الدور على الجميع، ويتم محو هذه القارة من الوجود؛ فأمرت الملكة استكمال التقدم نحو الشماليين لكن بهدف مساعدتهم.

وبدأ الالتحام بين جيشيّ مملكتي الشمال والغرب من ناحيةٍ وجيش "الأوربوروس" من ناحية أخرى، لقد كان الأخير يحارب

بوحشية، قتل كل مَن يقابله، لقد كانت هذه الكائنات قوية، لم تصمد جنود الشمال والغرب، وبدأ يسقط منهم واحدٌ تلو الآخر، لم يكن هناك أي تكافؤ بين الطرفين، لقد كان ذاك بمثابة انتحار للبشريين.

وهناك من ناحية الشرق، كان جيش مملكة "نانيوس" ينظر في حزنٍ لما يحدث أمامهم، لقد ظهر ذلك على وجه الملك "إيكاي"، فنظر نحو أخيه وقال:

- هل سنقف حتى يأتي الدور علينا دون أنْ نفعل شيئًا.

كشّر "أنطور" عن أنيابه، وصرخ في جنوده وقال:

- لقد جاء الوقت الذي سنهاجم فيه، ونلطخ سيوفنا بدماء تلك المخلوقات.

فصاح جنود مملكة الشرق وتأهبوا، وزحفوا نحو إخوانهم ليساعدوهم، وكان ذلك المفاجأة الأخرى لجيش الشمال والغرب، بعد أنْ كان جيش الشرق موجودًا هنا لينتقم لموت ذئابهم بواسطة تنين مملكة الشمال.

وبدأت الملحمة بينهم، كان جيش الجان يأخذ دور المتفرج لا يفعل شيئًا وذلك بأمرٍ من الملك، ولكن كائنات "الأوربوروس" كانت غفيرةً بشكلٍ مخيف، أعدادهم كانت أضعافًا أضعاف عدد جيوش القارة الأربع مجتمعين، فتحرّكت بقية كائنات "الأوربوروس" وتقدمت أكثر متوغلين بين البشر، ثم غطت مساحةً كبيرةً فبدأوا يحاصرون البشر ويضغطون عليهم، فأغلقوا عليهم من جميع الاتجاهات، لقد تمكن "الأوربوروس" من السيطرة على الوضع، وأخذوا يتوغلون أكثر

وأكثر حتى اتجهوا جنوبًا؛ فوصلوا إلى جنود جيش مملكة الجان، الذين وجدوا أنفسهم مجبرين على محاربة هذا الكيان دون إرادتهم.

وهنا، في هذه اللحظة، بدأ الاشتباك الرابع مع كائنات "الأوربوروس"، استمرث المعركة قرابة الساعة، سقط الكثير من البشر مقابل القليل من "الأوربوروس"، لم يقف الشعب الشمالي مكتوفي الأيدي، بل أخذ من الأسلحة وشاركوا في المعركة رجالًا ونساءً، أمّا الأطفال تم تسريبهم إلى حدود المنطقة، لا زالت الملحمة قائمةً، أصبحت الجيوش الأربعة يحاربون هذا الشر، لكن دون تكاتف، دون تعاون، كلٌ منهم يحارب على حدة، كلٌ منهم يحارب من أجل أرضه ومملكته، لم يتمكنوا منهم، لقد قلّ عدد الجنود البشريين إلى النصف من كل مملكة.

لقد خيّم الليل وأطل القمر بدرًا حينها كانت "فريسيا" تحث جنودها وبجوارها مَن يحميها، وقائد جيشها "موليس" لا يزال يلوّح بيديه، لقد أخذ "ساتي" دور المتفرج على جانبٍ من أرض المعركة دون أنْ يفعل شيئًا، وبرفقته جنود مدينته، لم يقتلوا من المخلوقات سوى مَن يقترب نحوهم. وهناك على جانبٍ آخر كانت الملكة "نيمسيا" محميةً برفقة حراسها تشاهد جنودها الذين يسقطون واحدًا تلو الآخر، يقودهم ابن الملك الأكبر "أندريا" وبجواره الأمير "أفاريس"، اللذان يحاربان بكل ما أوتي لهما من قوة.

وهناك الملك "جونكويل" يحارب مع جنوده، ويملأ عينيه الشر نحو ابن أخته "أورلاف" الذي يحاول أنْ يقتل المزيد من المخلوقات المتوحشة، لقد كان الملك ينافس قرينه الملك "إيكاي" الذي رغم

قصر حجمه إلّا أنّه يقاتل بقوةٍ وشراسةٍ برفقة أخيه "أنطور" وقائد جيشهما "كارفا".

ولكن جميعهم لا يرون أمامهم سوى الموت المحقق، لقد أدركوا جميعًا أنّهم لن يبقوا حتى آخر المطاف، إنّهم يغلبونهم عددًا وعتادًا، إنّهم يقاتلون بروحٍ باردةٍ، لقد حسموا الأمر، وعلموا أنّها النهاية.

النهاية التي أدركتها "فريسيا" حين تم الإمساك بها من قبل تلك المخلوقات التي نجحت في قتل كل مَن كان يحميها، تمكن منها مخلوقان كانا ممسكين بها في انتظار الثالث الذي كان يمسك رمحًا وصوبه نحوها! وشق الرمح طريقه نحو قلب الأميرة "فريسيا"، لم تتمكن من الإفلات منها فأغمضت عينيها، وتقبلت أمرها ولا ترى أمامها سوى رمحٍ مغروزٍ في قلبها، ويسيل الدماء منها حتى آخِر أنفاسها، ولكن لم يصل الرمح إلى قلبها، لقد تم تغيير مساره وطار في الهواء بجانب الأميرة، لقد كان ذلك بفعل رمحٍ آخر جاء مقاطعًا له، لقد تم قذفه بواسطة مَن كان شاخصًا عند شمال الميدان.

فتحت عينيها وأبصرت نحوه، لقد كان أحد أخويها، الذي كان يقف بجوار أخيه الآخر، لقد جاء التوأم "جيرالدي" و"أوش" لإنقاذ أختهما غير الشقيقة، وكانت المفاجأة الأخرى لها أنّها رأتهما واقفين ومعهما والدتها الملكة "لوسيا" ومعهم العرّاف "أكاسيا"، برفقة كتيبةٍ من الجنود ليست بعددٍ كبير، لقد أتوا جميعًا من الشمال، لقد تمكنوا بطريقةٍ ما من الهروب مِن تلك المخلوقات في محاولة قتلهم لجميع البشر الشماليين، والتقوا بطريقةٍ ما حتى وصلوا إلى هنا، وهناك أدركوا الشر الذي سيقتل الجميع، فأتوا جميعهم لإنقاذ الأميرة.

وهنا، ركضوا نحو أرض المعركة وبقث الملكة؛ لتساعد ابنتها في أنْ تأخذا جانبًا بعيدًا فهما سيشكلان عائقًا للجنود التي تحارب، كما أنّ لهما مهمة أخرى وهي حماية أطفال شعب مملكتهما.

ومن ناحيةٍ أخرى، كانت هناك زاوية مفتوحة للملك "جونكويل" نحو ابن أخته "أورلوف"، وهنا فكّر الملك أنْ يغرز سيفه في ظهر الأمير دون أنْ يراه أحد، وسيظهر الأمر بأنّه مات في الحرب على أيدي تلك المخلوقات؛ فاقترب الملك أكثر من ابن أخته الذي لم يره بسبب قتاله مع العدو، وشهر الملك سيفه، وتأهب لغرزه في ابنه أخته بالخلف، ودفع ذراعه ليشق السيف جلد "أورلوف"، ولكن في آخر اللحظات توقف الملك إثر سماعه لصوتٍ مألوفٍ لديه، صوتٍ جعل قلبه يلين قليلًا، لقد كان صوت ابنته الأميرة "لويزيانا" تصرخ باسمه، فأبصرها أبوها الذي جحظث عيناه عند رؤيته لها، لماذا أتت إلى هنا وسط هذا الشر؟ فهذا سيعرضها للخطر، كما أنّها أتت في وقتٍ لم يكن يحبذه الملك، لقد أدرك أنّها أبصرته حين كان سيغرز سيفه في ابن عمتها، الشخص الذي أحبته. علم ذلك حين شاهد عينيها غارقتين في دموعهما، لقد أتت وبرفقتها كتيبة كبيرة من الجنود التي كانت قد بقيث في المملكة لحراستها، لقد أتت خلف جيش والدها بيومين بسفينتين تحملان مئات الجنود، لم تكن تريد أنْ تمكث في منزلها دون أي مساعدةٍ؛ فهي الملكة المستقبلية، ولكن تجاهلث "لويزيانا" ما رأته وأمرث جنودها بالزحف نحو المعركة وركضوا للمساعدة، كان ذلك الوقت الذي كان أحد الكونغاريين يطلق سهمًا مشتعلًا في الهواء كوسيلةٍ لنداء مَن يزالون في السفن لحراستها، ويبلغون المئات، لقد أتت هذه الجنود تاركةً السفن في

تلبية الإشارة المتفق عليها.

لقد زاد عدد البشريين وجاءوا من الحدود الأربع يحاوطون المخلوقات، فشعرت المخلوقات بهذا، وأدركوا أنّ في ذلك سقوط عددٍ أكبر منهم رغم علمهم بانتصارهم في هذه الحرب، إلّا أنّهم يرفضون أنْ يسقط منهم الكثير؛ ولذلك وبلغتهم الخاصة بهم علموا ما الذي من المفترض أنْ يفعلوه، حتى جاءت الإشارة إلى أحدهم، كان معلقًا في رقبته بوقًا كبيرًا، ثم ركض بعيدًا نحو تلةٍ مرتفعةٍ عن سطح الأرض، وتسلقها وأمسك البوق وقرّبه نحو فمه الكريه ونفخ فيه.

وهنا، كان الصوت المخيف الذي صدر عن البوق، كان صوتًا ضخمًا عاليًا لم تتحمله الأذن البشرية، وكأنّ كان ذلك النفخ في البوق هو إشارةٌ إلى شيءٍ ما، أحدٌ لا يعرف عنه شيئًا من البشر.

لقد نظر الجميع نحو البوق، كانوا يسدون أذانهم، يتساءلون فيما بينهم عمّا يرونه، لا يفهمون لماذا أحد هذه المخلوقات ينفخ في بوق، لم يكن يعلمون أنّها إشارةٌ بالفعل إلى شيءٍ لم يتوقعوه أبدًا.

انتظر الحشد ما كان يُنفخ له هذا المخلوق، لقد ترقبوا جميعهم وبعد برهةٍ من الوقت سمعوا أصواتًا مفزعةً متنوعةً من الرعب بعضها زئير، وبعضها نهيم مفترسٍ على غير العادة، لقد جعلت هذه الأصوات قلوبهم تُخلع من صدورهم، وتقع تحت أقدامهم، لقد فُتحت الأفواه، وتشخصت العيون، لقد تفاجأوا جميعًا ممّا رأوه عقب سماعهم هذه الأصوات المخيفة، لا زالوا يستوعبون أنّهم يبصرون أمامهم حيوانات الماموث، والفيلة المتوحشة، وديناصورات ضخمة،

آتين من الشمال لقد كانوا بقيادة كتائب أخرى من نفس المخلوقات، كما أنّ هذه الحيوانات تسوقها هذه المخلوقات، ثم تفرقوا من جميع الاتجاهات على حدود المعركة، تم حصر البشر في المنتصف يقاتلون مع مخلوقات "الأوربوروس"، يحدهم بشكلٍ دائري هذه الحيوانات وبقية المخلوقات، وهنا أدركوا أنّ ما فات لم تكن النهاية، لقد كانت حلاوة روح وفطنوا أنّ هذه هي النهاية، إنْ كانوا واقفين في صمودٍ يقاتلون حتى لو كان في برودٍ؛ فلقد أتى الوقت الذي سيتركون فيه أسلحتهم، ولم يقاتلوا من الأساس، فماذا هم فاعلون أمام هذه القوة الظلامية، التي لم ولن يقوى عليها شيءٌ؟

كانت هذه لحظة جيش مملكة الشرق، وكانت هذه لحظة استخدام مجانيقهم؛ أسرعوا نحو المجانيق، أشعلوا الكرات مرةً أخرى وشدوا الذراع ثم أفلتوها، وقُذفت الكرات المشتعلة قبل أنْ تقترب الحيوانات المفترسة إليهم، لقد وجهوا المجانيق إلى الاتجاهات الأربع، وبسبب قوة الدفع كانت الكرة المشتعلة تُرمى بعيدًا عن البشر، نحو المحيط الذي كونته الحيوانات عند وصولها، لقد تمكنت الكرات المشتعلة من القليل، فلم يسقط سوى ثلاثة فيلة، وماموثين، وديناصور واحد، وعند تلقيم المجانيق مرةً أخرى، كانت قد تقدمت الحيوانات بقيادة "الأوربوروس" نحوهم، فضيقوا من المحيط الدائري ليبدأوا في خنق البشر في المنتصف، كما أنّهم غادروا نقطة وصول قذف المجانيق للكرات المشتعلة، فأصبحت تُقذف إلى خلفهم، وهنا دب الخوف في البشريين جميعًا. هذه كانت اللحظة الحتمية التي كتبت نهايتهم، لم يعد باستطاعتهم فعل شيءٍ آخر، لقد حاولوا بكل ما يملكون، والذي أضاف على خوفهم واستسلامهم هو

نهوض كل مَن استطاع أنْ يُسقطهم البشر، لقد نهضت المخلوقات التي من المفترض أنّها ماتت، كما نهضت الفيلة الثلاثة، والماموثان، والديناصور، لقد عاد العدد كما كان، بل وأكثر! لقد عاد كل شيءٍ من البداية بل وأكثر، هنا صُدِمَ "أكاسيا" وقال في ذهولٍ:

- ما هذا؟! لم أره في رؤيتي، إنّهم يتجددون في ذات الوقت الذي يُقتلون فيه!

لقد شعروا بالاستسلام الحقيقي، فبدا الأمر لهم كأنّهم لم يفعلوا أي شيءٍ، لقد مات منهم الكثير دون مقابل، لقد أُزهقت الأرواح دون جدوى، لقد سالت الدماء دون ثمنٍ، وعاد كل شيءٍ من البداية ولكن بنصف عدد البشر، وبزيادة قوة العدو.

لقد صرخ منهم مَن صرخ، وضاق الحال ببعضهم، وأغمض آخرون عيونهم في استسلامٍ، ومنهم مَن سالت من عينيه الدموع مثل: الأميرة "فريسيا"، والأميرة "لويزيانا"، والملكة "لوسيا"، وحنق آخرون نهايتهم البائسة التي لم يتمنها أحد.

ضاقت الدائرة عليهم، وقتلت المخلوقات الكثير من البشر، ودنت منهم الحيوانات القاتلة، لقد مات الأمير "جيرالدي" شقيق الأميرة "فريسيا" التي أجهشت بالبكاء عليه، لقد سقطت باكيةً غارقةً في دموعها، كما سقط قائد جيش مملكة الشرق "كارفا"، وتمكن "الأوربوروس" من قتل الأمير "أفاريس" بعد أنْ أنقذ "فهمي" من موتٍ كان محققًا له.

وصارت الحرب من صراخ الحماس والتحفز على القتال إلى صراخٍ ونحيبٍ وبكاءٍ، لم يعد أحدٌ يقاتل، ولماذا يقاتلون؟ وإلى أي هدفٍ؟

لقد علموا النتيجة، وحُسم الأمر، لا يوجد مجالٌ للشك، إنّه الموت ومحو قارة "أوشانلاند" من الوجود، لن يريدوا أنْ يكبدوا عناء شيءٍ آخر، لقد ألقوا أسلحتهم، وخارت قوتهم، وبسطوا أيديهم مرحبين بالموت، وأغمضوا أعينهم، واستسلم الجميع، فلن يفوزوا في هذه الحرب، بل ولن يعيشوا حياة المهزومين، حتى حياة الجبناء حُرموا منها، لم يريدوا سوى الموت في سلامٍ دون تكبد أي مشقة.

لم يبقَ سوى القليل وسوف ينتهي كل شيءٍ، سيقتل "الأوربوروس" دون عناء، وستلتهم الحيوانات مَن تبقى، لم يفصل بين البشر والموت سوى أقل القليل، لقد علم البشر نهايتهم، لقد جثوا على ركبهم حاضنين الموت في يأسٍ وحزنٍ وتعب.

وفي خضم ذلك، وفي رياح الشتاء اللعينة، تحت ظلام الليل، الذي يتخلله ضوء القمر، كان هناك زئيرٌ مهيبٌ سمعه كل مَن كان في الميدان، لقد كان زئيرًا عظيمًا آتيًا من الشمال، مقبلًا من السماء يشق طريقه في الهواء، زئيرٌ استطاع أنِ يجذب كل أنظار وأسماع الدهماء إليه، لقد كان التنين الأسود "جوزهر" بضخامته العملاقة جدًا آتيًا من الهواء وفوقه "آدم" يقول له:

- انفث النيران.

فنفث "جوزهر" نيرانه في العدو؛ فاشتعلت النيران في الكثير من مخلوقات "الأوربوروس"، وسقطوا محترقين، متحولين إلى رماد.

لقد عصفت بهم نيران التنين "جوزهر" بقيادة "آدم"، نظرت له جيوش الممالك الأربع، ولا سيّما جيش وشعب مملكة الشمال الذين يعرفونه حق المعرفة، أطلّوا عليه كأنّه المنقذ والمفتاح لنبوءتهم كما كانوا يظنون، لكنهم لم يتوقعوا أبدًا أنْ يكون هو صاحب النبوءة؛ فحين أبصروه يطير في سماء المعركة راكبًا التنين الذي يحرق العدو الأكثر شرًا على الإطلاق، كان في نظرهم

"سينبع من الأرض، وسط أشد الرياح، كأنّه نازلٌ من السماء، تحت ضوء القمر."

فصاحت الأميرة "فريسيا" في سعادةٍ رغم حزنها على أخيها، قائلةً:

- إنّه هو الموعود.

فنهض جيش مملكة "لوردلاند" وشعبها من جثوتهما، وصاحوا في

حماس ملتقطين أسلحتهم وسيوفهم مرةً أخرى على قمة تأهبهم للقتال.

في ذلك الوقت، كان هناك صوتٌ آخر مخيفٌ تختلع له القلوب إلّا قلوب مملكة الشرق؛ فذلك الصوت كان مصدر قوتهم، لقد عرفوه منذ نشأتهم، لقد كان عواءً آتيًا من بين الأشجار، عواءً يتخلل الفراغات التي بين الأشجار فيصل إلى أذان كل مَن كان على أرض المعركة، اترجف آخرون، لكن السعادة كانت على وجوه جيش مملكة "نانيوس"؛ فنهض هو الآخر من جثوته والتقط أسلحته، حينها كان "أيوب" قد ظهر من وسط الأشجار شاخصًا على ظهر ذئبه "أوراس" وخلفه كل ذئاب المملكة؛ لقد استطاع أنْ يجمعهم في قطيعٍ واحد، ولبّت الذئاب نداءه من كل الأقطار، فنظر نحو الملك "إيكاي"، وصرخ الأخير في سعادةٍ:

- لقد أخبرتُكم أنّه الموعود.

فأبصره جيش مملكة الشرق على أنّه "الآتي من الشمال ومن الجنوب، من الشرق ومن الغرب، سيأتي من الوسط سيجمع القطيع، وحينها سيكون الجميع واحدًا."

وها هو من وسط الأشجار جمع قطيعه من جميع الأقطار: الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب فعاد جيش المملكة كواحدٍ متأهبٍ للقتال مرةً أخرى. ولكن حينها أتي من نفس اتجاه "أيوب" بالضبط من أعلاه زئيرٌ مهيبٌ، لقد كان تنينًا رماديًا، وكانت "سارة" أعلاه، لقد عاد التنين "دروك" حاملًا صاحبته "سارة" الذي كان التنين يعرفها، لكن هي لم تعرفه سوى من أكثر من ثلاثة أسابيع. وفي الحقيقة، لو أنّها تتذكر ماضيها، لعرفت أنّه نفس التنين الضخم الذي كان بصحبتها في عالمها.

لقد ظلّ باسطًا جناحيه في الهواء معلقًا مستعدًا لنفث نيرانه، فنظر "أيوب" إلى الأعلى نحوه حبيبته وتنينها، ثم عاد بالنظر إلى الملك وقال بصوتٍ جهورٍ:

- إنّها معي، لم تكن النبوءة لها موعودٌ واحدٌ، بل مختاران.

فصاح كل جيش مملكة "نانيوس" في تحفزٍ وقوةٍ رافعين سيوفهم وفؤوسهم وحرابهم وكأنّ "أيوب" بذئابه، و"سارة" بتنينها الرماديّ قد ألهموهما للعودة للدفاع عن أرضهم، وشعبهم، وشرفهم.

في تلك الأثناء، كانت جحافل الأوربوروس تكشّر عن أنيابها معلنين غضبهم، والرعب الذي يخلقونه في قلوب أعدائهم على أولئك البشر، فاصتفّوا في صفوفٍ بنظامٍ غير معقولٍ وكأنّهم مدربون ومتمرسون بفنون الحروب بالطبع كذلك؛ فهُم حاربوا عوالم أخرى سلفًا، واستطاعوا الانتصار عليهم، ولم تكن قارة "أوشانلاند" سوى محطةٍ أخرى في طريقهم منذ قرون، فبعد أنْ تشكّلت صفوفهم، صاحوا في نفسٍ واحدٍ قائلين كلمةً غير مفهومةٍ لدى البشر، ولكن رويدًا رويدًا استطاعوا أنْ يفهموا لقد كان الأوربوروس يصرخون بكلمة:

- "مفستوفيلوس".

أخذوا ينادون بصوتٍ مخيفٍ ومرعبٍ هذه الكلمة التي لا زالت غير مفهومةٍ لدى البشر. في نفس الوقت، كانت الحيوانات المتوحشة اتجهت نحو ذئاب "أيوب" التي كانت تكشّر عن أنيابها هي الأخرى معلنةً عواءها نحو تلك المخلوقات وكأنّها فريستها، لم تكن تشعر بالخوف من هذه الكائنات، لقد كانت متوحدةً في قطيعٍ واحدٍ يقودهم الذئب "أوراس" الذي كان تحت تصرف "أيوب"؛ فالأخير هو القائد الحقيقي للقطيع.

وتم الاشتباك بين حيوانات الماموث، والفيلة المتوحشة، وذئاب مملكة "نانيوس" فكان التنينان "جوزهر" و"دروك" من نصيب الديناصورات ذوي الأحجام العملاقة في محاولةٍ منهم أنْ يصطادوا تنينًا منهما برقابهم الطويلة إذا طار أحدهما منخفضًا قليلًا.

لقد عاد القتال مرةً أخرى واشتبك الطرفان؛ حيث كان "آدم"

فوق تنينه الأسود "جوزهر"، و"سارة" فوق تنينها الرماديّ "دروك"، لقد تبادل الأخوان النظرات فيما بينهما في سماء المعركة لكنهما لا يعرفان بعضهما، لقد أسقطا معًا بتنانينهما الكثير من جحافل "الأوربوروس". أمّا "أيوب" فاستطاع أنْ يُسقط ماموتًا وفيلًا بذئبه العنيد المخضرم، فكان يكفي عضّة واحدة من الذئب فيموت الحيوان في الحال، لا مجال للتحوّل إلى ذئبٍ تحت ضوء هذا القمر، إنّهم مخلوقاتٌ من كونٍ آخر غير قابلة للتأثر، أمّا "فهمي" فكان يحاول أنْ يبقى على قيد الحياة، ناظرًا إلى ما يحدث أمامه ويدرسه جيدًا.

ولا زالت كلمة "مفستوفيليس" تشق طريقها في هواء الميدان، كانت خارجةً من أفواههم في حماسٍ وترقب، لم يفهم البشر عمّا تعني هذه الكلمة إلّا بعد سماعهم زئيرٍ آخر آتٍ من الشمال يشبه زئير التنين لكنه أكثر رعبًا، فتجلى في سماء الميدان تنينٌ آخر كان أحمر اللون، كان حجمه أقل من التنين الأضخم "جوزهر"، في نفس حجم التنين "دروك" لكنه أكثر شراسةً من الاثنين، لقد كان ذلك بمثابة مفاجأة ثالثة للبشر، لقد أتى تنينٌ ثالث من العدم كي يساعدهم، ولكن سرعان ما تحوّلت هذه المفاجأة إلى صدمةٍ، لم يكن التنين المنتظر بل كان هناك مَن يمتطيه، إنّه مختلفٌ فبعد أنْ اقترب نحوهم أكثر، اتضح أنّه ليس بشريًا بل مثلهم مثل هذه الكائنات، لكنه أكثر ضخامةً وشراسةً منهم؛ لقد كان بقرنين كبيرين يعلو رأسه ووجهه أكثر بشاعةً منهم، وبأربع أذرع كما أنّ التنين كان مختلفًا عن الآخرَين.

فزاد صياح المخلوقات بالكلمة:

- "مفستوفيليس".

ورفعوا أذرعتهم بأسلحتهم ثم جثوا على ركبهم، فعلم البشر أنّه بمثابة قائدهم أو إلههم الذي كانوا ينادونه.

لم يمضِ سوى القليل حتى وصل التنين بغضبه واتجه نحو التنين "جوزهر" بغتةً؛ فاختل توازن الأخير ونتيجةً لذلك سقط "آدم" مِن فوق تنينه نحو الأرض، نحو موته إذا اصطدم بالأرض؛ لأنّ التنينين كانا عاليًا، ولكن سرعان ما أعاد "جوزهر" توازنه، وانخفض سريعًا نحو الأرض واقترب نحو "آدم" الذي اقترب من الارتطام، فقبض بمخالب إحدى قدميه عليه والتقطه ونزل أرضًا بحجمه العملاق وجناحاه الكبيران، فترجّل "آدم". لم يعطِه التنين الأحمر الفرصة فنزل خلفه كي يقتله، لكن جاء التنين "دروك" من العدم وهجم على التنين الأحمر.

وبعد أنْ ترجّل "آدم"، طار "جوزهر" للأعلى كي يساعد "دروك"، واشتبك التنانين الثلاثة، ولكن الأحمر كان أكثر ضراوةً، اقترب "أكاسيا" من "آدم" وقال له ناظرًا نحو التنين الأحمر:

- إنّه "بالاجوس" الأحمر، إنّه التنين الأكثر عِندًا وصمودًا، وأعتقد أنّه تم تحويله منذ قرونٍ بواسطتهم.

فركض نحو آدم وقال له:

- هذا يعني أنّه كان من تنانين مملكتكم.

أومأ له "العرّاف" فناول "آدم" سيفًا، فاشتبك مع العدو في القتال الأرضي، وكان ينظر للأعلى من حينٍ لآخر، فوجد التنين "بالاجوس"

تمكّن من "دروك" بقضمة في عنقه؛ فزأر "دروك" في أنينٍ وأسقط "سارة" من فوقه، ثم طار التنين بعيدًا لكنه لم يتمكن من العودة إلى الطيران؛ فسقط أرضًا بعيدًا في ارتطامٍ زلزل المكان، وخلق من حوله الكثير من التراب الذي أعمى الموجودين.

ففي أثناء ذلك، كان قد انتبه "آدم" لذلك، وأبصر "سارة" وهي ساقطةٌ من الأعلى؛ فركض نحوها حتى اقترب من الموضع الذي ستقع فيه ومدّ ذراعيه، وفي لحظاتٍ كانت "سارة" بين ذراعيه دون أنْ تتحرّك ذراعاه من موضعهما، لم يكن يعرف إنّ بداخله فولاذًا جعله تمكّن من تلقي أخته من سقوطها من ارتفاعٍ عالٍ مثل هذا، لم يكن يعلم أنّ مَن أنقذها للتو هي أخته، كما هي لم تعلم أنّ أخاها هو الذي أنقذها.

لقد رأى "أيوب" ذلك وركض بذئبه نحوهما في قلقٍ؛ فاطمئن بعد رؤيته لـ "سارة"، ثم شكر "آدم" لإنقاذه لحبيبته.

بقث المعركة في السماء بين "جوزهر" و"بالاجوس"، لقد نظر ثلاثتهم للأعلى ولكنهم لم يروا ذلك المخلوق الذي يُدعى "مفستوفيليس"، اندهشوا حين أدركوا ذلك، وأخذوا ينظرون حولهم في قلق؛ فوجدوه واقفًا شاخصًا على تلةٍ بعد أنْ ترجّل من تنينه "بالاجوس" باسطًا أذرعه في حركةٍ متصاعدةٍ للأعلى، فنظروا حولهم ووجدوا أنّ كل مَن سقط ومات عاد مرةً أخرى كما حدث مسبقًا، ولكن الأغرب من ذلك وكانت الصدمة لعقول البشر جميعًا غير مصدقين ما يرونه، أنّ المخلوقات التي خرقث بواسطة نيران التنينين، والتي تم استحالتها إلى رمادٍ تمت إعادتهم مرةً أخرى،

حتى الرماد تم استحالته ليتجمع ويتكون مرةً أخرى إلى الهيئة التي كان عليه المخلوق سلفًا!

لقد جحظت عيون الجميع، لقد عادت الحرب مرةً أخرى من البداية، ولكن مع عددٍ أقل من النصف من عدد البشر، وكأنّ هذه الحرب مكتوبةٌ من البداية لصالح مخلوقات "الأوربوروس"، وهنا لمح "آدم" "أكاسيا" فسأله عمّا يبصره، فأجابه العرّاف في قلقٍ:

- لهذا حاولتُ إخباركم أنّها حربٌ ستمحو قارة "أوشانلاند" من الوجود.

فسأله "آدم" في غيظٍ وغضبٍ:

- كيف نتغلب عليهم؟

أجابه العرّاف:

- إنّها مخلوقاتٌ نارية، لم يتم قتلها بواسطة النيران، ليس هناك سوى طريقةٍ واحدة، لكنها ليست لقتلهم.

تساءل "آدم"، فأجابه "أكاسيا":

- الجليد، إنّه سيحبتهم ويكف من عملية إعادة تشكيلهم، لكنه لن يقتلهم.

نظر "آدم" في عينيه، وقال متأسفًا:

- حين ذهبتُ إلى الشمال إلى ما وراء الجبال لم أجد شيئًا، لقد قتلوا الجميع، لم أجد سوى العظام لكنني فعلتُ شيئًا آخر.

سأله العرّاف عن ماهية هذا الشيء، فأجابه "آدم":

- لا يهم، إنّني فشلت فيه أيضًا.

تشكّلت صفوف العدو، وعاد العدد كما كان بل زائدًا هذه المرة تنينٌ أحمر والقائد لهذه المخلوقات، في كل مرةٍ تتم إعادتهم، يعودا في قوةٍ أكبر ممّا سبقتها؛ فأدرك الجميع بالهزيمة وعدم الانتصار، وصرخ البشر بماذا هم فاعلون، لقد سأموا من القتال غير المتكافئ، إنّه أشبه بالانتحار البطيء الذي يقتل صاحبه في ألمٍ وعذابٍ شديدين.

ثم شاهد الجميع ذلك القائد "مفستوفيليس" وكان تنينه "بالاجوس" بجانبه، وأخذ ينفث نيرانه المتوهجة نحو البشر؛ فاحترق عددٌ كبيرٌ في لحظةٍ واحدةٍ، إنّها الهزيمة والموت، إنّها إبادةٌ جماعية، دون وجود لأي عدلٍ؛ فبدأ يؤمن البشر أنّهم ملعونون بواسطة آلهتهم.

শুভ্র
শুভ্র

وفي عز شعورهم بالهزيمة ورؤيتهم بالموت الذي سيلحق بهم، وإدراكهم أنّ بعضهم سيموت محترقًا بواسطة نيران "بالاجوس" حدث شيءٌ آخر، لم يعرف أحدٌ ماهيته، لقد كان ضبابًا أسود يتسرب من بينهم، ضبابٌ كثيفٌ أتى بغتةً من كل اتجاهٍ وأحاط جيوش "الأوربوروس"، ثم وجّه الجميع نظره نحو الجنوب، إثر سماعهم لنعيقٍ لم يكن مثل أي نعيقٍ، لكنه كان نعيقًا جماعيًا، كان نعيقًا معلنًا عن قوته وظلامه، فوجّه الجميع نظره نحو ذلك الصوت، فرأوا فتاةً ترتدي عباءةً سوداء طائرةً في الهواء لم يعرفها أحدٌ، ولكن ملك الجان "جونكويل" أدركها على الفور حين أبصرها، لقد أبصرها كل مَن كان واقفًا على قدميه، إنّها "مريم" هائمةً في الهواء بعباءتها السوداء وقلنسوتها التي تغطي بها رأسها، آتيةً إليهم فوق سربٍ من الغربان السوداء، لقد كانت الغربان تشكّل كيانًا متلاصقًا في بعضه بمساعدة ضبابٍ أسود حولهم، فكانت "مريم" أعلاهم باسطةً ذراعيها وكأنّها تتحكم في ذلك الضباب ومعها غربانها، لقد استطاعت أنْ تتحكم في جميع غربان المملكة، لقد وصلت إلى أرض المعركة، وتمت مهاجمة المخلوقات بواسطة ضباب "مريم" الذي كان تحت أمرها، وينفذ ما يدور في عقلها، فكان الضباب يخرج منه أذرع وكأنّه كيانٌ تحت تصرف "مريم"، ويمسك بثلاثة مخلوقاتٍ في قبضةٍ واحدةٍ ويتم دحرهم وتقطيعهم إلى أشلاء، لقد كان الضباب يفتك بهم في الحال.

فتأهبت جيوش البشر مرةً أخرى دون اتحادٍ؛ ليستكملوا قتالهم المضني الذي أدركوا أنّه حتى مَن تم دحرهم سيعودون في القريب العاجل، ولكن سمعوا صوتًا آخر آتيًا من الغرب حيث البحر، لقد كان

صوت فحيحٍ غاضبٍ، صوتًا آخر ينضم للقائمة آتيًا من البحر، صوتًا يبث الخوف في قلوب الجميع، وكأنّ هناك وحشًا قادمًا إليهم، لقد ضعق الجميع حين رأوا ذلك، ولا سيّما جيش مملكة "كونغار"، لقد تسمّرت الملكة "نيميسا" في مكانها.

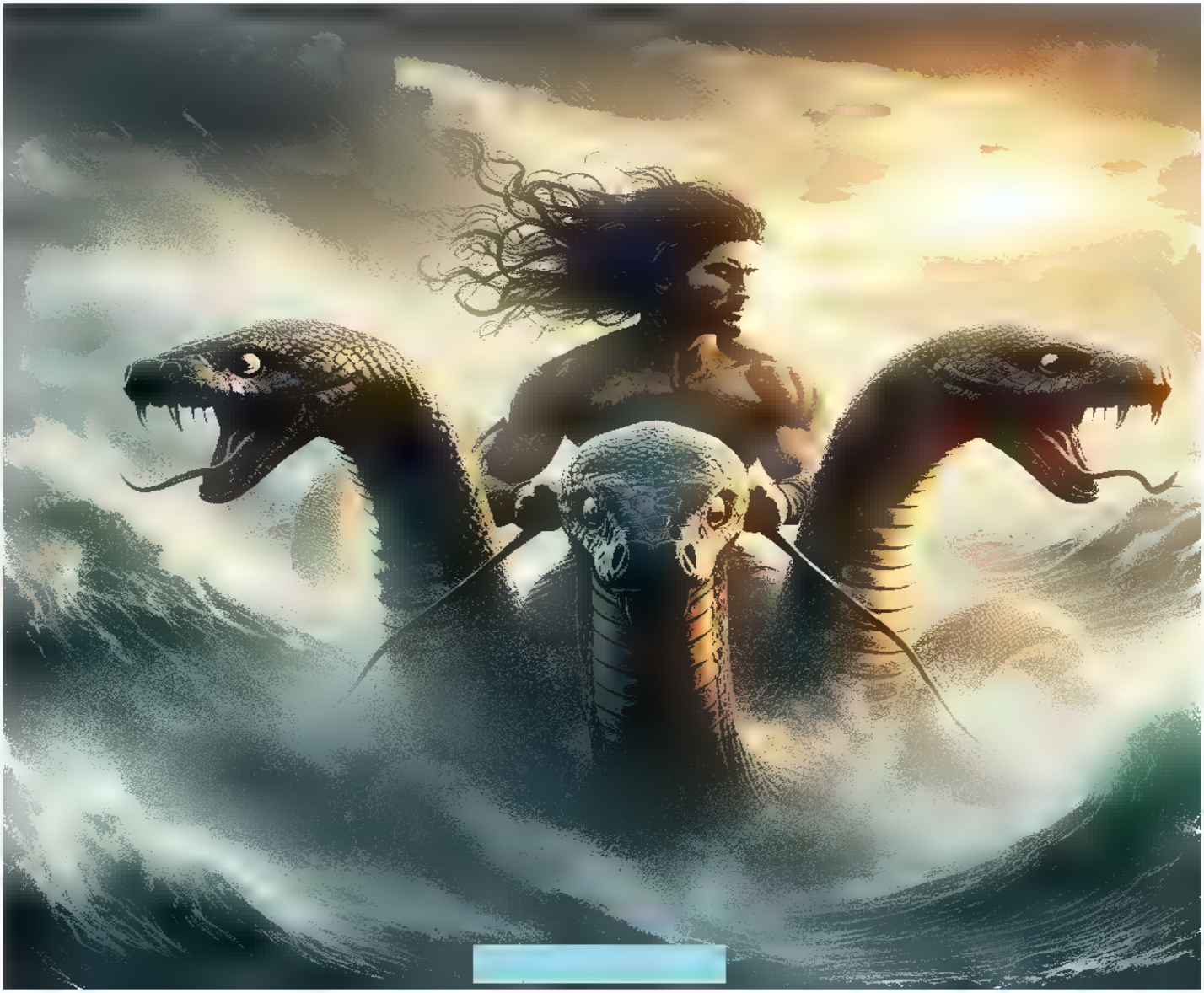

في حين كان وجه "فهمي" منفرج الأسارير حين رأى "نوح" الشخص الوحيد الذي يعرف هُويته آتيًا من البحر فوق "جولونغول"، الثعبان البرونزي ذي الثلاث رؤوس، ولكن لم تكن هذه الصدمة لقد كانت الصاعقة فيما لم يحدث من قبل، وجعل ملك الجان يشعر بالجنون، لقد نظر الكل نحو البحر؛ فشاهدوا ما لم يكن في الحسبان إنّه جيش الموتى! نعم، إنّه جيش الموتى بجوار ذلك الشخص "نوح" فوق الثعبان العملاق آتيين من البحر مستعدين للحرب؛ فتذكّر جيش الكونغاريين نبوءتهم: "سيركض في سرعةٍ كالوحش الناري وسط الظلام؛ سيحطم القيود ليجلب الدمار، حينها سيكون الجميع واحدًا."

فقالت الملكة في سعادةٍ مختلطةٍ بعدم تصديقٍ:

- لقد عاد "جولونغول" لنا، لكنه يبدو أنّه لم يعد تحت سيطرتنا، حتى لو تم تحرير جيش الموتى.

وهناك على جانبٍ آخر، قال الملك "جونكويل" صارخًا في ذهولٍ:

- كيف تم تحرير جيش الموتى من أعماق البحار؟! لم ينجح أحدٌ في ذلك لمدة قرون! كيف حدث ذلك؟!

وصل جيش الأرواح بقيادة الروح القائدة التي تحدّث معها "نوح"، واتفقا معًا أنّ جيش الأرواح قادرٌ على التحكم في الثعبان "جولونغول" في حالة تحريرهم، بعد أنْ نجح "نوح" في إقناعهم في مساعدة البشر في حربهم الانتحارية أثناء حوارهما السابق.

ترجّل جيش الموتى مع "نوح" ووصل إلى ميدان المعركة ولم يجد الفرصة كي يخبر "آدم" والبقية بكينونتهم، وتم الاشتباك بينهم

وبين الأعداء، كما أنّ الثعبان "جولونغول" العملاق خرج من المياه قافزًا نحو أرض المعركة، واختار أن يحارب حيوانات "الأوربوروس" المفترسة؛ فاستطاع دون أي جهدٍ أن يفتك بديناصور في هجمةٍ واحدةٍ دون أن يعود إليه، لقد قسمه نصفين بأنيابٍ واحدةٍ من رؤوسه، في حين أنّ الرأس الثاني قتلث واحدًا من الماموث، والثالث أنهى على فيل! لقد تمكّن من قتل ثلاثة حيواناتٍ في هجمةٍ واحدة.

انفرجث أسارير الملكة "نيمسيا"، فلم يلتهم سلاح مملكتها الأقوى أرضها كما كانت تزعم نبوءتهم، ولقد آمن جيش مملكة "كونغار" بـ "نوح" أنّه المنقذ والمحرر صاحب النبوءة، بالطبع كان هو المختار منذ البداية.

لقد رأث كل مملكةٍ على أنّ منقذها هو صاحب نبوءتهم، ولكن كان ل "فهمي" رأيًا آخر؛ لقد علم بجميع النبوءات في وقتٍ سابق أثناء مجلس الخيمة، ثم تذكّر مَن أتى من الشمال على تنينٍ أسود اللون، ومَن أتى من الشرق على ذئبٍ أبيض، وتنينٍ رماديّ، ومَن أتى من الجنوب على ضبابٍ أسود تتحكم بالغربان، وصديقه "نوح" الذي أتى من الغرب يقود جيشًا من الأرواح على ظهر أكثر الوحوش افتراسًا.

وهنا، ركض نحو تلةٍ كي يكون على مرأى ومسمع من الجميع، لقد صاح بصوته سمعه البعض، فاستمر في صراخه كي يجذب انتباه الجميع، وبالفعل نجح في ذلك، لقد ربط كل الأحداث ببعضها، وأدرك ما الذي شينهي هذه الحرب بانتصار البشر، لقد علم كيف يهزمون جحافل "الأوربوروس" التي لا تموت.

ولكي يجذب انتباه جيوش الممالك الأربع لقد قال بصوتٍ عالٍ:

- لقد علمتُ كيف سننتصر على هذا العدو.

لقد هدأ صوت رنين السيوف، وسكن صوت صهيل الخيول، وكف صوت حشرجة المخلوقات، وساد الصمت الميدان، لقد استطاع "فهمي" أن يثير انتباه الجميع بما فيهم الأعداء، لقد نظروا إليه فأردف:

- السر في نبوءاتكم.

استرعى بذلك اهتمام "آدم" من ناحية الشمال، واهتمام "سارة" و"أيوب" من ناحية الشرق، و"مريم" من ناحية الجنوب، و"نوح" من الغرب؛ لأنّهم هم بمثابة الموعودون، فكل واحدٍ فيهم يُنظر إليه على أنّه المختار، فاستكمل "فهمي" حديثه قائلًا:

- لكل مملكةٍ نبوءةٌ تؤمن بها، وكل مملكةٍ تنتظر من صاحب النبوءة أنّه هو مَن سيحقق إيّاها، وتغاضى الجميع عمّا ترمز له النبوءات، لقد فهمتموها خطأً، تعاملتم مع نبوءاتكم حسب رغباتكم الشخصية التي لا تدل سوى على الطمع وفرض القوة والهيمنة، لقد تغاضيتم عن الإنسانية التي كانت تشير إليها النبوءات الثلاث.

ثم صمت لحظاتٍ وبعدها استأنف:

- في الحقيقة، لقد تم خداعكم جميعًا، لم تكن هناك نبوءة خاصة لكل مملكة.

بدأت الهمهمات بين الجيوش الأربع، بينما يسمع الخمسة أصحاب النبوءات في اهتمامٍ، في ذلك الوقت كان "مفستوفيليس" على تلته

من الجانب الآخر ممسكًا برمحٍ طويلةٍ معلنًا عن غضبه ويريد أنْ يوجهها إلى أحدهم، فأكمل "فهمي":

- إنّها لم تكن أربع نبوءاتٍ، بل كل مملكةٍ تمتلك جزءًا تؤمن به من نبوءةٍ كبيرةٍ تخص قارة "أوشانلاند" كلها؛ فجميع الأجزاء تشترك في شيءٍ واحدٍ فقط، وهو أنّ الجميع سيكون واحدًا.

النبوءة تقول: "سينبع من الأرض وسط أشد الرياح السوداء، كأنّه نازلاً من السماء تحت ضوء القمر بين أمواج البحر العنيدة، سيأتي من الشمال ومن الجنوب، من الشرق ومن الغرب، سيأتي من الوسط، سيجمع القطيع، سيركض في سرعةٍ كالوحش الناري وسط الظلام؛ سيحطم القيود ليجلب الدمار؛ حينها سيكون الجميع واحدًا."

وها قد رأينا مَن أتى فوق التنين الأسود وسط أشد الرياح من الشمال كالوحش الناري، ومَن أتى من الشرق فوق ذئبه الأبيض تحت ضوء القمر، ومَن كانت فوق تنينها الرماديّ نازلةً من السماء فركض الأول نابعًا من الأرض لينقذها، وهناك مَن أتى من الجنوب كالرياح السوداء وسط ظلام الضباب، ومن الغرب مَن أتى بين أمواج البحر مُحطمًا قيود جيش الأرواح. لقد كانت نبوءةً واحدةً وصاحبها لم يكن واحدًا، بل هؤلاء الخمسة؛ لقد تحققت جميع علامات النبوءة في هؤلاء الخمسة لكي يتحقق الهدف الأساسي، ولم تتحقق ما ترمز إليه النبوءة سوى في تلبيةٍ وتنفيذ ما ترمز إليه، وهو أنْ يصبح الجميع واحدًا؛ فكل جيشٍ من الأربع يحارب لينقذ نفسه وأرضه فقط، ولكن الهدف الأسمى هو أنْ تتحد جميع الجيوش تحت راية جيشٍ واحدٍ لينقذ القارة بأكملها.

حين انتهى "فهمي" من حديثه، أدرك العرّاف "أكاسيا" رؤيته، فذهب إلى "آدم" وقال له:

- رغم أنّني عرّافٌ إلّا أنّني لم أتبين أمر رؤيتي بصورةٍ واضحة، كما فعل ذلك الرجل الذي تبينتَ من حديثه وأدركتَ رموز الرؤية، ولقد تحقق المستحيل بالفعل، واتحدت عناصر الطبيعة، لقد جئتَ أنتَ من الأرض لتنقذ تلك الفتاة الآتية من السماء الساقطة من تنينها الذي كان ينفث النيران مع تنينكَ، جاءت برفقة ذاك الرجل مع ذئابه التي تعوي وتتأهب مع اكتمال القمر كما هو حاله الآن، ثم يأتي الرجل الآخر من المياه بالتوازي مع الفتاة التي أتت مصاحبةً للضباب معلقةً في الهواء. لقد اتحدت عناصر الطبيعة وتجسدت فيكم أنتم الخمسة، أصحاب النبوءة الكبيرة؛ السماء، والأرض، والقمر، والبحر، والنار، والهواء.

نظر نحوه "آدم" وقال له:

- ألم أخبركَ أنْ تدع الطبيعة تقرر ذلك؟

كانت جميع الجيوش تنظر نحو أولئك الخمسة، لم يكن هناك وقتٌ لدى "نوح" كي يُخبر "آدم"، و"سارة"، و"أيوب"، و"مريم" أنّهم عائلةٌ واحدة؛ فهناك المئات من المخلوقات والحيوانات تحول بينه وإيّاهم. ففي وسط ذلك، حدث شيءٌ أثار انتباه الدهماء، لقد كان أشبه بزلزلةٍ، كان شيئًا تمقته مملكة الشمال منذ خمسة قرونٍ، لقد انبعث ضوءٌ أزرق من السماء أعلاهم، لقد كانت كالفجوة الكبيرة في السماء تتوهج بالضوء الأزرق، تدور حول نفسها مثل الدوامة التي كانت بالبحر وجلبتهم إلى هنا، لقد افترش هذا الضوء عليهم جميعًا، ثم

لامست أشعته رؤوسهم.

وفي اللحظة التي لامست أشعة الضوء الأزرق رؤوس الجميع، كان هناك رمحٌ مغروزٌ في منتصف صدر "فهمي" حتى نفذ من الناحية الأخرى من جسده! كان آتيًا من قائد "الأوربوروس" إنّه "مفستوفيليس"، لقد تدفقت من "فهمي" الدماء بغزارةٍ، كانت تلك اللحظة التي لامست أشعة الضوء رأس كل مِن "آدم"، و"مريم"، و"سارة"، و"أيوب"، كانت تلك اللحظة التي تذكّروا فيها كل شيءٍ، كانت اللحظة التي عرفوا فيها هُويتهم ومَن يكونوا ومِن أين أتوا، لقد تذكّروا كل شيءٍ، تبادل الخمسة النظرات فيما بينهم، ثم أبصروا "فهمي" الذي بدوره علم هُويته في اللحظة التي تفارق روحه جسده. لقد صُعق الخمسة حين رأوه غارقًا في دمه، لقد ركض إليه "آدم" في هرولةٍ، ثم "سارة" ومن بعدهما "أيوب"، و"نوح"، و"مريم".

سقط "فهمي" أرضًا، كان ناظرًا نحو ابن أخته الذي لطالما ربّاه واعتبره ابنه، فلم يتزوج من أجله وأخته. وصل إليه الخمسة في حزنٍ، لقد انهارت "سارة" من البكاء، نزلت الدموع من عينيّ "آدم"، لقد حاوطه الخمسة وهو ممددٌ، كان المشهد مأسويًا فكافة الآلاف الموجودة ينظرون لهم في حالةٍ من الحزن الذي عمّ عليهم جميعًا. بينما كان البقية لا يزالوان يحاربون مع جيش الأرواح، المشهد سوداوي لـ "آدم" الذي اعتبره أبوه الروحي، لطالما كانت علاقتهما كأصدقاء، تذكّر ذكرياته معه، أحاديثهما معًا، مغامراتهما معًا في السنوات الماضية، تذكّر مساندة خاله له في كل محنةٍ كان يمر بها، لم يكن خالًا له فقط بل كان الرفيق، والصديق، والداعم، والسند، لقد كان العكاز الذي استند عليه في كل مرةٍ كان يتعثر بها، ظلّ ناظرًا له

في عينين غارقتين في دموعهما، ويبادله الخال النظرات، لم يكن يقدر على إخراج الكلمات، لقد امتلأ فمه بالدماء التي خرجت من جوفه، نزلت الدموع من عينيه، لقد حاول أنْ يخبره "لقد تذكّرتكَ، تذكّرتكَ يا آدم"، فقال له "آدم" في هيسترية:

- لا تتركني يا خالي، لا تذهب بعيدًا، لن أقدر على فعل شيءٍ دونكَ، لن أستطيع الصمود بمفردي.

مدّ "فهمي" يده نحو وجه "آدم" ومسح على وجنته، وابتسم له تلك ابتسامة الوداع، تلك الابتسامة التي تحاول أنْ تخبر الجميع أنّها الشيء الأخير، أنّها الذكرى التي لن تُنسى أبدًا، بل ستبقى كالسكين القديمة التي تظل تجرح وتُسبب الدماء دون أنْ تقطع، فتظل تلك السكين في القلب ولن تخرج، ويظل معها الألم دون هدنة. فمدّ ذراعه الأخرى إلى وجه ابنة أخته "سارة" ونظر إليها ومسح على رأسها، ليكون ذلك الفِعل الأخير الذي يفعله "فهمي"، قبل أنْ يعاود النظر في عينين "آدم" ويقول له بالكاد بصوتٍ مُحشرجٍ تلك العبارة التي لطالما كان يقولها له:

- أنتَ المستقبل.

لتكون تلك العبارة هي آخِر كلماته، لقد فارق "فهمي" الحياة بعينين دامعتين، وانسابت ذراعاه ليسقطا أرضًا. لقد بكاه الخمسة، لقد تأثر كل الجمع، حتى الغربان نعقت بحزنٍ معلنةً رحيلها عن سماء المعركة واختفى معها الضباب الأسود، والذئاب عوت بأنينٍ مختبئةً خلف الأشجار، والتنين "دروك" لا زال يعاني من إصابته، أمّا التنين "جوزهر" غادر عن مقاتلة التنين "بالاجوس"، والثعبان "جولونغول"

عاد إلى البحر.

في هذه الأثناء، كانت قد صرخت "مريم" صرخةً مدويةً مليئةً بعذابٍ داخلي بان على وجهها وعينيها اللتين كانتا غارقتين في دموعهما، سألتها "سارة" لقد تذكّرتْ "مريم" كل شيءٍ، وأدركتْ أنّ تلك الطفلة التي كانت معها في الغابة هي في الحقيقة ابنتها "وعد"؛ فصرخت مرةً أخرى بشجنٍ قاسٍ، وقالت في صوتٍ مبحوحٍ حزينٍ:

- لقد ماتت وهي تحاول أن تحمي طفلتي.

سألها "نوح":

- مَن؟

قالت في ترددٍ والدموع تنزل بغزارةٍ حافرةً على وجنتيها أثرها:

- لقد ماتت "دينا" في أرضٍ غريبةٍ، ماتت وهي نكرة لا تعرف هُويتها، ماتت مجهولةً كفتاةٍ تحاول أن تحمي طفلةً حسبتها ابنتها، ماتت أمام عيني دون أن أدركها.

لا يوجد هناك شيءٌ يصف كم الألم الذي كان بداخل "مريم"، و"آدم"، و"سارة"، حتى "أيوب" الذي أدرك هُويته النرجسية التي لا تعرف الرحمة أعربت دموعه عن حزنه على "فهمي" و"دينا".

لقد سمع "آدم" هذا الحوار الأخير دون أن ينبس ببنت شفةٍ، لم يجد طريقةً يعبر بها عن حزنه سوى صمته، ذلك الصمت الذي كان مخيفًا لهم جميعًا، الصمت الذي يغمره الأسى والفاجعة التي كانت قاسيةً عليه أشد قسوةً.

***

ركض نحوهم من وسط شعب الشمال، أولئك الذين تذكّروا هُوياتهم، أولئك الذين كانوا مختبئين عن الأنظار بسبب عدم معرفتهم بأنفسهم ولكي لا يُلقى القبض عليهم حين أدركوا ذلك، أولئك الذين كانوا من قوم "آدم" ولحقوا بالسفن وجلبتهم دوامة البحر إلى عالمٍ آخر علموا للتّو أنّه ليس عالمهم، كما أدركوا للتّو أنّ ذلك الذي فارق الحياة كان قائدهم في ذات يوم.

لقد كان عددهم العشرات، حاوطوا الخمسة ليمنعوا أي ضربةٍ تصيبهم أو رمحٍ يشق رمحه نحوهم، لقد شاهدث ذلك الأميرة "فريسيا" وبكث، وتذكّرث كلمات ذلك الرجل الذي جاء من الغرب مع جيش الكونغاريين، لن يفوز البشر سوى بالوحدة، لقد ركضث نحو التلة التي كان عليها "فهمي" ونادث بقوةٍ وعزمٍ قائلةً:

- لقد سمعتم ذلك الرجل، لقد مات في أرضٍ ليست أرضه، حارب في حربٍ ليست حربه، ولن ننتصر سوى بالوحدة، لن نحارب كممالك بعد الآن، ليذهب ذلك إلى جحيم، ليتحوّل أمر الممالك إلى ضباب، فلنحارب كقارةٍ واحدةٍ، لنحارب تحت رايةٍ واحدةٍ، لا بدّ وأنْ نفوز بتلك الحرب، إنّنا نحتاج ذلك، إنّنا بحاجةٍ إلى البقاء على العِرق البشري في هذه القارة، لنتوحد ونحارب كجيشٍ واحدٍ.

فصاح كل الجنود من الجيوش الأربعة، وارتفع مستوى الأدرينالين لديهم، فتقدم جيش مملكة الشمال ليشكّل دائرةً حول أولئك الغرباء، قوم الرجل الذي نادى بالوحدة، فعلى الجانب الآخر نادى الملك "إيكاي" جيشه وقال:

- لنحمى هؤلاء الخمسة وقومهم، هيّا مع جيش اللوردلانديين.

فتقدم الأقزام في سرعةٍ وحاوط جيش النانيوسيون تلك الدائرة التي شكّلها قوم "آدم"، ليحموا أصحاب النبوءات، في حين كان على الجانب الآخر الملكة "نميسيا" تأثرث بذلك رغم كبريائها وغرورها، إلّا أنّ "فهمي" كان كالصديق في الفترة التي قضاها معها في وسط البحر، كما نفذ "نوح" مهمته الموكلة عليه بواسطتها، فنظرث نحو "أندريا" ابن زوجها نظرةً كانت تلك المرة الأولى التي تنظر إليه بهذه الطريقة إنّه يشعر بالحزن على صديقه "أفاريس"، لقد كانت عيناها مليئةً بالمودة، كما أنّها فقدث أكفأ فارسٍ في جيشها، فأومأت إليه في إشارة فهمها فتقدم نحو جيشه وصاح فيه ليقول "أندريا" الابن البكر للملك الراحل:

- لنساعد جيشيّ مملكة "نانيوس" ومملكة "لوردلاند".

فتقدم جيش الكونغاريون واختلط بجيش الشماليين والشرقيين، ليكملوا تلك الدائرة وحاوطوا قوم "آدم"، حين كان هناك نحو الجنوب الأمير "أورلوف" وبجواره الأميرة "لوزيانا"، فتقدم الاثنان نحو جيش الجان دون أنْ يرجعا إلى ملك الجان "جونكويل"، وصاح "أورلوف":

- لنتوحد ونحمي هؤلاء الشعب مع جيوش الممالك الثلاث، لنكون جيشًا واحدًا.

فتقدم الجان لتكتمل الدائرة، لقد حاوطت الجيوش الأربعة ومعهم جيش الأرواح الغرباء قوم أصحاب النبوءات، الذين لا يزالون وسيظلون يشعرون بالحزن على ذلك الرجل الذي نادى بالوحدة

لهزيمة جيش الظلام. لقد شكّلوا الفارق الذي فصل بين الخمسة وقومهم بداخل الدائرة وجيش الظلام وحيواناتهم خارج الدائرة؛ فاستعد جيش الظلام الذي كان حول قائدهم "مفستوفيليس"، بعد أنْ قتل "فهمي" برمحه، وهنا نظر القائد إلى جيوشه وقال في صوتٍ مخيفٍ يرعب النفوس:

- اقتلوا الجميع.

ثم أمسك برمحٍ آخر وحرّك جسمه وأخذ وضع إلقاء الرمح، وتبعه في ذلك جنوده المتوحشة، وأمسك كل منهم برمحه، وألقى القائد الإشارة بقذف رمحه نحو تلك الدائرة المشكلة، وتبعه جنود الظلام، وأصبح الهواء مليئًا برماحٍ وحِرابٍ موجّهةً نحو الدائرة المكونة من البشر، كانت الرماح تشق طريقها نحو أماكن موضع رؤوسها وما هي إلّا صدور البشر كي تقتلهم، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، لقد وقع ما يجعلهم غير مصدقين أنّ هذا حصل بالفعل، إنّها واقعةٌ فقط في الكتب، لكن أنْ تكون على أرض الواقع؛ فهذا جعل العرّاف "أكاسيا" يشعر بالعجز عن وصف ما يراه.

لقد استحالث الحراب إلى اللون الأبيض، لقد استحالث جميع الرماح فجأةً إلى ثلجٍ! فحدّ ذلك من قوة قذفها ومسارها نحو البشر، ثم توقفث وسقطث على الأرض إلى أجزاءٍ مفتتة، لقد ذُهل جيش الظلام ممّا شاهده للتّو، وعقب ذلك كان صوت زئيرٍ جماعي دوى في سماء المعركة، لقد كانت تنانين بيضاء! فاندهش "أكاسيا" وصرخ بعد أنْ أدرك ما كان يحكي عنه "آدم" فيما فشل فيه قائلًا:

- لم تفشل أيُّها الغريب، لقد نجحتَ فيم ذهبتَ لأجله، لقد أتتْ تنانين الجليد لمساعدتكَ.

كانت سبعة تنانين بيضاء تنفث الجليد من جوفها، لقد عاست في جيش الظلام ثلجًا، فتسمرتْ الجنود في أماكنها، لكن "أكاسيا" كان يدرك في قرارة نفسه أنّ هذا لن يكون كافيًا لإنهاء هذا الجيش، فسرعان ما سيذوب الجليد وتعود الجنود مرةً أخرى، وحتى وإنْ تكسّر الثلج إلى فتاتٍ فتتجمع تلك الفتات وتتكون مرةً أخرى لتشكّل مخلوقاتهم مرةً أخرى، لن تموت هذه المخلوقات سوى بالمستحيل الذي لن يحدث وحتى وإنْ اتحدث القارة بأكملها. كان هذا ما يفكّر فيه العرّاف.

ولقد أثبت التنين "بالاجوس" الأحمر ذلك حين تمكّن من أحد التنانين السبعة البيضاء؛ فعضّه عضةً واحدةً قسم رقبته إلى نصفين، لقد كان "بالاجوس" أكبر حجمًا وأكثر ضراوةً، فجعله ذلك يقتل التنين الثاني، فتبقى خمسة، كان أحدهم من نصيبه رمحًا من تلك الرماح التي يصوبها القائد "مفستوفيليس" دائمًا في مقتل فسقط الثالث، لقد كانت تنانين الجليد أصغر حجمًا لكن قوتها كانت في جليدها، فهي قادرةٌ على أنْ تحوّل أي شيءٍ إلى ثلجٍ ثم تحطمه إلى فتات، فهذا كان أكثر ضراوةً من النيران.

ثم أمر القائد بالهجوم، فركضتْ جميع قوات جيش الظلام نحو الدائرة البشرية التي كونتها جيوش البشر، وظل الأخير الطرف المدافع، وتم الاشتباك بين قوات الظلام وقوات البشر، فكان البشر يحاربون في اتحادٍ ووحدةٍ تحت رايةٍ واحدة، لقد كانت جيوش

البشر، والجان، والأقزام، والأرواح يقاتلون كواحدٍ ليحموا قارةً بأكملها من الانقراض.

بالفعل حدث ما كان يخشاه العرّاف، لقد ذاب الجليد من حرارة أجسامهم؛ لأنّها مخلوقاتٌ نارية، ثم تكوّنت مرةً أخرى وتشكّلت وعادت جميع الجنود مرةً أخرى وذلك للمرة الثالثة تعود قوة الظلام من البداية بل وأكثر قوةً وشراسةً مع تقليص أعداد البشر، كما أنّ حيواناتهم تلتهم في البشر التهامًا، لن يُهزم هذا العدو أبدًا سوى بالاتحاد الذي حدث بالفعل ولكن دون جدوى.

فبدأ البشر يفقدون الأمل من جديدةٍ كالمرات السابقة، وشرعوا يقاتلون في استسلامٍ، فكان لا بدّ من عامل تحفيزٍ ومقوي لهم ليعيدهم إلى قتالٍ غير متكافئ نتيجته معلومة سلفًا.

لقد انتهت جميع الأدوار البشرية الممكنة، ولكن لم تأتِ أدوار الخمسة أصحاب النبوءات بعد، بل لم تبدأ حتى الآن، فهذا تجلى فيما حدث تاليًا.

***

لقد عجّ "نوح" عاليًا، فنادى بأعلى صوته:

- جولونغوووووووول.

سمعه الثعبان "جولونغول" من تحت البحر، فتلاطمت الأمواج وتخبطت المياه، وصعد من الأسفل معلنًا عن حضوره الجبار تاركًا مسكنه، فزحف نحو "نوح" في هذه اللحظة ظهر الأخير معلنًا عن نفسه من وسط الدائرة، وشغّل النفاثات فارتفع عاليًا ولحق بالثعبان

العملاق الذي امتطاه، واختار "نوح" طريقه مع ثعبانه وبرفقته جيش الأرواح، فاستهدفوا حيوانات الماموث، والفيلة، والديناصورات.

في تلك اللحظة، كان الدم تدفق في عروق "أيوب" فانتفخت وكادت أنْ تنفجر، وتحوّل لون عينيه إلى الأصفر، فكشّر عن أنيابه ونظر عاليًا معلنًا عواءً مدويًا حتى عنان السماء، ثم زمجر قائلًا بصوتٍ مخيفٍ:

- أوراااااااس.

فلبّى نداءه الذئب "أوراس" الضخم، وأتت بصحبته جميع الذئاب البيضاء التي كانت تختبئ بين الأشجار، فنهض "أيوب" من موضعه من وسط تلك الدائرة المكونة، فأدركه ذئبه وركض نحوه، فركبه "أيوب" ووثب من الدائرة الذئب وعلى ظهره صاحبه، فركضت جميع الذئاب مع "أيوب" تلتهم جنود جيش الظلام واحدًا تلو الآخر.

وفي وسط صوت عواء الذئاب ظهر صوتٌ يملؤه الحزن، كانت صرخةً مدويةً من "سارة"، كانت صرخةً قويةً عازمةً قاهرةً دوى صداها حتى وصل إلى أذنيّ تنينها "دروك"؛ فأجفل من موضعه لقد بُنيَت علاقةٌ بينهما تربطهما معًا، علاقةٌ لن تسمح له ألّا يتحرّك عند سماع ندائها حتى لو كان مصابًا، لقد خاضا الكثير معًا فبسط جناحيه، وردّ على "سارة" بزئيرٍ سمعته الأخيرة، ولم يمضِ وقتٌ حتى أتاها من الهواء يشق طريقه نحوها، فدنا منها وصعدت على ظهره، وقالت هامسةً له في أذنيه:

- أحرقهم جميعًا.

غادرت "سارة" صاعدةً بتنينها إلى الأعلى من وسط الدائرة، وأخذ يطير التنين نافثًا النيران من فمه، فأحرق الكثير من جنود جيش الظلام، فصارت أرض المعركة خليطًا من النار والجليد بواسطة الأربعة تنانين المتبقية من تنانين الجليد البيضاء. حتى جاءهما فجأةً اللون الأسود؛ فاختلط مع الجليد والنار الضباب الأسود الذي أعلن عن حضوره ملبيًا في ذلك نداء "مريم" التي صاحت في فاجعتها على صديقتها "دينا"، فأتت بصحبة الغربان وصار الأسود هو لون أرض الملحمة، فحملت سيفها الذي أتاها به غرابها "الغُداف" في فمه، وغادرت الدائرة مع غرابها، وتقدمت تاركةً جيوش البشر خلفها، وكان سرب الغربان وراءها مع الضباب الأسود. تحارب القوتان معها كأنّ الثلاثة واحد، وأخذت تحارب بضراوةٍ وكأنّ المعركة بدأت للتّو، وكل ما سبق كان مجرد تمهيدٍ للذروة، فتقدت الجيوش الأربعة من موضعها خلف الأربعة "سارة"، و"أيوب"، و"مريم"، و"نوح"، اشتبك جنود "الأوربوروس" بقيادة المسخ "مفستوفيليس" مع جنود جيوش الممالك الأربع المتحدين، وصار الطرفان على أهبة الاستعداد للقتال من جديدٍ، وهنا بدأت الملحمة من البداية.

لم يجد "مفستوفيليس" شيئًا آخر ليفعله، وهذا هو الرعب ذاته، لقد نزل من التلة في الوقت الذي كان يراقبه "أكاسيا"، فهمس في أذن "فريسيا" بجواره، وقال:

- إنّ نزل يحارب بنفسه لن تقوم لنا قائمة.

ظهر الخوف على وجه الأميرة، فنادت قائد جيشها "موليس"

وأشارت له نحو القائد؛ ففهم الأخير، وتقدم نحوه ممسكًا سيفه، واعترض طريق القائد الذي يحمل سيفًا طويلًا حادًا مخيفًا به حراشيف من الجانبين، فلم يعطِ فرصةً للعدو حتى يقطعه إلى أشلاء، كما أنّه سريع الحركة ومتمرس جدًا في فنون القتال، فأحدٌ لم يستطع أنْ يقف أمامه، لقد قتل العشرات في وقتٍ قليلٍ حتى جاءه القائد "موليس".

اشتبك الاثنان، ولكن لم يمثل "موليس" أمام الشرير سوى أنّه بشريٌ أصلع ذو بنية قوية عمّا سبقه، وكاد أنْ يفقد رأسه لولا السيف الذي حاله بين رأسه وسيف الشرير، لقد كان سيف الملك "إيكاي"، تبادل الاثنان النظرات غير مصدقين ممّا يفعلانه، لقد تحالف الاثنان معًا، وأخذا يتقاتلان مع "مفستوفيليس"، ولكن لم يمثلا أي تهديدٍ له حتى جاء الثالث ليساعدهم، لقد كان الأمير "أورلوف"، فتحوّل الأمر إلى أنّ قائد الظلام صار يحارب ثلاثة، ولكن ورغم عددهم المتفوق، إلّا أنّهم بالكاد يستطيعون أنْ يتقاتلوا معه، لقد كان سريعًا جدًا ومتوحشًا ومتعطشًا للقتل؛ فلمحهم من بعيدٍ الأمير "أندريا" فترك مكانه وهرول ناحيتهم، وأصبح الأربعة ضد واحدٍ، ورغم ذلك فلا زالت المعركة غير متكافئةٍ؛ فهو أكثر حجمًا منهم، وأطول في القامة عنهم، وأضخم في البنية بجوارهم، كما أنّه أسرع منهم جميعًا؛ فهو يعادل في سرعته الإنسان الآلي، ولا يوجد آليٌ في هذه المواجهة، لكن يوجد نصف آليٍ ونصف بشري الوحيد الذي لم يفعل شيئًا في هذه اللحظات، وسرعته تعادل سرعة الآليين، فهو الوحيد الذي يستطيع أنْ يواجه سرعة "مفستوفيليس" .. إنّه "آدم" فقط، ولكنه لا يزال بجوار خاله "فهمي" الذي لم يصدق حتى الآن أنّه فقده، فظلّ

يحدّثه كالمجنون ويسأله كما أنّه نائمٌ أمامه وينتظر حتى يستيقظ كي يجيبه، لا زالت الدموع تنهمر من عينيه بغزارة، في ذلك الوقت الذي كان الأربعة يقاتلون في إخفاق.

كان "أكاسيا" يراقب المعركة عن كثبٍ وبجواره الأميرة "فريسيا"، وفي وسط هذا الزخم اقتربت نحوهم بطريقةٍ ما الأميرة "لويزيانا" ابنة الملك "جونكويل" الذي لم يعد يحارب مع جيشه، فتبرر بأنّه يحاول أنْ يحمي ابنته، فصار معها بجوار العرّاف وأميرته وملكته "لوسيا"، ثم ركضت نحوهم الملكة "نيمسيا"، كل شخصٍ من الستة واقفًا على قدمٍ وساقٍ منتظرين هزيمة القائد على أيدي الأربعة الذين يحاربونه، حتى تأمّل العرّاف قليلًا قائلًا في صوتٍ مسموعٍ:

- لقد تحقق الاتحاد، يحاربون الأربعة معًا كواحد ضد "مفستوفيليس"، كل شخصٍ منهم يمثل مملكته.

فانتبه البقية لما يقوله العرّاف، وبالفعل استرعى انتباههم أنّ الأربعة مختلفون كل واحدٍ منهم يمثل أرضه، لقد اتحدث الممالك بالفعل، وفي وسط تأملهم لهذا الحدث، قد استطاع "مفستوفيليس" أنْ يفقد رأسيّ "موليس" والملك "إيكاي" في ضربةٍ واحدةٍ بسيفه الطويل الحاد، لقد فقد للتّو جيش مملكة الشمال قائدهم، كما فقدت مملكة الشرق ملكهم لطالما أحبوه؛ لأنّه كان متواضعًا معهم، فقد كان من أفضل ملوك المملكة التي عاشوها، اختلج قلب "فريسيا" لأنّ ذلك بمثابة ضربة قاضية لها، كما أنْ انهزم "أنطور" ولم يعد يستطيع أنْ يحارب بعد أنْ رأى جثة أخيه الملك دون رأسه، فكان ذلك شوكةً عظيمةً في ظهر جيش مملكة الشرق الذي بان عليه الانكسار كما

حال جيش مملكة الشمال، فالاثنان فقدا قائديهما.

أمّا "أورلوف" و"أندريا" استطاعا أنْ ينقذا روحيهما حين ركضا بعيدًا عن قائد الظلام الذي استمر في قطع رؤوس كل مِن يقابله من جنود جيوش قارة "أوشانلاند".

ومع ظهور الغسق، عادت القوة في أوْجها لصالح قوات "الأوربوروس" حين شاهدوا قائدهم نزل بنفسه للقتال، فلم يعد هناك أملٌ في قلوب البشر الذين كانوا يقاتلون في انكسار.

استمر "مفستوفيليس" في التقدم يقتل الجميع، أحدٌ لا يستطيع أنْ يوقفه، لقد اخترق جيوش البشر بمفرده، لقد اخترق الدائرة المُشكّلة التي لا يزال بداخلها "آدم"، ذبح الكثير واصل تقدمه نحو وسط الدائرة حيث يوجد "آدم" الحزين على خاله، لم يكن أحدٌ يعلم أنّ ذهاب قائد الظلام يريد ذلك الرجل المغموم. يريد أنْ يقتله أمام مرأى جميع البشر الذين يبصرونه في تساؤل لماذا يتجه إلى ذلك المكان خصيصًا؟ ما الذي يريده؟ لقد نجح قائد الظلام أنْ يسترعي انتباه الجميع بما فيه جنوده، لقد أراد أنْ يُضعف بذلك قلوب البشر كي لا يعودوا يستطيعون أنْ يحاربوا، لقد أراد هزيمتهم هزيمةً نكراء ليس لها شرف.

أراد أنْ يسرق الشرف مِمَن لا يزالون يقاتلون ويختلس التضحية التي قدمها مِمَن ماتوا في هذه الحرب.

أبصر الجميع "مفستوفيليس" وما يفعله كي يتقدم نحو هدفه، لقد أمسك برمحٍ أكثر طولًا، ذي حراشف حادة قاتلة، ورأسٍ مدببة فتّاكة، وظل يتقدم نحو الذي يحول بينه وبين هدفه (هزيمة البشر)، لقد

أراد أن يقتل "آدم" مثلما قتل خاله، كي يظفر بما يبتغيه.

من ناحيةٍ أخرى، كان "أكاسيا" يشاهد ما يحدث، لقد ألقى النظرات لما حوله، لقد ترقب كل الأحدث التي تدور حوله، لم يفوته أي شيء، لقد قال في نفسه:

- هذا الاتحاد ينقصه شيء.

لقد فكّر في ذلك كثيرًا، لقد حدث التكاتف بين جميع ممالك القارة، إنّهم يحاربون الآن تحت رايةٍ واحدةٍ، إنّهم يقاتلون في سبيل بقاء قارة "أوشانلاند" في العالم، إنّهم يقاومون من أجل البقاء، بقاء العنصر البشري في عالمهم، لقد تجسدث علامات النبوءات جميعها، فأخذ يتساءل ما الذي لم يكمُل بعد؟

فكّر مليًا وهو يشاهد "مفستوفيليس"، يتقدم نحو "آدم"، يريد أن يعلم ما الذي لم يكتمل بعد ليكون الجميع واحدًا كما تزعم النبوءة الكبيرة. لقد تأمل "نوح" الذي يقتل حيوانات الظلام بثعبانه الضخم "جولونغول" وبرفقته جيشٌ من الأرواح، كما تطلّع إلى "أيوب" الذي يناضل مع ذئبه "أوراس" كي يفتك بمحاربي الظلام وبرفقته بقية القطيع، ثم عاين "مريم" التي تحتض الضباب وتشكله في يديها كما تريد، ذلك الضباب الذي كسا سماء أرض المعركة، لتمحق كل ما يقابلها ويساعدها في ذلك غرابها "الغُداف" ومعه بقية الغربان التي تنعق، وتنهش رؤوس الأعداء، وأخيرًا راقب "سارة" فوق تنينها الرماديّ "دروك" الذي ينفث النيران كما تأمره هي فيعيس في الأرض نارًا ملتهبة تعقبها جليدٌ أبيض بواسطة تنانين الجليد، أمّا عن التنين الأسود "جوزهر" فعاد ليواجه عدوه اللدود التنين الأحمر

"بالاجوس".

فقال العرّاف إلى أميرته "فريسيا" التي لا زالت تراقب قائد الظلام:

- لا أستطيع أنْ أعلم ما الذي لم يكتمل بعد.

نظرتْ نحوه في اهتمامٍ، فأردف هو:

- هناك الضباب الذي تتحكم فيه واحدةٌ من أصحاب النبوءة يُعمي الرؤية ، فتُخلق الفرصة لـ "جولونغول" كي يفتك بحيوانات الظلام المتوحشة بواسطة آخَر من أصحاب النبوءة؛ فذلك الضباب يوفر الظلام الذي هو الرؤية الواضحة للذئاب التي تنهش في أجساد الأعداء بقيادة ثالث من أصحاب النبوءة على ظهر ذئبه "أوراس"، ثم تأتي الرابعة بتنينها ونيرانها التي تحوّل الأعداء إلى رمادٍ فيتجمد بواسطة الجليد الذي تنفثه نيران تنانين الجليد التي جاءتْ من وراء الجبال بسبب الأخير من أصحاب النبوءة.

قال آخِر كلمة وهو رامقٌ "آدم" الذي لم يُشفَ بعد من حزنه ولن يفعل، فقالتْ الأميرة في استنتاجٍ:

- لقد فعل الخمسة كل ما عليهم.

قال العرّاف:

- كلا، هناك شيءٌ لم نره بعد، هناك شيءٌ لا أستطيع أنْ أتنبيه، كل شيءٍ يحدث كما تزعم النبوءة، ولكن أرى أنّ هذا غير كافٍ؛ فهناك شيءٌ ما من المفترض أنْ يعقب الضباب، والدم، والنار، والرماد، والجليد فموت هذه المخلوقات لن تحدث سوى بالتدمير الجماعي.

ثم تغيّرت ملامح وجهه فجأةً فانتبهت "فريسيا" لذلك، فتساءلت فأجابها:

- هناك شيءٌ في ذلك الرجل الغريب الذي يجلس حزينًا على موحد القارة، أشعر أنّ الذي أبحث عنه في عقلي فهو لدى ذلك الغريب، لا أعرف ما هو ولكن هناك شيئًا بداخلي يخبرني بأنّ هذا الرجل يملك النهاية لكل شيء؛ ولذلك يتجه نحوه قائد الظلام "مفستوفيليس" برمحه ليقتله، إنّهم يعرفون أنّ ذلك الغريب هو الذي سيهزمهم.

جحظت عينا "فريسيا" وقالت:

- التدمير الجماعي قد يقتل الرفقاء مع الأعداء، ستكون إبادةً جماعيةً للبشر قبل العدو.

قال "أكاسيا" في أسفٍ:

- إنّه السبيل الوحيد.

كان هناك ألف طارقٍ يطرق رأس "فريسيا" بالداخل، لا تعرف ماذا تفعل، هل عليها أنْ تقبل بذلك؟ أم عليها أنْ تنقذ قارتها من الأعداء؟ أم تنقذ البشر من محاولة الإنقاذ التي ستجعلهم ينتصرون بعد أنْ يموتوا جميعًا؟ أم تنقذ ذلك الرجل الذي مال قلبها له؟ فقائد الظلام على بُعد أمتارٍ قليلة منه، لقد وقفت غارقةً في أفكارها هائمةً على وجه فجعتها، لا تدرك ما هو الصحيح، ظلّت كذلك حتى تصف مكانها ضميرها، الفِعل التلقائي الذي يصدر من الإنسان هو الذي قاد الدفة وتحكّم في كل شيءٍ وضرب بكل أفكارها عرض الحائط، واختارت أنْ تركض نحو ذلك الرجل الذي قد تكون أحبته دون أنْ تعلم؛ كي

تنقذه من رمح ذلك الشيطان، فشرعت في الركض وبعدث عن العرّاف بمسافةٍ كافيةٍ، ولكنها لم تصل إلى ذلك اللعين، فصرخث بكل ما أوتي لها من قوةٍ ونادث:

- أيُّها الغرييييييييب.

هنا شقَّ صوتها الرفيع الحاد الخارج بكل قوةٍ وخوفٍ طريقه في الهواء حتى وصل إلى أذنيّ "آدم" الجاثي على ركبتيه بجانب جثة خاله، فسمعها ليكون ذلك الصوت هو الوحيد الذي استطاع أنْ يظفر بانتباهه بعد غرقه في حزنه على خاله، فولّى خلفه وكل العذاب والغضب الذي في العالم كان بداخله، لقد رمى بصره نحوها، نحو تلك الفتاة الوحيدة التي كانث لديها قلبٌ دون شعب القارة بأكملها، تلك الفتاة التي احترمها كثيرًا ورأى فيها كل الخير والصفاء والنضارة التي لم تكن في مخلوقٍ آخر، لقد أبصرها والدم يسيل من حنجرتها، لقد كان سهمًا ليس طائشًا أصابها من خلفها في رقبتها فنفذ إلى الناحية الأخرى، لقد شاهدها وهي تفقد توازنها لتنزل أرضًا على ركبتيها مع نزول أول شعاع شمسٍ على أرض المعركة والدم يسيل من رقبتها، لقد كان سهمًا غادرًا أتى من شخصٍ غادرٍ، إنّه "ساتي" خلفها ممسكًا القوس الذي خرج منه السهم القاتل راسمًا على وجهه ابتسامة نصرٍ كأنّه يقول: "أنا مَن سيحكم القارة بأكملها، أنا الملك الأوحد".

عندئذٍ لاحت على وجه "آدم" نظرة صدمة وكشّر عن أنيابه، كان مقتل الأميرة إضافة حزنٍ على حزنه، كان تذييل لغضبه العارم، كان الشرارة التي أشعلث كم الحرقة التي تلتهم كيانه بالداخل،

لقد كان سكوته هو سكونٌ ما قبل العاصفة، إنّه الآن يتذكّر هُويته، يدرك على ماذا هو قادر، يفطن ماذا سيحدث إذا أطلق العنان لغضبه، ذلك الشيء الذي يحاول بقدر المستطاع أنْ يتجنبه حين قُتِلَ خاله "فهمي"، ولكن مقتل خاله ثم صديقته "دينا"، يليهما مقتل تلك الإنسانة التي لم ولن يجد مثل صفاء قلبها كان كافيًا ليفعل ما يحاول أنْ يهرب منه، لقد ظهرت علامات الغضب على وجهه، ذلك الغضب الذي يسبقه حزن، لقد اهتز المكان شعر الجميع بذلك، يشعرون بزلزالٍ قادم لكن لا يعرفون أين مصدره؟! ينظرون حولهم في ترقب وخوف، لقد أدركت "سارة" هذا، لقد علمت "مريم" ما سيحدث، عرف "نوح" ماذا عليه أنْ يفعل، تبيّن "أيوب" الأمر، عرف قوم "آدم" أنّ عليهم أنْ يختبئوا، فما سيحدث هو الدمار نفسه الذي ينتظره "أكاسيا"، لقد ظهر ذلك على وجه "آدم" حين أخرج من حنجرته صوت أنينٍ جعل ميدان المعركة يهتز قليلًا، لقد شعرت الذئاب بالخطر وفرّت بعيدًا، كان التنين الرماديّ "دروك" على درايةٍ بأمر الهزة الأرضية فطار بعيدًا، عاد الثعبان "جولونغول" إلى البحر حاملًا على ظهره جيش الأرواح، حلّقت الغربان بعيدًا بقيادة "الغُداف"، لقد شعر التنين الأحمر "بالاجوس" بالهزة الأرضية فأغفل قليلًا مما أتيحت الفرصة للتنين الأسود "جوزهر"، فاستغل ذلك وتمكّن أخيرًا من قضم رقبة التنين الأحمر قضمةً قاتلةً ناهيةً، لقد التهمه فانفصلت رأس "بالاجوس" عن جسمه، فسقط التنين الأحمر قطعتين، بعدها فطن "جوزهر" الأمر، وشعر بتلك الهزة الأرضية لأنّه تذكّر ما حدث حين كان مقيدًا في الجزيرة، وكانت تلك الهزة الأرضية هي ما حطمت قيوده؛ فطار بعيدًا منتصرًا شاعرًا بالخطر.

في ذلك الوقت، كان "آدم" يحاول أنْ يكبح جموحه غافلًا عن "مفستوفيليس" الذي وصل إلى نقطةٍ مناسبة، وقبض على رمحه وتهيأ لرميه مثلما فعل في المرة السابقة مع "فهمي"، لم يكن يهتم آدم لذلك، بل كل ما كان يشغل باله رغبته في السيطرة على هياجه، إنّه بأمس الحاجة الآن إلى أنْ يتحكم بقوته التي يعلم بها جيدًا، ويعلم أنّ بشر هذه القارة لا يدركها، ولا أحد يعلم بأمرها، لقد فكّر فيما سيحدث إذا أطلق قوته، في كل مرةٍ كان يخطط لها ويعطي تحذيرًا مقدمًا لها، أو أنّ مَن حوله يعلم بها، ولكن هذه المرة كان في عالمٍ ليس عالمه، على أرضٍ بها الكثير من البشر الغرباء الذين لا يعرفونه وجاهلين بأمر قوته القاتلة، إنّهم على غفلةٍ من أمرهم، لقد فكّر في تدميره العالم الذي أراد أنْ يساعده من الخطر الذي يهدد بقاءه، ولكن في هذه اللحظة أدرك جيدًا أنّ الخطر الحقيقي هو نفسه لكنه لم يستطع، لم يقدر، لن يمكنه التحكم فيها، لقد كان حزنه هذه المرة أشد من أية مرة سابقة، لقد كانت فاجعتين متتاليتين منهما واحدة قتلته من الداخل وأماتت كيانه، لقد كان خاله الذي ترعرع بجانبه، لقد نزلت الدموع من عينيه في غضبٍ ناظرًا نحو السماء في جلسته جاثيًا على ركبتيه ولا يعلم إذا تمكّن كل مِن "سارة"، و"مريم"، و"نوح"، و"أيوب" وكل مَن كان من قومه من الهروب من الفرار بعيدًا، أم لم يسنح لهم الوقت، وغفلوا عن أمرهم؟

لقد رمى بالفعل "مفستوفيليس" رمحه بالفعل نحو "آدم"، لقد شق الرمح طريقه نحو هدفه الواضح والقريب أمامه، لقد تحوّل ذلك الأنين المؤلم الذي يصدره "آدم" إلى صياحٍ ثم أطلقها، لقد أطلق صرخته، أطلق قوته المدمرة، أطلق موجاته الصوتية، نهض من

مكانه معبرًا عن حزنه وغضبه في هيئة عاصفة قاتلة، لقد كان ذلك كالإعصار الذي دمر كل ما حوله، لقد أخرج تلك الموجات الصوتية القاتلة في صرخته، ودمرت المكان بكل مَن كان عليه، لقد كان الرمح أول من تدمر، ثم تفتت من بعده قائد الظلام "مفستوفيليس"، وبعدها تحوّل كل مَن كان تحت الظلام غارقًا في دمه، وكل مَن كان رمادًا مجمدًا إلى فتاتٍ متطايرٍ في الهواء لينعدم وجوده ويكون في خبر كان، فلم يعد له أي أثر، لقد سقطت كل جميع جحافل "الأوربوروس" وأولهم قائدهم، لقد هلكت حيواناتهم، ذلك ما كان الجيد في الأمر برمته، لكن ما حدث بعد ذلك كانت الخطر الذي كان أكبر من "الأوربوروس"، لقد تمكنت الموجات الصوتية من الفتك بعددٍ هائل من البشر، لقد هلك جنود الممالك الأربعة، لم يتمكّن من الهروب سوى القليل، لقد كان "آدم" هذه المرة أعنف من ذي قبل، في كل المرات السابقة كان يوجهها في اتجاهٍ واحد، ولكن هذه المرة أخذ يدور حول نفسه فكانت الموجات الصوتية موجّهةً إلى جميع الاتجاهات بشكلٍ دائري؛ لأنّ غضبه هذه المرة كان عارمًا، أكثر غِلًا، أقوى من كل مرة، لقد مات كل مَن كان يحاول حمايته مِن جيوش الممالك الأربع.

***

مرّ من الوقت ما يكفي لتدمير المكان، ثم هدأ الإعصار، سكنت العاصفة، توقفت الموجات الصوتية إثر توقف "آدم" من صرخته القاتلة، لقد عمّ الهدوء، وساد السكون، وهدأت الأجواء، لكن هذه المرة كان صمتًا لن يكون بعده أي شيءٍ، لقد كان سكونًا لن يكون بعده أي حركةٍ؛ لأنّه ببساطةٍ لم تعد هناك حياة بالمكان، نظر "آدم"

حوله فكان الجميع موتى!

لقد أخذ الأمر دقائق حتى استوعب ما حدث، لقد استعاد وعيه وأدرك أنّ السكون هو ما يحيط به، ودري بأنّه لا يوجد أحد، بل ليس هناك سوى جثثٍ تملأ الأرض، فتحوّلت من كونها ترابية إلى سوداوية، إنّها أرض الموت، لقد صُدم حين فطن للأمر، لقد انهار نزلت الدموع من عينيه، لقد تساءل عمّا هو فعل؟ ما الذي اقترفه؟ هل تسبب في موت البشر؟ هل كانت رؤية "أكاسيا" تشير إليه؟ أكان هو الخطر الذي سيمحو قارة "أوشانلاند" من الوجود؟ هل تسبب في انقراض عرقٍ بشري لهذا العالم؟ هل راح كل مَن يهتم لأمره؟ هل قتل أخته "سارة" وزوجته "مريم"؟ هل فقد صديقه الثالث "نوح"؟ ماذا عن "أيوب"؟ هل مات الجميع؟ تساؤلاتٌ كثيرة كادت أنْ تفقده عقله، لقد وصل إلى أقصى درجات الانهيار، لقد بكى كثيرًا والندم يقتل كيانه، ضاقت أنفاسه، اختنق صدره، أوشك أنْ يعيد صراخ عذابه مرةً أخرى، لكن هناك ما جعله يتوقف، بالكاد شعر بوجود أحدهم بالجوار يمسك بقدمه، نظر إلى الأسفل فوجدها .. لقد كانت زوجته وحبيبته "مريم"، ثم دقق النظر من حوله بالأسفل، لقد كانوا الأربعة: "مريم"، "سارة"، و"أيوب"، و"نوح" الأربعة متقوقعون بجواره بالأسفل ليتجنبوا الموجات الصوتية التي وجّهها دون وجهةٍ، فقال "نوح" له ناظرًا أعلاه:

- لقد علمنا بكم ألمكَ هذه المرة، وأدركنا أنّها ستكون غير كل مرةٍ، فلن نجد مكانًا آمنًا سوى بجوارك أسفل مسار موجاتكَ الصوتية.

لقد شعر أنّ أنفاسه عادت إلى صدره، لم يصدق أنّهم على قيد

الحياة، لقد نزلت دموع الفرحة المختلطة بدموع الحزن والندم، لقد كان شعورًا متقلبًا متضاربًا لا يعرف ماذا يفعل، حتى قال في أقصى درجات ندمه:

- لقد كنت ذلك الخطر الذي سيمحو القارة من الوجود.

نهضت "سارة" وقالت:

- لم تكن سوى الجيوش، لا زالت الشعوب موجودة.

قال "آدم" في أسفٍ:

- لكن كان هنا آخِر شعبٍ في مملكة الشمال، ومات بسببي.

ثم شعر بيد زوجته "مريم" التي نهضت هي الأخرى تربّت على كتفه، وهي تقول والابتسامة على وجهها:

- هناك مَن نجا يا "آدم".

تساءل "آدم":

- ماذا؟!

فقال "أيوب" ناظرًا إلى الشرق نحو الأشجار:

- انظر، هناك مَن يأتي من وراء الأشجار.

فخرجت الملكة "لوسيا" والدموع تغمر عينيها حزنًا على ابنتها، وكان بجوارها ابن زوجها "أوش" متجهين نحو رأسٍ مقطوعةٍ متهشمةٍ بالكاد عرفوا ملامحها ملقاةً أرضًا، فكانت رأس "ساتي" الذي لم يفلت من قوة "آدم"، لقد شعرا بأنّهما شفيا غليلهما قليلًا

ولا سيّما بعد أنْ ذهبا إلى جسد "فريسيا" الذي لم تلحقه قوة "آدم" المدمرة لوجوده أرضًا أسفل "آدم"؛ فكان بعيدًا عن مسار الموجات الصوتية مثل جسد خاله "فهمي"، الذي بدا كأنّه نائمٌ وكأنّ الروح لم تفارقه، ولكن الواقع المرير كان غير ذلك، ثم تجلّى من خلفهما الملك "جونكويل" غاضبًا مكشّرًا عن أنيابه وهو ناظرٌ نحو "آدم" وكان برفقته ابنته "لويزيانا"، ومن بعدهم كان "أنطور" أخو الملك "إيكاي" الذي قتله قائد جيوش الظلام، ثم الملكة "نيميسيا" وأيضًا عددٌ قليلٌ من الجنود والقليل جدًا من شعب الشمال.

فنهض "نوح" وقال لـ "آدم" وهو ناظرٌ نحو الغرب حيث البحر وقال:

- انظر، هناك أيضًا يوجد ناجون.

فنظروا نحو الغرب فأبصروا الأمير"أندريا" والأمير "أورلوف"، وخلفهما أيضًا عددٌ قليلٌ من الجنود.

أمّا عن قوم "آدم" لقد كان متبعثرًا، لكنه نجا كاملًا لأنّهم يعرفون سلفًا بقوة "آدم".

ثم عادث الذئاب تعوي، والغربان تنعق، والتنانين تزأر، وعاد جيش الأرواح على ظهر "جولونغول"، لقد دنا الذئب الأبيض "أوراس" من صاحبه "أيوب"، كما استقر الغراب "الغُداف" على كتف "مريم"، وحلّق التنين الرماديّ "دروك" فوق رأس "سارة"، ثم جاء التنين الأسود بضخامته وحجمه العملاق لترتجف له القلوب، كان يزأر حزنًا على صاحبه "آدم" الذي لم يتحسن شعوره رغم رؤيته لعددٍ من الناجيين، إنّه لا يزال يرى نفسه أنّه قاتلٌ، ذابحٌ، مدمرٌ، مبيدٌ، لا يستحق الحياة،

ورغم الصوت الذي أتاه من بعيدٍ من وراء الأشجار قائلًا:

- لا بدّ وأنْ يكون في إنقاذنا تضحيةٌ نقدمها، لقد أنقذتنا جميعًا أيُّها الغريب، لا تشعر بالندم.

لقد كان العرّاف "أكاسيا" منفرج الأسارير، قادرًا أنْ يتعامل مع ما حدث، ويفهم جيدًا أنّه ليس هناك شيءٌ دون ثمنٍ، فأردف موجّهًا كلامه إلى "آدم":

- لقد كان الثمن هذه المرة باهظًا جدًا.

فقال "آدم" والندم يقتله:

- إنّنا نُحلل لأفعالنا الحمقاء، ونهرب منها إلى المبررات التي تجعلنا أفضل رغم معرفتنا جيدًا بالشر الذي نفعله، فقط لنوهم أنفسنا بارتياحٍ كاذب.

ولكن كان هناك مَن يُملي عليه الغضب أفعاله، لم يخلُ الأمر مِن أناسٍ كانت تشعر بكمٍ كبيرٍ من الحقد والكره لذلك الغريب الذي دمر عددًا كبيرًا من شباب ومحاربي جيوش الممالك الأربعة، لقد صار "آدم" هو العدو الأكثر خطرًا على القارة، لقد أضحى القاتل والمذنب، إنّه الذابح في نظرهم، إنّه الشر الأكبر الذي يجب أنْ ينقلع من جذوره؛ كي لا ينبت مرةً أخرى.

لقد هاج المكان وماج، وأصبح الضجيج سيد المكان، والآراء انقسمت إلى جزئين، ولكن الجزء الأكبر هو مَن يدين "آدم"، وعلى رأسهم ملك الجان، وملكة الغرب، ونسوا أنّه هو مَن أنقذهم من شر "الأوربوروس"، وأنّ لولاه لم يكن ليفوزوا أبدًا بهذه الحرب، وإنْ لم

يفعل "آدم" ذلك لكان انقرض البشر جميعهم بالفعل، فما فعله "آدم" كان الحل الوحيد والأفضل، هذا ما كان يحاول "أكاسيا" أنْ يخبرهم به ولكن دون جدوى؛ فحاول أنْ يجد طريقةً كي يحمي "آدم" من الموت الذي يتربص له بواسطة بشر هذه القارة الذين لا يعرفون سوى الدم.

لقد أدرك العرّاف أنّ هذا العقاب أصعب إلى "آدم" من موته، ولكن لم يجد سواه كي يبقي "آدم" على قيد الحياة، لقد كان الحل الذي وافق عليه الجميع، وهو أنْ يعود جميع الغرباء إلى عالمهم، ويتركوا الطفل هنا في هذا العالم، لقد كان الحل في أنْ يغادر "آدم" ورفقته دون ابنه "يوسف"!

ختـــام 1

قبل هجوم جحافل الأوربوروس على مدينة "هيل" بمملكة "لوردلاند"..

استغل الآلي "شهاب" غفلة الجنود والحراس عن السجن، حيث كان يتزامن ذلك مع عودة التنين الأسود "جوزهر" وعلى ظهره رجلٌ غريبٌ اعتبروه في يومٍ ما ساحرًا وعلّقوه في شجرة السحرة، لقد كان ذلك بمثابة حدثٌ جلل انتشر في المدينة سريعًا كالنار في الهشيم فكان حديث الساعة عودة التنانين إلى المملكة بعد غيابها لأكثر من خمسة قرون.

ولذلك انتهز "شهاب" الفرصة، وأمر مَن كان معه مسجونٌ من آليين أنّه حان الوقت ليستخدموا قوتهم ليفكوا قيودهم، ويحطموا باب السجن ويخرجوا، وبالفعل حدث ذلك، وقتلوا الحراس القلة الذين لا يزالون موجودين لمناوبة الحراسة، فنجحوا في التسلل، بالإمساك به ذلك الرجل الذي كان يحكي تاريخ المملكة إلى "آدم"، فجرحه "شهاب" بجُرح بليغٍ، وقال له:

- لن أقتلكَ، سأترك معكَ رسالةً لذلك الرجل الذي كنتَ تسرد له ثُرهات مملكتكم، قُل له: إنّنا لن نترك قومكَ هذه المرة، سيموتون جميعًا.

ثم خرج "شهاب" وبرفقته بضع آليين، وهنا أوقفهم وقال لهم:

- اسمعوا، لقد عرفتُ أنّ البشر هنا من عالمنا فاقدون ذاكرتهم، وهذه فرصة لنا لننتقم منهم؛ ولذلك سأكمل ما فشلتُ فيه منذ خمسة

أعوام.

وفي الخفاء تمكنوا من الإمساك بأحد الفرسان واستجوبوه، وأخذوا منه المعلومة بالقوة وعلموا منه مكان الأطفال الذين يترعرعون في المملكة ليصبحوا شيئًا عظيمًا يقدمون به خدمة للمملكة، لقد علم كل الأشياء من سرقة السمع هنا وهناك قبل أنْ يتم الإمساك به وزجّه في السجن كغريبٍ عن المملكة.

وصلوا إلى منزل الرعاية الذين يضعون فيه الأطفال؛ لتعليمهم مبادئ المملكة وقوانينها، وتسللوا إلى هناك، لقد كان "شهاب" على علمٍ بالطفل "يوسف"؛ فاستطاع أنْ يعرفه ثم أخذه من وسط الأطفال.

لقد أدرك بعض الجنود بالخارج أنّ هناك شيئًا يحدث بالداخل، فانتبه "شهاب" ومَن معه، وركضوا نحو الباب وحطموا القفل الخاص بالباب الموصد كي لا يعرفوا مَن بالخارج الدخول، ثم حمل "شهاب" الطفل وهربوا من الناحية الأخرى من المنزل بعد أنْ حطموا النوافذ المغلقة بالحديد القوي.

خرجوا إلى الخارج وتمكّنوا من الهرب والتواري عن الأنظار، فسأل أحدهم "شهاب" قائلًا:

- ماذا سنفعل بالطفل؟

نظر "شهاب" إلى الطفل البريء مطولًا، الذي كان يحدّثه قائلًا:

- مرحبًا أيّها الأصلع مَن أنتَ؟

فكشّر "شهاب" عن أنيابه، وقال في نظرةٍ واعدةٍ نحو الطفل:

- سأجعل قلب "آدم" لا يكف عن النزيف، سأقتل طفله هذا.

ختـــام 2

الجانب الآخر، عام 2227م

- من السماء؟

لقد قالها "فارس" باستنكارٍ متعجبًا، لم يصدق هذه الثرهات، فقال الرجل الفضيّ:

- لقد قضيتما حياتكما في البحر لا تعرفان سواه، فلم تعلما بأمورٍ مثل التي تصفها بثرهات.

اندهش الأخوان، وتساءل "عبد الله" في ذهولٍ:

- كيف تعرفون أنّنا كنا نعيش على سطح البحر؟!

صمت القائد الفضيّ قليلًا، ثم ولّى وجهه إلى الأعلى نحو السماء، وبعدها أعاده إلى الأخوين، وقال:

- إنّنا نعرف الكثير من الأمور مثل: أنّ قومكم لا يعرفون مَن هم؟ وأين قذفهم الإعصار؟!

استوقفه "فارس" وسأل مهتمًا:

- لا يعرفون مَن هم؟!

ثم قال "عبد الله":

- ماذا تقصد؟

فأجابهما الفضيّ:

- لقد قذفتهم دوامةٌ أتت من أعماق البحر إلى عالم آخر، هذه الدوامة تمثل بوابةً زمنيةً تُفتح على عالمٍ آخر. ومعلوماتنا تفيد أنّ كل مَن يعبر هذه البوابة يفقد ذاكرته حين ينتقل إلى العالم الآخر، ويكتسب أشياء أخرى بديلةً عنها تخص العالم الجديد كاللغة أو المهارات.

تبادل الأخوان النظرات في اندهاشٍ، فأردف الرجل الفضيّ المقنع:

- لا نعلم إلى أين تؤدي هذه البوابة؛ فهي معبر لعوالم شتّى لن نستطيع أنْ نحدد أي عالمٍ ذهبوا إليه، هذا إنْ ذهبوا جميعهم إلى نفس العالم، ولم يتشتتوا عبر العوالم والخطوط الزمنية التي دمرتموها؛ ولهذا أخبرتكما أنّهم لن يعودوا.

سأل "فارس":

- هل هذه يعني أنّ أمر كوكب الأرض انتهى حتميًا منذ خمسة أيام؟!

قال القائد:

- لا نستطيع الجزم بمثل هذه الأمور، دومًا هناك تكمن المفاجآت، ولكن على الأقل نستطيع أنْ نعيد لهم ذاكراتهم؛ كي يتسنى لهم العيش وهم على علمٍ بهُويتهم .

قال "عبد الله":

- كيف ذلك؟

قال القائد:

- إنّنا نملك الكثير من الأجهزة والتكنولوجيا والتقنيات حتى أكثر ممّا كان يملكها الآليون في أزهى عصورهم؛ ولذلك نستطيع أنْ نفتح هذه البوابة وسط البحر ونسلط بداخل الدوامة ذلك الضوء الأزرق من السماء الذي يعمل بالتخاطر العقلي، هذا سيساعد عقولهم على إعادة ذكرياتهم.

سأل "فارس":

- ولكن لماذا لا نستخدم ذلك الضوء الأزرق في انتقالنا لهم لإرجاعهم، كما فعل "آدم" وأخته من قبل؟

أجاب الرجل الفضيّ من وراء قناعه:

- الأمر هذه المرة مختلف، لقد استخدمت "سارة" ذلك لأنّ الضوء حينها كان معبرًا بين هذا العالم والعالم الذي كانت تتواجد فيه "سارة" فقط، لكن هذا؛ سيكون مسارًا لبوابةٍ تُفتح على عوالم كثيرة مشتتة، قد تضيعان بين الأزمنة والأكوان، وأنتما آخِر الجنس البشر من كوكب الأرض.

فأعاد السؤال "فارس"، قائلًا:

- لماذا لم يستطيعوا أنْ يعودوا هم عبر الضوء الأزرق المزعوم؟

أجاب الرجل:

- البوابة التي انتقلوا منها من هنا إلى هناك كانت عبر البحر، وبما إنّنا قوم السماء فالبوابة التي سنفتحها والمسئولة عن تسليط الضوء لإعادة ذكرياتهم، ستُفتح من السماء في الجانب الآخر، ولن يكون هناك وسيلة لإيصالهم إلى السماء كي يتسنى لهم العودة.

صمت الأخوان قليلًا يفكّران، ثم سأل "عبد الله" في نظرةٍ ثاقبةٍ:

- لماذا ستساعدهم لطالما لن يعودوا؟

وهنا، قال القائد الفضيّ الصدمة التي صعقت بالأخوين:

- في الحقيقة، نريد أنْ يستعيدوا ذاكراتهم لأنّنا نأمل أنّهم يجدون هم معبرًا آخر غير المعبر الذي سنفتحه نحن كي يعودوا، ففيما سنفعله هو لهدف رجوع ذاكرتهم فقط؛ لأنّنا نحتاج أنْ يعلموا هُويتهم، فقومي الذين في السماء يريدون "آدم" وفريقه في مهمةٍ محفوفةٍ بالمخاطر لدينا بهدف إنقاذ كوكبنا من الدمار، وأحدٌ لا يستطيع أنْ يفعلها سوى "آدم" ومَن معه، ولكن إنْ لم يجدوا معبرًا آخر أو تُفتح بوابةٌ أخرى، فلن يعودوا، ولكن كل شيءٍ له عواقب وما سنفعله له مخاطر.

سأل "عبد الله":

- ما هي؟

أجاب القائد:

- سنفتح بوابةً أخرى في البحر، فحين تعود ذكرياتهم سيظنون أنّها نفس البوابة التي انتقلوا من خلاله، إذا عبرها أحدٌ لن يستطيع النجاة .. إنّها "فجوة الموت".

ختـــــام 3

عام 505 ب.ت، بعد المعركة..

لقد عاد التنين الرماديّ "دروك" من الجنوب حاملًا على ظهره "سارة" ومعها "مريم" التي أرادت أنْ تذهب برفقة "سارة" مع تنينها؛ لتعيد ابنتها "وعد" التي تركتها مع الساحرة الشمطاء التي لم تجد سبيلًا آخر سوى في الوثوق بها، عند عودتها أخبرتها أنّها كانت على حقٍ حين أدركتها أنّها ساحرة، ثم عادت إلى الغابة برفقة "سارة"؛ كي تنبش في الأرض حيث دفنت "دينا"، لقد رغبتا أنْ يأتيا بعظامها كي يعودان به إلى عالمهما الأصلي؛ فهذا حق "دينا" الذي كان على كتفي "مريم".

***

آدم

عادت زوجتي وأختي بعد نصف يومٍ منذ مغادرتهما، فالتحليق في السماء أسرع من الإبحار بالسفن، ثم عاد "نوح" من مملكة الغرب لأنّه ذهب إلى هناك مستخدمًا شارة الملكة؛ كي يُفرج عن قومه من الآليين وإنْ كان هناك بشرٌ من عالمنا، أبحر مستخدمًا نفاثاته المائية التي تجعله يبحر وسط البحر في سرعةٍ كبيرةٍ جدًا، فاستغرقت رحلته ما يقارب من يومٍ كاملٍ.

أمّا عن مَن انتقلوا نحو مملكة الجنوب، فلقد تم سابقًا إصدار قرارٍ بالموت عليهم جميعًا، فلم يفلت من قبضته سوى "مريم" وابنتي "وعد"، أمّا عن مَن كانوا من عالمنا في مملكة الشرق، فلقد أخذ

"أيوب" التنين "جوزهر" ملبيًا التنين أمري وطار نحو الشرق؛ ليفرج عن جميع المسجونين الذين تم القبض عليهم، كما أنّه جمع كل الضالين، فلقد كان ذلك سهلًا لأنّ الجميع عادت إليهم ذاكرتهم، كما يعرفون سلفًا بأمر تنينٍ يلوح في الأفق، الذي كان عليه "أيوب" الذي يعرفه الجميع سوى كان من عالمنا أو من هذا العالم. لقد تم إعادة قوم عالمنا جميعهم سواء كانوا بشريين أو آليين، لقد انتهى كل شيءٍ في يومين.

في خضم ذلك، كان كل مَن نجا من قوتي من شعب وجيش مملكة "لوردلاند" ينظرون نحو السماء، حيث الضوء الأزرق الذي ينبثق من السماء حتى سطح البحر، لتعكسه صفحة المياه على أرض المعركة حيث كان يتقاتلون، الجميع ينظر إلى هذا الضوء، ولكن كان الأمر مختلفًا مع مملكة الشمال؛ فذلك الضوء هو مثله الذي ظهر منذ خمسة قرونٍ وتسبب في انقراض التنانين، هذا ما أخبرني به العرّاف "أكاسيا"، فسألته:

- هل أنتم متأكدون أنّها خمسة قرونٍ، وأنّ التنين الرماديّ "دروك" هو تنينكم؟

فأومأ العرّاف، ثم نظرتُ إلى صديقي "نوح" وأيوب"، فسأل الأخير:

- في ماذا تفكّر؟

صمتُ قليلًا أفكّر حتى وصلتُ نحونا "مريم" و"سارة" معهما ابنتي "وعد" وعظام صديقتنا "دينا"، فتساءلا فأجبتُ الأربعة ومعهم العرّاف:

- لقد كانت خمسة قرون في هذا العالم، ولكن لم تكون سوى خمسة أعوامٍ في عالمنا.

ذُهل "أكاسيا" حين سمع ذلك، لم يفهم ما أقوله، فأردفتْ:

- لقد استخدمنا منذ أعوامٍ السفر عبر الزمن، وحدثت نتيجة ذلك تخبطاتٌ في الخط الزمني، ممّا أدى إلى فتح بواباتٍ على عوالم أخرى، ويبدو أنّنا نعاني من ذلك حتى هذه اللحظة، لقد ظهرت التنانين في عالمنا منذ خمسة أعوامٍ نتيجة انبثاق ضوءٍ أزرق مثل هذا، ممّا نتج عن ذلك أيضًا اختلاف سرعة الزمن من كونٍ لآخر. فالعام في عالمنا يساوي مائة عامٍ في عالمكم؛ ولذلك تظنون أنّ القمر لم يعد يظهر كل شهرٍ كما كان يحدث قبل انقراض التنانين، ولكن في الحقيقة إنّه يظهر في ميعاده، الاختلاف فقط كان سرعة الزمن في هذا الكون.

ولهذا السبب أدرك "أيوب" و"سارة" عدم موت الأول حين عضته الذئاب، لقد كان القمر موجودًا بالفعل في عالمنا الأصلي الذي هو منه.

ثم توصلنا أنّ هذه التخبطات هي التي سببت ما حدث في كوكب التنانين الذي ذهبتْ إليه "سارة" وبرفقتها "دينا" بمركبتهما.

في الحقيقة، لقد كان ذلك الكوكب المعبر الذي وصل عالمنا بهذا العالم، فالتنانين في الحقيقة تعود لهذا العالم وليست لكوكب التنانين كما اعتقد أولئك الشعب "الفيوديراتي"، ولهذا السبب استطاعت أختي "سارة" تتحكم بتنينها هناك. أمّا عن ذلك الكوكب

فلقد وُجد من العدم عقب السفر عبر الزمن، وذلك الضباب الذي تحكّمت فيه زوجتي هو في الأصل من هذا العالم، إنّه يخص مملكة الجنوب التي استخدمته ضد المملكة الخامسة "سوفيرج".

ضيّق "أكاسيا" عينيه وتساءل في دهشةٍ:

- هل أنتم الذين تسببتم في كل هذا؟!

أجبته:

- نعم، التنانين لم تنقرض، لقد جاءت إلى عالمنا فقط، ومع وجودنا هنا جاء خلفنا التنين "دروك".

لقد علم بكل هذه المعلومات قادة الممالك مثل "أنطور" من مملكة الشرق، والملكة "نيمسيا" والأمير "أندريا" من مملكة الغرب، والملك "جونكويل" وابنته "لويزيانا" وحبيبها الأمير "أورلوف" من مملكة الجنوب، وأخيرًا الملكة "لوسيا" وبرفقتها الأمير "أوش" من مملكة الشمال.

لقد تعدّل حال الممالك قليلًا، لكنهم رفضوا الوحدة، ولم يقبلوا أنْ تخضع القارة بأكملها لملكٍ واحد؛ لأنّهم اختلفوا على أصل الملك من أي مملكةٍ يكون، فظل الحال كما هو وهذا ما ضايق العرّاف "أكاسيا" حتى قال أنّه لم يأتِ عصر التوحيد بعد، ويومًا ما سيأتي الملك الذي سيوحد القارة؛ ولذلك غيّرت الملكة "نيمسيا" قراراها بعد أنْ ما حدث، ورؤيتها للأمير "أندريا" قتاله في الحرب، كما أنّه لم يعد الابن غير الشرعي، بعد أنْ تم إرسال جنودٍ إلى منزل "ساتي" وأتوا بالوصيفة الخائنة القاتلة "بيجونيا" التي استطاعت أنْ تختبئ

من شر جحافل الظلام، إنّها زوجة الملك الراحل التي قتلت زوجها الملك بأمرٍ من الخائن "ساتي" حيث أراد الأخير أنْ يُشعل الشرارة الأخيرة؛ لتشعل الحرب بين مملكة الشمال ومملكة الغرب، وبضعف قوة الشمال سينهزم ويصبح هو الملك، ذلك كان الاتفاق بينهما بعد تقابلا في مملكة الغرب بعد أنْ سافر "ساتي" إلى هناك ليبت في أمر إشعال الحرب، ومن وجوده خلسةً هناك مع بعض جنوده استطاع أنْ يعلم بأمر الزوجة الأولى الوصيفة "بيجونيا"، لقد اعترفت بكل شيءٍ وأنّ الرسالة التي كانت معها هي اعترافٌ رسمي من الملك بشرعية "أندريا"، تم القبض عليها من قبل مملكة الغرب وسيصبح "أندريا" ابنها الملك القادم لمملكة "كونغار"، الذي تقبل بدوره أمر أمه الخائنة التي قتلت والده.

أمّا عن سلاحهم "جولونغول" عاد إلى البحر ليحمي مملكته كما الأيام الخوالي دون الخوف من التهامها. كما قبل "أنطور" الأمر بعد موت أخيه الملك بشرفٍ وهو يقاتل أعتى الأعداء والأقوى، وهذا كان مطلب جنود مملكة الشرق؛ تيمنًا لمرحلهم الراحل "إيكاي"، وبناءً على هذا سيصير "أنطور" الملك المستقبلي لمملكة "نانيوس" .. مملكة الأقزام.

أمّا عن مملكة الشمال، فلم يعد لدى الملكة "لوسيا" سوى الحزن والندم على ابنتها؛ لأنّها شعرت بالأسف والندم حين عزمت على أنْ تكون ابنتها الملكة، ولم تفكّر في ذلك، ما كانت ستتحمل "فريسيا" المسئولية وتأتي إلى هنا في الحرب، لم تكن لتموت، ولذلك لم يتبقَ سوى الأمير "أوش" الحزين على أخيه الذي مات وهو ينقذ إنسانًا غيره، وسيكون الملك "أوش" الأول من اسمه.

لم يبقَ سوى مملكة الجنوب التي لها ملك بالفعل، لكن كان ذلك منذ وقتٍ قليلٍ، لقد نظرنا جميعنا إلى ما حدث، لقد كان قائد جيش الأرواح الذي عاد غارزًا سيفًا في قلب الملك "جونكويل" وخلفه كانوا يشعرون بالأمل بقية جيشه الصغير، ثم نظر إلينا وقال:

- لقد كان آخِر ملوك الجان الذين كان طريقهم الظلام، لقد كان نسلهم وهو مَن تسبب في حبسنا كل هذه الأعوام، أمّا عن النسل الملكي القادم سيكون من ابنته الأميرة "لويزيانا" التي لم ولن تكون مثل أبيها.

وهنا تبخرت الأرواح متوهجةً صاعدةً إلى الأعلى كما حدث في أعماق البحر أمام "نوح"، فقال الأخير:

- لقد تحرروا أخيرًا.

كانت الأميرة "لويزيانا" التي رغم إدراكها لظلامية أبيها، إلّا أنّها ستظل ابنته، لقد احترق قلبها حزنًا وبكاءً على أبيها، ثم نظرت إلى حبيبها "أورلوف" في عينين دامعتين، فأخبرها أنّه علم بالفعل أنّها ستكون الملكة الأولى الصالحة للجان التي ستغير مصير مملكة "فوريس".

لم يتبقَ سوى يومٍ واحدٍ على بقاء الضوء الأزرق المنبثق من السماء، فسبق وحدث ذلك حين كانت أختي "سارة" في عالمٍ آخر مثل هذا واستمر الضوء ثلاثة أيامٍ، لكن هذه المرة كان مختلفًا؛ فهناك دوامةٌ تدور حول نفسها في السماء، فيبدو أنّنا أتينا إلى هنا من البحر، وسنغادر من هنا إلى السماء، لقد كان البحر هو ما جلبنا

إلى هنا وستكون السماء هي التي ستنقلنا إلى عالمنا؛ ولذلك لم يكن هناك سوى طريقةٍ واحدةٍ وهي الطيران إلى الأعلى، وذلك عن طريق شيءٍ واحدٍ وهو التنانين، لقد حمل التنين الواحد من تنانين الجليد البيضاء ما يقارب من أربعين شخصًا على كل تنينٍ من الأربعة الباقية، أمّا عن التنين "دروك" فحمل ستين فردًا، ثم العملاق "جوزهر" أخذ ثمانين شخصًا، كما أنّ هناك عددًا من قومنا فضّلوا أنْ يظلوا هنا في هذا العالم عن حياتهم في عالمٍ قد أصبح رمادًا بعد ما حدث فيه، لن يكون سوى الثلاثمائة شخصٍ الذين أرادوا أنْ يعودوا إلى عالمهم حتى إنْ كانوا سيبدأون من جديدٍ في ترميم العالم.

كانت مهمة التنين أنْ تنقلنا إلى الأعلى ونقذف أنفسنا من على ظهر التنين نحو الفجوة فتلتقطنا إلى الجانب الآخر، وتعود التنانين قبل أنْ تلتهمها الفجوة الزرقاء.

لقد صعدنا على ظهور التنانين، ولم ننسَ معنا أنْ نأخذ جثة "فهمي" وعظام "دينا"، ثم تفاجأنا جميعًا بصعود الذئب "أوراس" مع صديقه "أيوب"، كما أبصرنا الغراب "الغُداف" على كتف "مريم". ثم حلّقت التنانين بآخِر ثلاثمائة شخصٍ من كوكب الأرض ليبدأوا حياتهم من جديدٍ في عالمٍ من رماد. لقد حلّقت التنانين بنا نحو السماء تاركين خلفنا عالمًا به قطعةٌ من دمي ولحمي، لم نكن على ما يرام جميعنا. تركنا أسفلنا قارةً لم تتحد ممالكها سوى في شيءٍ واحدٍ بعد انتصارنا في الحرب، الذي لم أعتبره نصرًا بل كان إبادةً للجميع، وكنتُ السبب فيها. لم يتحدوا سوى في أمري، لقد حكموا عَلَيّ أنْ يتم حرماني من ابني حتى أبد الدهور، لقد صدروا قرار مغادرتنا جميعنا ما عدا ابني "يوسف" الذي لم أره منذ كنا في على

متن السفينة، الذي لم أعرف حتى مكانه.

نظرتُ نحو "أكاسيا" وأخبرتُه أنْ يجده ويرعاه، ويكبّره عارفًا بأبيه وأمه وعائلته كلها، ثم هزمتني دموعي وزوجتي، لقد حزن أصدقائي على ما أصابني، لا أعلم إنْ كنتُ أحزن على فقدان أبي الروحي وصديقي القريب خالي "فهمي"، أم يحترق قلبي على ابني الذي حُرِمتُ منه ولا يحق لي أنْ أعترض، أي حكمٍ هذا! وأي قرارٍ يتخذونه نيابةً عني في شيءٍ من المفترض أنّه يخصني! بل ليس من عالمهم من الأساس.

لم أتحمل التفكير في أنْ أتقبل ترك ابني في هذا العالم الذي لا يعرف سوى الدم، لقد مات فيه القلب الوحيد الطيب، كيف لي أنْ أقبل بذلك؟ حتى لو كنتُ قتلتُ جميعهم بغير قصدٍ، بالطبع أتفهم فجعتهم الكبرى، لكن في موتي كان الرحمة لي التي تم حرماني منها، إنّه في ذلك أبشع عقابٍ يوجد في الحياة، حرمان الأب من ابنه دون أنْ يكون هناك لحظة وداع، حرمان ابنٍ من أبيه في اللحظة التي تذكّر فيها أبوه. كيف أتركه دون أنْ أراه، دون أحضنه، دون أنْ أنظر في عينيه وأخبره كم أحبه، دون أنْ أقول له: "إنّك سندي وقوتي وحياتي، إنّك المصدر الذي أستمد منه طاقتي وشغفي".

انهمرتْ دموعي، فكان طريقي نحو السماء حافلًا بذلك الحزن الذي كاد أنْ يقلتني، لقد حان وقت القفز من على التنانين كي تلتقطنا الفجوة، بدأ الجميع يقفز وبالفعل التقطته الفجوة، لم يبقَ سوى خماسيتنا، لقد أخبرتُهم أنّني سأكون خلفهم تمامًا، فقفز "نوح" ثم ألحق به "أيوب" وهو على ظهر ذئبه معه جسد "خالي"، فالتقطتهم

الفجوة، ثم زأر تنين "سارة" التي كانت معها عظام "دينا" بأنينٍ موجع كأنّه رافضٌ أنْ يترك صديقته، رغم أنّ هذا هو عالمه الأصلي، فتفاجأنا أنّ التنين نفسه أكمل طيرانه نحو الفجوة فالتقتهما معًا! لم يبقَ سوانا على ظهر "جوزهر" أنا وزوجتي، أخبرتُها أنْ تقفز فقالت لي:

- هيّا معًا.

لم أعطِ لها فرصة التفكير؛ فدفعتُها بقوةٍ وفي أحضانها ابنتي "وعد" ومعها غرابها، فنظرتْ هي خلفها سريعًا قبل أنْ تكون على الجانب الآخر، فوجدتني دامعًا ألقي بنفسي في الهواء حيث الفراغ، نحو الأسفل حيث البحر تاركًا نفسي إلى اللا شيء، لم أتقبل أبدًا أنْ أترك ابني هنا، ثم اختفت "مريم" من ناظري مع ابنتي والغراب، لقد التقطتهم الفجوة، وأنا لا زلتُ في طريقي إلى الأسفل في الهواء نحو البحر، ولكن حدث شيءٌ غريبٌ من المفترض ألّا يحدث، أو كان يجب أنْ يكون حدث بدلًا عن الفجوة الزرقاء، لقد انشق البحر صانعًا فجوتين كبيرتين يدوران في دوامةٍ أكبر مثل التي نقلتنا إلى هنا، ثم تفاجأتُ بما صعقني، وجعل رغبتي في النزول جامحةً، فكم أريد أنْ أصل إلى سطح البحر سريعًا، حتى وجدتُ التنين "جوزهر" الذي لحق بي في النزول ليلتقطني، ويكمل طريقه للأسفل بسرعةٍ أكبر حتى ألحق بما رأيته، أو بمَن رأيتُه، لقد كان "شهاب" على متن مركبٍ ومعه رفقته من الآليين، لقد كان "شهاب" قابضًا عليه إنّه بحوزته .. إنّه ابني "يوسف" معه.

ولكن ما حدث كان شيئًا آخر، لقد وصلتُ بالفعل مع تنيني إلى

سطح البحر، سقطتُ في إحدى الفجوتين، أمّا هم بمركبهم كانوا في الفجوة الأخرى، لقد نظرتُ في عينيّ ابني ونظر ابني في عينيّ، لكن لم يستطع أحدنا أنْ يصل للآخر، لقد سمعته ينادي مرتعبًا يبحث عن الأمان الذي شعره به حين أبصرني:

- أبي!

ولكن التهمتنا الدوامة الكبيرة، كل فجوةٍ على حدة، وأصبح كل شيءٍ يدور من حولي، ليس هناك شيءٌ واضحٌ، لقد كان كل شيءٍ متداخلًا في بعضه، وبعد دقائق وجدتُ نفسي....

***

لقد عبر "آدم" "فجوة الموت" .

يُتبع

أسماء الشخصيات

مملكة الشمال

(1) كوش: اسم نوبي قديم، معناه الظلام أو العتمة، ويطلق أيضًا على جزءٍ من منطقة النوبة جنوب الشلال.

(2) هيل: كلمة باللغة الإنجليزية، تعني جبلًا أو هضبةً، وهي إشارةٌ لارتفاع وسمو عاصمة مملكة لوردلاند.

(3) أوش: مشتق من الكلمة الإنجليزية التي تعني محيط.

(4) جيرالدي: نوع من أنواع الورد، أحمر اللون، يقال أنّ الاسم من أصلٍ صيني.

(5) فريسيا: زهرة بنفسجية اللون، في شكل قمع، تعيش في جنوب إفريقيا.

(6) تشيني: اسم مدينة تقع في مقاطعة سيجويك، بولاية كنساس في الولايات المتحدة الأمريكية، يبلغ عدد سكانها أكثر من ألفي شخص.

(7) وينجي: نوع من أنواع الخشب، قاتم اللون، أمريكي الأصل، وله أشجارٌ تنمو في وسط إفريقيا.

(8) لوسيا: اسم إيطالي يعني الضوء أو النور، وهو اسم نوعٍ من أنواع الورد لونه أصفر فاتح أو ليمون.

(9) موليس: نوعٌ من أنواع الورد الرخو.

(10) أكاسيا: اسم مجموعة من النباتات التي تنتمي لعائلة البازلاء، لها زهورٌ صفراء اللون، لها العديد من الاستخدامات مثل صبغ الملابس، تنمو في الأماكن الدافئة.

(11) ساتي: اسم نوبي قديم، وهو أيضًا كلمة سنسكريتية تعني الوعي.

(12) التندرا: أصل المصطلح روسي، والتي تعني المرتفعات أو جبل جليدي عديم الأشجار.

مملكة الشرق

(1) نانيوس: مشتقة من كلمة nanous التي تعني "الصغير أو القزم.

(2) إيكاي: نوع من أنواع الورد، والبعض يقول عليها زهور إيكيا الصناعية.

(3) أنطور: اسم يطلق على زهرة البشروس، وهي من النباتات اللوفية، ومن الأنواع التي تحتوي على طلع.

(4) تاهو: هي اسم بحيرة كبيرة بها ماء عذب في جبال سييرا بالولايات المتحدة الأمريكية.

(5) كلارا: اسم علم مؤنث لاتيني يعني اللامعة أو المشرقة.

(6) كارفا: نوع من أنواع النباتات.

مملكة الغرب

(1) كونغار: مشتقة من الكلمة الإنجليزية "conger" التي تعني ثعبان البحر .

(2) أيار: نوع من أنواع الورد.

(3) نيميسيا: اسم زهرة، لها العديد من الألوان وأشهرها الأبيض، لها رائحة فواحة وتُستخدم لتزيين الحديقة أو الشرفة.

(4) إيبيري: نوع من أنواع الورد.

(5) هولي: نوع من أنواع الورد.

(6) بيجونيا: اسم زهرة لونها برتقالي، تُزرع تحت أشعة الشمس المباشرة، وتحتاج إلى كمية كبيرة من الماء، وتُستخدم في التزيين.

(7) أفاريس: هو اسم آخر لمدينة قديمة قبل الميلاد اسمها "أواريس"، وهي أحد أهم معاقل الهكسوس.

مملكة الجنوب

(1) كوندور: اسم شركة جزائرية للإلكترونيات والأجهزة المنزلية، كما أنّه مشتق من اسم نسر الكندور، ويعتبر من أضخم الطيور القادرة على التحليق عاليًا.

(2) أورلوف: اسم مدينة بروسيا.

(3) لويزيانا: اسم نوع من أنواع نبات السوسن، بنفسجية اللون، كما أنّها اسم ولاية أمريكية.

(4) جونكويل: اسم نوع من أنواع النرجس.

أسلحة الممالك

(1) التنانين

جوزهر: كلمة فارسية تعني رأس التنين، تُستخدم في العلوم الفلكية وهي إحدى نقطتي القمر -"النقاط الفلكية الوهمية"- والأخرى هي النوبهر وتعني الذنب.

دروك: هو تنين الرعد في الأساطير البوتانية.

بالاجوس: تنين معروف باسم اللهب الطائر، كان أحمر اللون، هذا فقط ما عُرف عنه.

(2) الذئاب

أوراس: الذئب الأوراسي هو نوع من أضخم أنواع الذئاب التي كانت تعيش في أوراسيا (كتلة أرضية من أوربا وآسيا) قبل العصور الوسطى، ويمتاز بأطول عواء وبصوته الرخيم. كما أنّ الأوراس أيضًا سلسلة جبلية بالجزائر عالية القمم في مملكة أوراس التي هي مملكة أمازيغية (شمال شرق الجزائر حاليًا).

(3) الثعبان

جولونغول: اسم أفاعي قوس القزح، مشهورة في الميثيولوجيات الأوقيانوسية والإفريقية.

(4) الغربان

الغُداف: نوع من أنواع الغرابيات التي تنتشر في أوراسيا، غراب كبير أسود الريش.

(5) العدو

الأوربوروس: اسم لكائن أسطوري يأكل نفسه من ذيله، وهذا إشارة للتجديد الدوري أو دورة الحياة والموت والولادة الجديدة.

مفستوفيليس: اسم لاتيني يُطلق غالبًا للشخصية التي تمثل الشيطان، على عكس الصورة التي نعرفها عنه وهو الحوافر والقرون، بل هيئته أكثر إنسانية حيث يظهر في هيئة رجلٍ طويلٍ مسربلٍ بالسواد مع الشبه الشيطاني له ذي القرون.